

رواية
الطبعة
7
أوجاعهن
فاطمة الشيشيني
Their soreness
إبداع

الكتـــــــاب: أوجاعهن

المــؤلـــــف: فاطمة الشيشيني

تصميم الغـــلاف: مروة فتحي

المراجعة اللغوية: مؤسسة إبداع للترجمة والنشر والتوزيع

رقـــم الإيـــداع: 2015 / 27407

الترقيــم الدولــي: 8 - 062 - 779 - 977 - 978

الإخــراج الفنـــي: مؤسسة إبداع للترجمة والنشر والتوزيع

المدير العام: عيد إبراهيم عبدالله



العنوان: 40 ش محمد فريد، وسط البلد، القاهرة

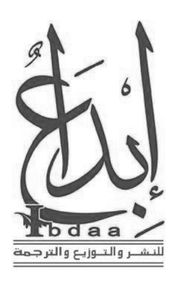
هاتف: 0227931911 - **موبايل:** 01001631173

الموقع الإلكتروني: www.prints.ibda3-tp.com

البريد الإلكتروني: info@ibda3-tp.com

فاطمة الشيشيني

أوجاعُهنّ



إهداء

إليك





تمهيد

إلى الترانيم المعزوفة باسم أوجاع العشاق، إلى متى ستظلين رافضة لأن يكون للحب سُبُلٌ دون أوجاع، للشوق أوجاعه، وللفراق أوجاعه، وللنسيان أوجاعه، تمهَّلي أيتها الترانيم عن الشجن قليلاً لتستريح قلوب الساكنين في معابد الحب.

أيضًا إلى العربيات الجميلات اللواتي يحلمن بجنون دون وعي، أُذكِّركنَّ بأن لقلوبكنّ عليكُنّ حق، ومن ضمن تلك الحقوق أن تتوسَّطْنَ اللهفة.

فاطمة الشيشينى

"لست حزينة، لكنني متفاجئة، وأشعر أنني بعيدة تماما عن نفسي، ولا أصدق أنك أصبحت بعيدًا إلى هذا الحد.. بعيدًا للغاية"

سيمون ديبفوار



الفصل الأول
حين أحببتك اكتملت

استيقظت من نومها على رنة هاتفها، مدت يدها في عبثيَّة شديدة لعلها تحصل على الهاتف لتقوم بإسْكاته لتُكمل نومها بهدوء، لكنها حين نجحت في الحصول عليه ونظرت إلى الشاشة قليلاً قرأت "نورى" يتصل بك، فزعت من شدة الدهشة وضغطت على زر قبول المكالمة ووضعت الهاتف على أذنها قائلة فى صوت يشوبُهُ النوم:

-هل أنا مازلت نائمة؟

أجابها نور في تمهل وصوت هادىء:

-بالطبع لا يا هند، والا فمن يُجيبني الآن ؟

تبسمت هند من وراء حجاب ثم قالت:

-لا أصدق أنك من بدأت بالاتصال اليوم، فالعادة جرت بيننا على أن أبدأ أنا بالوصل.

لم يهتم نور لحديث هند، ثم أجابها بطلبه في أن يراها في السادسة مساءً.

وافقت هند على الفور دون أى تردُّد أو تفكير.

وبعد أن ألحَّت هند على نور بالبقاء معها على الهاتف لمدة أطول، أصر هو على غلق الهاتف لأن لديه من الأعمال الكثير والكثير.

أخفت هند جسدها تحت الغطاء والدموع على وجنتيها ورأسها مملوءة بالحديث "إنه لا يحبني ولا يكترثُ لأمري، لماذا يصر دومًا على أرائه، ولِمَ لا يحاول أن يبقى معي طوال الوقت كما أفعل أنا، أنا أحبه كثيرًا، وهو لا يعي ما حال المرأة عندما تعشق".

كادت هند أن تنفجر من حديثها الذاتي، وبدأت تتمتم بالحديث "ليتني أحظى بالموت، أيها الربُّ العظيمُ الذي يحوط قلوبنا بمحبته، لِم لا تجعل العشق بدون لهفة، أريد محرابًا للمحبين تكون الإقامة فيه اجبارية على من عقد وثيقة عشق".

جذبت هند الهاتف مرة أخرى وكتب لنور رسالة مضمونها "إن هند المحبة تأبى أن تكتمل بدونك، فأنا امرأة حين أحبتك اكتملت، لم تقسو عليّ لهذه الدرجة؟."

حين انتهت هند من إرسال نص الرسالة إلى حبيبها سمعت بالخارج صوت والدتها وهى تقول له:

- انتظر لتتناول الافطار مع أختك، لِمَ لا تنتظر قليلاً، سأذهب لإيقاظ أختك من نومها فلديها محاضرة الساعة العاشرة.

هكذا ارتبكت هند كيف تُخفي دمعها عن والدتها وكيف لا تُثير التساؤلات حول حزنها الواضح على عينيها.

وهل الحزن يمكن إخفاؤه، إن وجع لهفة العشق عندما يجتاح الإنسان لا دواء له سوى الصبر، والنوادر هم من يمتلكون تلك الصفة، فللصبر أُناسه، وللحبّ أقداره، والحياة لا تسير دائمًا كما يرغب البشر، لأن البشر في الغالب ينظرون إلى الكون نظرة جزئية، لهذا يرون أنصاف الحقائق، وهذا ما يسبب لهم أوجاع المعرفة، لأن نصف المعرفة داءٌ لا دواء له سوى الاستمرار في البحث.

أمسكت والدة هند مقبض الباب متجهة نحو فراش ابنتها، وقفت الأم عند الفراش قائلة "بسم الله الرحمن الرحيم" ووضعت يدها على جبين ابنتها مُرددة:

- هند هند.

حاولت هند أن تدَّعي الاستيقاظ من النوم قائلة:

- صباح الخير يا ماما.

أجابتها الأم وهى تفتح الستائر الزَّيتية اللون ليظهر النور من خلف الشباك:

- لا صباح من تحت الغطاء، أفيقي لديكِ محاضرة في الساعة العاشرة.

نزلت هند من على فراشها متجهة نحو الباب ثم ارتدت رُوبها الأزرق ذا الاكمام الطويلة الأكبر من مقاسها ولم تنظر إلى والدتها قائلة:

- أنا استيقظت، أهكذا يصح الصباح!.

خرجت الفتاة من غرفتها قبل أن تُجيبها والدتها كي لا تلتقي العين بالعين، ودخلت سريعًا لتغسل وجهها وتُداري دمعها، ورجعت إلى غرفتها بعد خروج والدتها، وألقت على هاتفها نظرة سريعة علَّها تجد ردًّا على رسالتها من نور، لكن ليست كل الأماني تتحقق كما نشتهي، للّه حكمةٌ أخرى.

أرسلت هند نظراتها في أرجاء غرفتها الصغيرة المكونة من سرير ودولاب بنيًّا اللون، والدولاب مزينٌ بثلاث وردات مصنوعة من الورق المقوَّى، وفي آخر الغرفة جهاز كمبيوتر أسود اللون متصل بشبكة الإنترنت، وكمانجة صغيرة تبعث الجمال داخل الغرفة، ثم نظرت هند بعينيها إلى النجفة المثبتة في سقف الغرفة وتأملتها:

- فلماذا لا يصبح الحب مثل ذلك اللولؤ بالنجفة في طُهْره، ربَّما الطهر والجمال لا مكان لهما سوى الجمادات في هذا العصر.

تؤمن هند بأن الملابس تُعبر عما بدواخلنا من مشاعر، وأن اختيارنا للألوان ما هو إلا تعبير عن ما تُكِنُّه قلوبنا من أحاسيس، هكذا أقامت

هند الحداد على عواطفها دون أدنى مبرر سوى اللهفة المفرطة، واتجهت نحو خزانة ملابسها وأخرجت زيًّا أسود لترتديه وهى ذاهبة إلى الجامعة.

خرجت هند إلى غرفة المعيشة بعد أن توضأت وصلَّت إلى اللّه ودعت اللّه أن يتصل بها نور أو يرسل لها رسالة تهدأ بها.

أحيانًا يدعو الإنسان بالشر ويظن أنه خير، وحين يؤخر اللّه استجابة الدعاء يظن البعض أن اللّه منع اجابة الخير له، وينسى أن اللّه لا يؤخر للإنسان إلا لخير أو ليمنع عنه شر، هكذا أغلب البشر متسرعون في أحكامهم وقد يتأخر فهمهم لحكمه المطلق إلى وقت آجل وحين تصلهم الحكمة يندمون فقط على الأوقات التي قضوها على فراش الحزن، هكذا هي هند تدعو لكنها لا تعي أتدعو لنفسها أم عليها.

جلست هند على مائدة الإفطار بعد أن دَعَتها والدتها للطعام، حاولت أن تتماسك أمام أخيها ووالدتها وأن لا تظهر لهما شيء لكن عمر أخيها أبى أن يصمت فقام بمشاغبتها:

- أقتل لك قتيل يا هند!

وأخذ يضحك بصوت عالٍ والكلام يخنق صوته وهو يقول:

- ترتدى أسود وعيناكي ليّستا على ما يرام.

تناولت هند شريحة جبن من الطبق أمامها ووضعتها في الخبر وهي

تقول لأخيها:

- هناك شيء يُسمى صداع.. ألم تسمعْ عنه من قبل!.

تمتم عمر بكلمات يتهم هند فيها بالكذب فتدخلت الأم قائلة:

- لا يوجد أى احترام للطعام ولا لي.

ثم تنفست الصعداء وقالت:

- تناولى حبة للصداع يا هند قبل أن تذهبى للجامعة".

همت الأم قائمة من على الطعام وسحبت حقيبتها، وأوصت عمر بأن يوصل هند إلى جامعتها أثناء طريقه إلى العمل، وهنا تحجَّجت هند بأنها ستذهب إلى الجامعة مع صديقتيها رضوى وهدير، نظرت الأم إلى الأبناء في عجلة ثم قالت:

- سوف أتأخر قليلاً اليوم فلديَّ اجتماع في البنك، إلى اللقاء.

اتجهت والدة هند إلى باب الشقة وفي أثناء ذلك قال عمر لهند:

- لم يكن لديَّ وقت لأذهب معكِ للجامعة حتى ترفضي.

أجابته هند في عدم اهتمام:

- حسنا! قد أعفيتك من ثقل المهمة.

قبل أن تغلق الأم الباب خلفها عنَّفت الإثنين بالحديث قائلة:

- إلى متى ستظلا في اختلاف وعدم توافق، قد مللت.

ثم أغلقت الباب في عصبية وذهبت.

هكذا كانت علاقة هند بأخيها الوحيد لا وفاق ولا صداقة.

ما أصعب أن يخسر الإنسان علاقته بأقرب الناس اليه، وأن تتراجع العلاقة إلى حد أن يكون الحديث إلى بعضهم البعض نوعًا من المجاملة أو السلام بفتور أو حتى قضاء بعض الاحتياجات الضرورية، بعدما كان الحديث لا ينفذ ولا ينفر أحد الأطراف منه، لكن في الغالب لا يبقى شيء كما هو عليه إلا لو تنازل أحد الأطراف واستوعب الطرف الآخر هذا التنازل وقدَّسه، لكن الأصعب من ذلك أن نفكر في الأسباب التي أوصلتنا لهذا الحد من القسوة وكل ذلك الجمود القلبي والإنساني.

نظرت هند إلى أخيها نظرة ضيق، ثم هرولت نحو غرفتها لا لشيء سوى للحملقة في شاشة هاتفها لعلَّ نور أرسل لها بشيء.

أثناء ذلك وضع عمر وجهه في كفيه حسرةً على علاقته بأخته الوحيدة، لطالما حاول صداقتها طوال الوقت وبكل السبل، لكنها في كل مرة تأبى أن يكون للود مكانٌ بينهما، لا شدة ولا لين ولا شيء يليق بهند، والأغرب كلما زاد أخاها في وصّلها زادت هي بُعدًا، تلك المواقف هي التي جعلت عمر ينفي رغبته في مساعدة هند درجة أنه بدأ في إظهار عكس ما يريد من وصّل.

ما أقسى من أن يظهر الشخص عواطف عكس ما يُبطن، خاصة مع أخصّ الناس لديه.

ذرف عمر دمعة من عينيه ثم تمتم في نفسه:

– ليتها وافقت أن أُوصلها إلى الجامعة وأتلمس أوجاعها الظاهرة عليها اليوم.

مَنِ المخطئ؟ من السبب في تلك العلاقة؟ من أفقد الود رونقه بين أخٍ وشقيقته، ربما هو أو هي.. لكن المؤكد أن شيئًا ما على غير ما يُرام يحدث.

خرجت هند من غرفتها في عصبية شديدة دون سلام ولا كلام مع أخيها، ثم خرجت من الشقة متجهة لمصعد العمارة، وقفت هند في المصعد وضغطت على زر الدور الأرضي مستمعة إلى موسيقى المصعد، ناظرة إلى المرآة الموجودة أمامها واضعة يدها على حجابها تحاول أن تجعله أكثر أناقة.

وصلت هند للدور الأرضى في أقل من دقيقتين، ووقفت أمام بوابة العمارة الكبيرة التي تحيطها الأشجار وتُجمل الأزهار شرفاتها النصف دائرية، أتى من خلفها بواب العمارة الضخم الجسد يرتدي جلبابًا بسيطًا بني اللون، بصوتٍ يملؤه التعب والحنين إلى النوم، نظر إلى هند في حشمة قائلا:

- صباح الخير يا دكتورة هند.

لم تُجبر هند خاطر العم حسن بل نهرته كعادتها في الأيام الآخيرة:

- لا وقت للصباح لدي، معلنة له بصوت الآمر:

- استوقف تاكسي فلقد قارب أصدقائي على الوصول، وسنتأخر بثرثرتك تلك عن الجامعة.

ما الذي تغير؟ هند العطوفة التي كانت لا تنهر أحدًا ولا تفقد علاقتها بأحدٍ أصبح هذا أسلوبها، فهل يُغيرنا الحب إلى الأسوأ أم إلى أفضل حالاتنا؟، الحب الذي يُغيرنا إلى الأسوأ ما هو إلا حب واهِم، لا حلَّ له إلا أن نقتلعه من قلوبنا ولا نبكي عليه، الحب يجملنا، يجمل أرواحنا، أفكارنا، ويُتوج قلوبنا بكل جمال.

أجابها العم حسن بقوله:

- حاضر يا دكتورة.

سمعت الفتاة الوسيمة الملامح، ذات الأعين البنية، المتناسقة الجسد، البيضاء في وجهها، اسمها يتردد من قبل صديقتيها "هند هند"، سارت هند على مَهَل في اتجاههم، لم تستطعْ أن تسرع أكثر لإرتدائها الحذاء الأسود ذا الكعب العال، مُلوِّحين لبعضهم البعض إلى أن تلاقوا، ثم أخذت الفتيات في عمل المراسم اليومية من الأحضان كعادة فتيات عصرهم.

غـادرت الفتيات الثلاثة المنطقة الثرية المظهر، بعماراتها العالية وأرصفتها النظيفة وأشجارها الخضراء، استقلَّت الصديقات التاكسي للوصول إلى كلية الطب جامعة القاهرة، قام سواق التاكسى بتشغيل أغنية "أنت عمرى" للسيدة أم كلثوم وفي حضرة الطرب وحضرة الكلمات صمت الجميع، إلى أن وجد الفتيات أنفسهن أمام باب الجامعة، نزلت الصديقات الثلاثة ومازال أثر الغناء في أرواحهنّ إلى أن أفاقت إحداهنَّ الأخريات، وبدأن في الضحك العبثي تعبيرًا عن الحالة التي كُنَّ عليها عند سماع الأغنية، دخلت الفتيات قاعة المحاضرات، وهنا رنَّ هاتف هند فاخرجته في لهفه شديدة قائلة بتلقائية:

- نور!

لكن هيهات أن يكون تخمينها في محله، فالشاشة مكتوب عليها عمر يتصل بك، هنا رفضت هند المكالمة، وقالت في عبثية وضحك هستيري:

- ها هي الأقدار تجعل فتاة تتمنى لو أن تلك الآلة الحديدية التي في يدها يُكتب على شاشتها نور يتصل بك ليُعاد لها الهدوء من جديد.

أجلست رضوى هند وقالت في حسم:

- ماذا بك يا هند، منذ أن رأيتك وأنتِ على غير ما يرام.

وضعت هند يدها على جبينها ونظرت إلى هاتفها في حزن:

- نور! أنتظر نور ليتصل.

هنا خرجت من رضوى بعض الكلمات بعصبية:

- سُحقًا لكل أنواع التكنولوجيا التي جعلت عواطفنا تُحسب بعدد الرنَّات وعدد الرسائل المرسلة. يا صديقتي الحب امتزاج أرواح وتبادل أفكار باحترام ورقيّ، دعكِ من تلك العبثية، واعلمى أن الحب يأتي لسعادتنا لا لدموعنا.

يأبى دكتور المحاضرة الأولى أن يستكمل الحوار ليدخل قبل موعده بعشر دقائق كاملة ويصمت الجميع في حضرة العلم.

اتكأت الفتيات الثلاثة إلى الخلف يستمعن إلى المحاضرة، لكن أي محاضرة تلك بالنسبة إلى هند المشغولة بالنظر إلى هاتفها الموضوع أمامها لعلَّه يعطي إضاءة بشيء من نور، سارحة في حبيبها المتلهِّفة عليه، أرسلت هند رأسها إلى الخلف تفكر:

- نور! قلبي يبكيك الآن، لا لفراقك ولا للشك في حبك، أبكيك لهفة وشوقًا، وأبكي نفسي على الثقة المُهدرة التي لا أمتلكها، أرسل لي يا نور لعلي أستطيع أن أكمل يومي. فإلى متى أيها الحب ستظل تهرب ممن يحاولوا أن يُقيموا بمعبدك بكل شوق ووفاء.

ها هي أفكار هند تتجسد في تفكيرها وتركها للمحاضرة دون أدنى شعور بالذنب، فتاة لا تشعر سوى برجلٍ ولا تتعلق إلا به، بشرية تعلق

حياتها على رجل. لِمَ يُعلق المرء حياته بأحدهم وهو يعلم جيدا أن الأشخاص في حياة بعضهم موجودين بشكل جزئي لا بشكلٍ مطلق.

لم يترك التفكير صديقتيّ هند فكان لكل منهما نصيب.

ها هي هدير تمسك قلمًا، وتكتب في كشكول محاضراتها، نعم تكتب لا ما يقوله الدكتور ولكنها تكتب ما يدور في خاطرها:

- ها أنذا! فتاة لم تزل تبحث عن معبد الحب لتدخله، أُومن بأن دخول ذلك المعبد لمثلي ضربٌ من الشقاء، وأعلم جيدًا أن لا أحد سيصبر على فتاة مثلي لتجد نصفها الآخر، وأن قدري أن أقبع تحت أراء أسرتي وحسب.

عندما انتهت هدير من كتابة تلك الكلمات التفتت إلى أن المحاضر يُنبه الطلاب إلى كتابة بعض النقاط الهامة فبدأت بتدوين ما يذكره.

هنا غابت رضوى عن المحاضرة تمامًا وحدَّثت نفسها وبدأت ترسم ما يروق لها من كلمات وبدأ عقلها ينطق بكلمات:

- إلى شبيهي الذي لم ألتقِه بعد... اشتقت لك.

ها هنَّ الفتيات الثلاثة تفكر كل منهن على طريقتها وعلى حسب ظروفها، للحب قوانينه، لكن للظروف المجتمعية أيضًا كلمتها التي لا يمكننا أن نغفل عنها، لعل الفتيات يحلمن بالمطلق وتناسيْن أن الحياة تحمل في ملامحها النسبية.

هرجٌ ومرجٌ بعد خروج المحاضر من المدرج، وهنا قالت هدير:

- لِمَ لمْ تكتبين ما قاله الدكتور، النقاط الآخيرة كانت مهمة.

أجابت هند في عصبية:

- لن أكتب أى شيء إلا عندما يتصل نور.

قاطعتها رضوى قائلة في حزنٍ شديدٍ على صديقتها:

- اللهفة كلما زادت عن الحد انقلبت إلى الضد، كوني على ثقة من نفسك يا هند".

نظرت هند إلى رضوى في غير اهتمام، ثم فتحت هاتفها وابتعدت قليلاً في محاولة للاتصال بنور، لكن لم تزِدْها المحاولة إلا وجعًا فهاتِفه خارج نطاق الخدمة.

جذبت رضوى من هدير كشكول المحاضرات في مرحٍ لتنقل ما قاله الدكتور من نقاط مهمة ثم قالت لها:

- هيا بنا إلى الكافيتريا لأنقل المحاضرة يا هدير، لدينا ساعتين من الوقت على المحاضرة القادمة.

وافقتها هدير لكن قالت:

- اسبقيني إلى الكافيتريا، سأنتظر هند وسأصطحبها ونلحق بك.

- تمام هدير، لا تتأخرى.

احتضنت رضوى كشكول المحاضرات متجهة نحو كافيتريا الكلية، وحين وصلت سحبت كرسيًّ مصنوعًا بطريقة تُريح النظر كأنه ضفيرة لطفلة صغيرة لكنها وضعت بجوار بعضها البعض بطريقة محببة وبدلاً من أن تنتمي لشعر الانسان انتمت لخشب الأشجار مُكونة تلك الكراسى. توسطت كل ثلاث كراسي منضدة مستديرة بسيطة تنتمي إلى اللون البني.

نظرت رضوى إلى ركن في آخر الكافيتريا والذى يصنع فيه الأطعمة والمشروبات ووقع نظرها على النادل ذي القميص الوردي والبنطال الأسود ثم أسرعت بالقول:

- من فضلك!

نظر إليها النَّادل بهدوء ثم أشار لها بانحناء رأسه في إجابة لها، وأسرع في السير إليها بحذائه الرياضى ذي الرباط الأبيض، طلبت منه الفتاة كوبًا من الفراولة المثلجة لحين وصول صديقتها، فأجاب النادل طلبها.

تناولت الفتاة بعضًا من المشروب، ثم فتحت كشكول المحاضرات، لكنها بدلاً من أن تفتح صفحة المحاضرة، جاء بين يديها الورقة التي كتبت بها هدير ما دار بخُلدها داخل المحاضرة. تنفست رضوى بقوة ثم قالت بصوت لا يسمعه سواها:

- أه، نحن الثلاثة نفكر في الحب، أعلم جيدًا أنه احتياج طبيعى للإنسان، لكن ما فائدة الحب بطريقتنا نحن الثلاثة، الحب تبادل روحي وفكري وطهرٌ بين اثنين، لكن في حالة هند الحب لا يعطيها الأمان ولا السعادة، أعتقد أن الحب الذي لا يظهر أفضل ما بالإنسان من صفات لا يعد حبًّا، والحب الذي يبعد الإنسان عن سعادته لن يكتب أبدًا على جدار معبد العشق، إنها معاناة، آه لو يجد الإنسان حبه بدون كل تلك المعاناة، أما عن حالتي وعن حالة هدير فنحن نكتب فقط ما نريده كأننا نتبادل ما نريده مع ورقة بيضاء لعلها تطير يومًا نحو السماء لتتحقق أمانينا.

أفاقت رضوى نفسها وابتسمت قليلاً ثم قالت:

- يبدو أنكِ لا تريدي أن تتجحي هذا العام.

بدأت رضوى تكتب المحاضرة، ولكنها رفعت رأسها فجأة وتذكرت ما كتبته هدير وتسألت لماذا تقول هدير أن لا أحد سيصبر عليها في الحب وما دخل أسرتها بذلك؟ وهل للعشق معنى دون أن يصبر العاشق على معشوقه؟ فالحب إقبال على من نحب لا اغتراب عنه، وأن هذا الذي لا يصبر على محبوبه ليس بعاشق، إنما واهمٌ في العشق، فشتَّان ما بين من وقع في الحب ومن توهَّم الحب، لكن ربما قصدت هدير أن الحب كالشوْك الذي يحمي الورد في ظاهره قسوة وباطنه حماية لجمالها وروحها.

وضعت رضوى يديها على رأسها ثم تمتمت قائلة:

- لا شأن لأحد بأفلاطونيتك يا رضوى... دعي الأمور تسير بقَدَرِها.

هنا قررت رضوى أن لا تحدث صديقتها في هذا الأمر واعتبرته أمرًا خاصًّا لا يجب أن تتدخل فيه.

ها هما الصديقتين وصلتا إلى رضوى، ما إن وصلتا إليها حتى تساءلت رضوى في هدوء:

- ماذا حدث يا هند؟

أجابت الصديقة بعد أن تنفست بقوة:

- لم يُجِبْنِ..

ثم نظرت إلى السماء قائلة:

- لا أريد أن أتحدث في هذا الأمر الآن.

هنا صمتت الفتيات الثلاثة وكأنهن يجلسْن في محراب البحث عن الحب كلٌّ على طريقتها، لكنهن جهلْن قاعدة مهمة "أنه كلما فتَّش الإنسان عن الحب هرب منه، فالحب يأتي على غفلة؛ يأتى غيرنا عندما يجدنا وقد انشغلنا عنه باهتمامات أخرى، يدخل أرواحنا فجأة قائلاً ها أنا ذا قد جئت فهل ستوفوني حقي، أم ستهدرون كرامتي".

حاولت رضوى أن تطلب بعضًا من البطاطس المحمرة التي يُحبها

الفتيات الثلاثة لكى تخرج هند من حالتها، لكن هيهات أن تقبل هند بهذا وكأنها تتلذذ بأوجاعها وتأبى أن يكون لخروجها من حقل أوجاعها طريق آخر سوى أن يُحدثها نور.

وقفت هند فجأة وقالت:

- لا أريد شيئًا، سأذهب إلى المنزل الآن.

حاولت صديقتيها منعها، لكنها أبت أن ترضخ لكلام رضوى أو هدير ثم أعطت لهما ظهرها ووَلَّت مسرعة دون أن تعطي لنفسها فرصة لمقاومة ما حلَّ بها بسبب لهفتها الغريبة المتزايدة.

أهكذا يكون المحبين أهذه تكون اللهفة، أى عشق هذا الذي يؤدي بصاحبته إلى التعاسة وإلى إهدار مستقبلها، أتتوقف حياة العشاق على بعضهم البعض؟ وإن كانت تتوقف فهل توقفت حياة نور الآن؟ أم أنه يعمل دون اكتراث ولا معرفة بحالة حبيبته؟.

أكملت هدير ورضوى المحاضرات في صمتٍ تامٍ ومزاجٍ غير جيد على الإطلاق، وعندما انتهيتا قالت هدير:

- سأذهب أنا برفقة والدتي لقضاء بعض الاحتياجات، سأقابلها عند عمتي هنا في الشارع الجانبي التالي للكلية.

وافقتها رضوى على ضيق لأنها ستعود إلى المنزل بمفردها، لكن للأقدار أراء أخرى، والأمور لا تسير كما نتوقع دائمًا، فعندما خرجت

رضوى وفي أثناء انتظارها إلى أن تهدأ حركة السير في الشارع لتعبره، سمعت صوتًا ورائها يتحدث في هدوء:

- دكتورة رضوى!

استدارت ونظرت إليه في قلق قائلة:

- نعم يا فندم.

اعتذر هو عن ازعاجها ثم قال:

- أنا عمر أخو هند أعتذر عن الإزعاج، لكن حاولت الإتصال بهند هاتفها مغلق، ولما رأيتك تحمست لأن أطمئن منكِ.

حدثته رضوى بقلقٍ قائلة:

- حسنا لكن...

ثم تلجلجت في الحديث وصمتت.

فأجابها عمر بقلق:

- هل هناك شيء حدث يا دكتورة رضوى؟ من فضلك أريد أن أطمئن.

أجابته رضوى وقد تماسكت قليلاً:

- لا تنزعج هند قد أصابها بعض التعب اليوم ولم تكمل بقية المحاضرات وعادت إلى المنزل مبكرًا.

لزم القلق وجه عمر وهو يقول:

- سأحاول الإتصال على هاتف المنزل ربما تجيبنى.

ساد الصمت للحظات ثم قالت رضوى:

- سأتصل بها لأطمئن عندما أصل المنزل أنا أيضًا.

عاد عمر يشكر رضوى على حسن إجابتها ثم اقترح عليها أن يوصلها إلى المنزل في طريقه، لكن خجل رضوى جعلها تعتذر بطريقة مناسبة:

- لا اتفضل حضرتك، سأذهب أنا إلى قضاء بعض الأشياء قبل عودتي إلى منزلي.

شكرها عمر واعتذر مرة أخرى عن إزعاجها ثم جلس في سيارته يحاول أن يتصل برقم المنزل، لكن لا أحد أيضًا يُجيبه، تذكَّر أن والدته ستتأخر في اجتماع البنك، فزاد قلقه على هند.

الفصل الثاني

كأغلب النساء أريد من الحب الاهتمام والاحتواء.

- أين أنتِ يا هند؟

تمتمت رضوى إلى نفسها بسؤالها هذا وهى تنتظر الأتوبيس الذي سينقلها إلى منزلها، لم تفرغ الفتاة من سؤالها حتى وجدت نفسها محاصرة في شجار بين مجموعة من الشباب لا تعلم من أين ولماذا حدث؟

تملَّك البكاء الفتاة وهى تحاول الإبتعاد عن الشجار دون فائدة.

هنا التفت عمر نحو الأصوات العالية، ورأى رضوى وهي في تلك الحالة من الخوف كأن القدر يحاول إنقاذها عن طريق عمر، فنزل عمر مسرعًا نحوها وأخذها من يدها مبعدا الشباب حتى يستطيع إخراجها من هذا الشجار الشديد.

أثمرت محاولة عمر عن نجاحها وأخرج منديلاً ورقيًّا وأعطاه لها

لتجفف عينيها من الدمع، ثم أتى بزجاجة من المياة لترتوي رضوى وتهدأ، نعم عمر يُؤمن أن المياه هي الشيء الذي خلقه اللّٰه لنا ليغسل كل ما بنا من قلق وخوف ومتاعب، لا يعلم عمر من أين له الإيمان بذلك لكنه قدس المياه التي اعتبرها وسيلة مخلوقة لإراحة النفس.

هدأت الفتاة قليلاً ثم قالت" شكرًا لك".

- تعالي معي إلى سيارتي، سأُوصلكِ إلى المنزل.

أجابها عمر بتك الكلمات بنبرة قوية. وكأنه يقول لها" قولت لكِ منذ البداية أن تأتي معي فطريقنا واحد".

أجابته رضوى وقد هدأت أكثر:

-- لا عليك فقط إن أردت مساعدتي استوقف لي تاكسي، لم أعد أتحمَّل أن أنتظر أكثر أريد أن أصل إلى منزلي.

نظر إليها الفتى بشيء من الغرابة ثم قال:

- حسنا سأفعل ما تريدينه.

واستوقف عمر التاكسى ثم همس للسائق ببعض الكلمات مشيرًا إلى سيارته وقال وهو يفتح لها باب السيارة الخلفى:

- اتفضلى حضرتك.

دلفت رضوى التاكسي ونظرت إلى السائق من المرآة قائلة له عنوان

منزلها، لكنه أشار بيده نحو عمر الذي يقوم بركن سيارته ثم أجابها:

- حاضر يا فندم، ثوانى الأستاذ بيركن عربيته بس.

تملك رضوى الدهشة وأثارت إجابة السائق عليها بعض التفكير منه "ما هذا الرجل، يصمم أن يوصلني إلى المنزل وعندما أرفض يحاول هو أن ينفذ ما يريده هو بطريقة ما".

تلحفت رضوى بالصمت حين دخل عمر إلى التاكسي، فالصمت هو الشكل المفضل في حضرة غرابة الحدث، لَكَم كان الصمت قديسَ مجالسنا، وراهبَ ثرثرتنا، وحكيمًا حين يعجز الكلام عن التعبير عما بدواخلنا من تساؤلات، ومحررًا لأرواحنا حين تحتاج تلك الأرواح إلى هدوء وسكينة، وفي حالة رضوى تلك كان هو المفضل لأنها لم تعد قادرةً على رفض ذوق إنسان أصرَّ على أن يطمئن عليها بتوصليها إلى المنزل بشكلٍ أو باخر.

وصلوا في أقل من ساعة ووجدت رضوى نفسها أمام العمارة ذات البوابة الكبيرة السوداء، وهنا قام عمر بقطع الصمت قائلاً:

- حمد لله على السلامة يا فندم.

فجاءت ربكة في نفس رضوى لا تعلم مصدرها، ربما القلق أو شيء آخر لا يعلمه سوى المطلق، لكن الفتاة قطعت كل ذلك باجابتها على عمر:

- شكرا لك، سأتصل بهند كي أطمئن عليها.

أومأ عمر برأسه ونظر إلى شاشة هاتفه، كأنه يقول لها بتلك النظرة أن أخته لا تجيبه رغم محاولاته العديدة للاتصال بها، وهنا قطعت رضوى تفكيره وابتسمت له وقالت:

- اطمئن! ستجد هند بخير.

بادلها عمر الابتسامة ثم صعدت بخُطى ثابتة إلى الدور الثالث وأولجت المفتاح في باب الشقة وارتمت على أول كرسي قابلها

ارتاحت رضوى قليلاً حين قابلتها أختها الصغيرة ذات السنوات التسع والبشرة الخمرية فاتحة ذراعيها الصغيرين لتحضن بهما أختها المُجهَدة، وردَّت رضوى الاحتضان بقبلةٍ على جبين الصغيرة ثم ابتسمت وقالت:

- ما تريدينه داخل الحقيبة، يمكنكِ أخذها.

ضحكت الصغيرة وعيناها تلمعان من الفرحة ولم تنتظر طويلاً وجرت نحو الحقيبة تفتحها وهى تقول:

- الألوان اللذيذة، أحب الألوان أكثر من حبي للشيكولاته.

أخذت الصغيرة الألوان وهرولت نحو غرفتها بعد أن أعلت من صوتها قائلة:

- ماما، رضوى جابتلي الألوان.

هكذا هي الصغيرة علمت رضوى درسًا جيدًا دون قصد وهو أنه يجب علينا أن نحب ما نريد لا ما يفضله الآخرون.

لم تتمهل رضوى هي الأخرى كثيرًا حتى هرولت باتجاه مطبخهم الصغير نسبيًّا لتجد والدتها تجلس على الكرسي الخشبي ومن أمامها المنضدة المتوسطة الحجم ومن عليها الطماطم بلونها الأحمر، والبازلاء بلونها الأخضر، والأرز بلونه الأبيض، ومن خلفها آنية زرقاء اللون موضوعة على شعلة من النار، هكذا هي أم رضوى تقبع في المطبخ لتتقن فن الطبخ للكبار والصغار بعد عودتها من إتقان فن تدريس اللغة العربية للصغار من الصف السادس الإبتدائي.

لم تكد الإبنة تصل إلى والدتها حتى شعرت أمها بما يعتمل في نفس ابنتها من حديث، فبادرت الابنة والدتها الحديث وأخبرتها بأن شيئا ما حدث اليوم، لكنها تود أن تستريح لبعض الوقت قبل أن تتحدث إليها فيه، وافقتها والدتها وأخفت خوفها بداخلها، ورضيت برغبة ابنتها في أن تستريح من زحمة اليوم قليلاً، هكذا هي علاقة رضوى بأمها صداقة أكثر من أى شيء آخر، سارت رضوى في اتجاه غرفتها وتمتت بالحديث قائلة:

– نعم أنا أعيش بتلك الفضيلة؛ فضيلة البوح لها بل على الأكثر أنا أشعر بالذنب حين لا أحدثها عن ما يحدث لي بالتفصيل. فإليكِ السلام من السماوات والأرض أيتها الأم العظيمة على احتوائك لي في كل أوقاتي.

ها هي رضوى دخلت غرفتها المشتركة بينها وبين أختها الصغيرة، فوجدت رميساء تجلس على كرسي مكتبها الملون بألوان الربيع ومن أمامها ألوانها الجديدة وأوراقها البيضاء التي تستمتع بالرسم والتلوين عليها، قطعت رضوى استمتاع أختها بالألوان وحدثتها قائلة:

- رميساء أحتاج إلى النوم هل يمكننا أن نطفىء المصباح لبعض الوقت.

ولكن الصغيرة أجابتها ببراءة الأطفال قائلة:

- امتى بقى أكبر ويكون لي أوضة لوحدي.

شعرت رضوى أنها أهانت لذة الصغيرة لمجرد رغبتها كأخت أكبر منها في النوم، وحينها قالت لها:

- سوف أجلس معكِ لبعض الوقت على مكتبى لقضاء بعض الأشياء.

جلست رضوى على مكتبها الأسود المقابل لمكتب أختها ومسكت بمذكراتها لكن غلبها النوم قبل أن تكتب أي حرف مما حدث لها اليوم، فوضعت رضوى قلمها الرصاص وسط صفحة عبثية من صفحات المذكرات، وجرَّت قدمها نحو فراشها الأزرق اللون ونامت في الضوء بعد أن استبدلت ملابسها التي بدت رائحتها برائحة تعب اليوم.

لم تشعر رضوى بنفسها إلا والصغيرة رميساء توقظها من نومها بصوتها الطفولى قائلة:

- رضوى! صحبتك هدير على التليفون.

فتحت رضوى عينيها بتعبٍ مرددة اسم هدير ثم نظرت إلى شاشة هاتفها وجدته قد نفذ شحنه، فتوقعت حينها أن هدير حاولت الاتصال على هاتفها ووجدته مغلقًا فاتصلت على هاتف المنزل، نهضت الفتاة من فراشها متجهة نحو الهاتف الموضوع على منضدة صغيرة من زجاج في حائط غرفتها، ولكن من الخارج وكانت مكالمة هدير بعد التحية والسلام بمثابة الاطمئنان على هند الذي مازال هاتفها مغلقًا إلى الآن، وأخبرتها بأنها حاولت الاتصال على هاتف منزل هند لكن بلا جدوى، ثم اقترحت هدير على رضوى أنه في حالة عدم إجابة هند فسيذهبا إليها في الغد ليطمئنا عليها بما أن يوم الجمعة لن يتلاقوا في الجامعة.

- أين ذهبت هند ولِمَ هاتفها غير متاح.

تمتمت رضوى بتلك الكلمات وهي متجهة إلى غرفتها، لكن لم تمهلها والدتها كي تستمر في التفكير في أحوال صديقتها، فقد وجدت والدتها من خلفها تريد معرفة ما حدث، فشرحت رضوى كل ما حدث في أمر الشجار، وأمر توصيل عمر لها، لكن العجيب أنه لأول مرة لا تناقشها والدتها بل ترمي لها ببضع كلمات:

- إن الوضوح والصراحة عهدتهما عليكِ يا رضوى

ثم أكملت جملتها بقولها" يلا الغدا"، لم تجد هند أكثر من ابتسامة

للرد على كلمات والدتها، ثم سرحت في ملكوتها بعد أن أعطتها والدتها ظهرها متجهة صوب باب الغرفة، مسكت الفتاة بأجندتها، لكن قبل أن تفتحها دار في رأسها خوفٌ من حديث والدتها، هل كلماتها الأخيرة تنم عن خوفها من أن تخبىء عليها ابنتها ما سيحدث في الأيام القادمة أم أنها كلمات عابرة من خوف أم على ابنتها.

طردت الفتاة أفكارها ثم فتحت أجندتها على الورقة التي تفرق بين نصفي أجندتها بقلمها ثم وقع نظرها على رسالتها العاشرة من رسائلها إلى شبيهها الذي لم تلتقِه بعد تقول فيها "كأغلب النساء أريد من الحب الإهتمام والإحتواء، هذه رسالتى العاشرة إليك، أنتظرك كل ليلة لكن دون جدوى، ويبدو أن الحب حقًّا لا يأتي لمن ينتظره، لكن على الرغم من كل ذلك سأظل أكتب إليك بقلبٍ من لهفة حتى ألتقيك، واليوم سأقول لك إني أريد زيادة على الاهتمام والإحتواء عقلاً ينظر إلى عقلي ويشاركه أحلامه وأفكاره، ويسعى لتحقيقها بكل ما يملك من طموح، كما أريد يا عزيز روحي أن يطوق أحلامنا طهر حبنا، فهل لي هذا أم ستبخل الأيام عليّ به؟، نسيت أن أقول لك إني وددت صديقًا، ومن أولى أن أصادقه غير حبيبي الأبدي، رسالتي إليك اليوم قصيرة لكنى كتبتها بكل إحساس فهل قرب لقاؤك ؟"

ما إن فرغت عين رضوى من قراءة الرسالة حتى وجدت أنامل رميساء تداعب يدها وصوتها يأتى في فرحة الأطفال:

- بتقولك ماما يلا الغدا، يلا أنا جعانة".

لم تتخيل رضوى أن يغلبها النوم بعد الطعام إلى ظهر اليوم التالي، ولم تدرك حينها كيف نامت كل هذا الوقت؛ أهو الإرهاق الجسدي أم النفسي أم لا علاقة له بهذا ولا ذاك، ثم تذكرت كلام أحدهم حيث قال لها ذات مرة أن من رأيه الشخصى "أن النوم الكثير قد يكون نوعًا من الهروب، وربما يكون هذا الهروب هروب من شخص معين نريد أن نخفيه عن ذاكرتنا."

فى الغالب رضوى لم تعِ السبب الواضح وراء هذا الكم من النوم، لكن ما اهتمت به أول شيء هو الإتصال بهند، لكن للأسف بقي الأمر كما هو عليه؛ لا إجابة من هند ولا اطمئنان عليها. لم يمهل طرق باب المنزل مجالاً لأن تتصل بصديقتها هند، فتركت رضوى الهاتف جانبًا وخرجت من باب غرفتها لتجد أختها الصغيرة بصوتها المرح:

- إنتي عارفه مين بره؟..... صاحبتك الحلوة هدير.

كانت صغيرتنا تلقب هدير بالحلوة ودائما ما كانت تشبهها بقولها "عينيها خضرة شبه قطتي".

آه نحن نحكم على الأشياء في مراحلنا الأولى بطهرنا الكامل ننظر إليها بعين الجمال ثم نتحول شيئًا فشيئًا عن فطرتنا الطاهرة وننظر إلى الأشياء بطريقة أقل نقاء وأقل براءة إلا من رحم ربي.

وبعد أن تخللت يد رضوى شعر الصغيرة وأخبرتها بأن تخبر هدير بأنها قادمة، جَرت رميساء من أمام أختها وهى تقول" حاضر، حاضر".

خرجت رضوى بعد أن استبدلت ملابس النوم، وبعد السلام والترحيب بهدير أخبرتها بأن صدرها لا يسع غياب هند بهذه الدرجة حاولت رضوى اقناعها بأن يذهبا إلى هند بعد الرابعة عصرًا كي يكون الوقت مناسبًا، لكنها أبَتْ وأصرتْ أن يذهبا سويًّا في الوقت نفسه الآن ليس بعد.

دقَّت الساعة الثانية بعد الظهر، وتخلل صوت الساعة صوت فتح الباب من قبل هدير وعلت يدها كتف رضوى وهي تقول:

- اتفضلي يا رضوى لازم نطَّمن عليها.

هكذا وجدت الصديقتين نفسيْهما في الشارع، والشمس تلتقي بهما وتؤلم رأسهما، ولا يوجد وسيلة مواصلات متوفرة، وبصعوبة وَجَدَا اثنان ينزلان من التاكسي، فركبا مكانهما ووصلا منزل هند، وما إن قرعت هدير جرس الشقة حتى فتحت والدتها الباب في لهفة وهى تقول" هند" نظرت الصديقتين في استغراب وأجابت هدير قائلة:

- ماذا بهند؟ هل هي بخير هاتفها مغلق منذ أمس، وودنا أن نطمئن عليها.

أدارت والدة هند وجهها والدموع في عينيها وقالت:

- هند لم تتصل وغائبة عن المنزل منذ أمس.

أسرعت هدير في إحاطة والدة هند بيديها كأنها تود أن تُخفيها عن وجعها، آآه!!! لَكَم يكون احتضان واحتواء من يحبوننا سلْوانا في مآزق الحياة، وها هي هدير تحتل دور الصديقة البارّة وتحاول تهدئة والدة صديقتها ببضع كلمات:

- من فضلك اهدي يا طنط أكيد هنوصلها هي هتكون راحت فين يعني.

نظرت هدير لرضوى في حيرة فخشيت رضوى أن تظن والدة هند أنهما يعرفان مكان هند فتحدثت قائلة:

- لعلها عند أحد أقاربكم".

لم تمهل الوالدة رضوى حتى قطعت كلامها وأخذت نفسها في صعوبة وقالت:

- "يا بنتى لو كانت عند حد كانت هتتصل من هناك، وكمان أنا اتصلت بكل معارفنا محدش يعرف عنها حاجة.

ثم صمتت قليلا وقالت وكأنها تذكرت شيئًا طارئاً جاء على ذهنها:

- عمر يمكن وصل لحاجة.

فنظرت الوالدة حولها وطلبت من رضوى أن تأتي لها بهاتفها من على المنضدة كي تتصل بابنها لعلّه وصل لشيء ما.

فعلت رضوى ما طلبته منها والدة هند، لكنها بعد أن تناولت الهاتف من يدها رمت به إلى جوارها وبعد أن رفعت نظارتها البيضاوية وحملقت إلى شاشة هاتفها قالت" ده فصل شحن" ثم أكملت بنفاذ صبر:

– من فضلك يا رضوى اتصلي بعمر من تليفونك... هديكي الرقم.

ارتبكت رضوى قليلاً لكنها في حضرة الموقف لم يسعها شيء غير الموافقة على طلبها.

أمّلت والدة هند رقم عمر واتصلت به رضوى وما إن سمعت صوته حتى ناولت الهاتف لوالدته، لكن ردها على عمر لا يدل إلا على شيء واحد أن عمر لم يتوصل إلى مكان أخته إلى الآن.

وما فعل اتصالهم بعمر غير زيادة حدة الموقف، وفي حضرة بكاء والدة هند لم تأخذ الشجاعة رضوى للبوح لها عما حدث بالأمس، وأخذت رضوى تتحدث إلى عقلها بكلمات:

"مؤمنة أنا أن الشجاعة تفرّ من المرء حين يحتاجها لا بقوة ولا بضعف، تأتيه فقط حين يكون أضعف ما يكون أو أقوى ما يكون، لكن في حالات التوسط فالشجاعة تفر هاربة منا، اعتقادات غريبة في شخصيتي لا أعرف من أين آمنت بها، لعلّني اقتبستها من أحدهم أو لعلها تكونت في شخصيتي بفعل بعض المواقف، لكن على كل حال أنا لا أعرف بالضبط إلى أي شيء ترجع قناعاتى."

لم يمهل فتح الباب بواسطة عمر أن تكمل رضوى تفكيرها. فنظر الجميع إلى عمر وهو يضع المفاتيح على كرسي بجوار باب الشقة، ولم تمهله والدته حتى الدخول إليها وقابلته في منتصف الصالة وهى تجر قدميها من الخوف، وقفت هي على سجادة دائرية بلون بنيّ ثم قالت والبكاء يخالط صوتها:

- أختك فين، جيت من غيرها ليه يا عمر.

حينها أمسكت هدير بيد رضوى ووقفا سويًّا في اتجاه عمر ووالدته وحين نظرت رضوى إلى عمر منتظرة إجابة منه على سؤال والدته أين أخته صفعها سؤاله لها وهو يقول:

- آنسة رضوى مش قولتي لي امبارح إن هند جالها صداع وروحت البيت؟

ضغطت رضوى على يد هدير وارتبكت للحظات، وأصابها الخوف على هند وأصابها أيضًا سهم الخوف على سرها فهل تبوح به وتروى لهم موضوع نور أم تخون صديقتها وما باحت لها به من سر.

أنهت هدير الربكة بصعقة وقالت:

- دعونا نتصل بنور.

أذهل رضوى رد هدير الغريب وقالت:

- نتصل بمن؟ ثم صمتت وقالت في نفسها من أين أتت هدير برقم

نور؟ أسئلة لا حد لها أتت في مُخيلة رضوى، وأسرعت الفتاة في النظر إلي صديقتها في استغراب ولم يمهلها القدر لتستوعب أكثر ما قد قيل، لتجد باب الشقة يُفتح بواسطة هند ووجها شاحب ثم سقطت مغشيًّا عليها.

وضعت رضوى يدها على وجهها وصمتت، ووجدت والدة هند وأخيها وهدير قد نزلوا عند جسد هند القابع على الأرض في رجاء لها لأن تفيق، ولم تسع نفس رضوى بأن تنطق كلمات المواساة وكل ما فعلته أنها أخرجت هاتفها من حقيبتها واتصلت بوالدتها.

أخبرت رضوى والدتها أنها ستتأخر لبعض الوقت لما تمر به هند من مرض، ووافقت والدتها وفي أثناء ذلك اتصل عمر بالطبيب، وما أن وضع سماعة الهاتف المنزلي حتى هرول نحو أخته، وحملها ودخل بها نحو فراشها، وأزاحت والدته حاسب هند المحمول فضي اللون، ثم وضع عمر أخته في فراشها بهدوء، وخلعت هدير حذاء هند من قدميها وأسدلت والدتها الغطاء عليها بمساعدة هدير، وقبع الجميع ينتظرون الطبيب، لم يستمر الصمت طويلاً حتى طرق الطبيب جرس المنزل مُعلنًا عن وصوله.

دخل الطبيب وخرج الجميع ولم يتبقّ في الغرفة سوى هند ووالدتها، مرت لحظات انتظارهم خروج الطبيب ببطءٍ كالسلحفاء، آآآآه! كم هو الزمن يفعل بالبشر الأفاعيل، يُسرع جدًّا في اللحظات السعيدة التي

يود أصحابها لو يتوقف الزمن ولا يتحرك، كي يحظوا بأقصى سعادة ممكنة في أطول وقت ممكن، ويبطءٍ جدًّا في الأوقات العصيبة التي يود أصحابها لو يمر الزمن بأقصى ما يمكن، وأن ينكسر حائط الانتظار للخروج من أزماتهم، هكذا هو الزمن نسبيٌّ حسب جمال الموقف أو بشاعته.

نظر عمر إلى رضوى وهما ينتظران الطبيب أمام غرفة هند وقال:

- آنسة رضوى ما الذي حدث بالأمس.

فأجابته رضوى بقلقٍ وخرج صوتها ببحَّة الخوف وقالت:

- ما ذا حدث في أي شيء.

ثم صممت قليلاً معاقبة لنفسها على مراوغتها في الاجابة على سؤال عمر فبدلاً من أن تجيبه سألته سؤالاً آخر ربما لتضييع الوقت، ويخرج الطبيب فينشغل عمر أو لتأخذ فترة زمنية أكبر ومهلة للتفكير أكثر في إجابة السؤال. في كل الأحوال شعرت رضوى أنها في مأزق حقيقى لا تستطيع التصرف فيه.

مضى الوقت أكثر ثم قال عمر:

- يا فندم بالأمس ماذا حدث لهند وأين ذهبت بعد خروجها من الجامعة.

كانت رضوى امرأة محظوظة حين رن هاتفها فقالت:

- أعتذر، أعطنى بعض الوقت من فضلك.

هكذا هو القدر يُساند رضوى في عدم الإجابة مرة تلو الأخرى. أخرجت رضوى هاتفها من حقيبتها السوداء ونظرت إلى شاشته فوجدت أن المتصل والدتها فأجابتها وطلبت منها أمها أن تتحدث إلى والدة صديقتها هند لكي تطمئن على ابنتها، فاعتذرت لها رضوى وأخبرتها أن والدة هند مشغولة مع الطبيب وهما في غرفة هند.

لم تكد رضوى تغلق الهاتف حتى فُتحت الغرفة وخرج منها الطبيب وحده، فأسرع عمر في سؤاله عن أخبار أخته وأجاب الطبيب قائلا:

- الحالة لا بأس بها، فقط تعرضت هند لهبوط حاد في ضغط الدم.

ثم أخرج الطبيب قلمًا وروشته وكتب مجموعة من الأدوية والمحاليل، وطلب من أخيها أن يأتى بها على الفور وأن ينتظم في إعطائها لها في المواعيد المقررة.

خرج عمر مع الطبيب بعد أن شكره وأسرعت رضوى وهدير في الدخول إلى غرفة هند ووجدت والدتها تدعوا اللّه أن يخفف ما في ابنتها من مرض وأن تفيق وتطمئن منها أين كانت بالأمس.

وضعت هدير يدها على كتف والدة هند وقالت:

- من فضلك اطمني.

ولم تنطق أي كلمة بعدها، هنا طبعت رضوى قبلة على جبين هند وسلمت على والدتها وفعلت هدير كما فعلت رضوى واستئذنتا في الخروج بعد إخبار والدة هند بأنهما سيُعاودَا المجيء إلى هند بعد أن ترتاح لبعض الوقت، ثم حملتا حقائبهما وخرجتا من المنزل.



الفصل الثالث

إلى المتسرِّعات اللواتي يُرِدْن ترك ساحة المشاهدين، والدخول إلى مسرح العشق، تمهَّلْن فالحب قدر

تواعدت الصديقتان رضوى وهدير على أن يتلاقيا في الجامعة في صباح الغد، كما اتفقتا على عدم الإتصال بهند بقية اليوم لتهدأ قليلاً مما هي فيه، على أن يذهبا إليها بعد انتهائهما من المحاضرات في اليوم التالى.

وبعد حوار الصديقتين استوقفا تاكسي وذهبت كل واحدة إلى منزلها وأثناء جلوسهما لم تنطق أي منهما بأية كلمة، ربما لشرودهما فيما حدث لهند وإرهاقهما مما حدث.

بعدما نزلتا الصديقتين من التاكسى أعطت هدير قبلة لرضوى وقالت "لا تتأخرى غدا" ثم انصرفا إلى منزليهما.

وعند باب الشقة أخرجت رضوى المفتاح من حقيبتها ثم أولجته في

الباب وقد جرَّت حقيبتها وراءها إلى أن تركت يدها الممسكة بالحقيبة إلى أن استقرت على الأرض بينما استقرت هي على الكرسى المجاور لباب الشقة ورفعت رأسها إلى أعلى تدعو اللّه قائلة:

- فليشفها اللّه وليحاوط الرب قلبها بأمان السماوات.

بعدها تنفست بقوة ودفنت رأسها بين يدها ومسحت وجهها كأنها تغسله ثم قامت وأخبرت والدتها عن وصولها، فتساءلت والدتها عن صحة هند وأخبرت الأم رضوى عن رغبتها في الإتصال بوالدة هند ثانية، فعبرت رضوى عن موافقتها النسبية بسؤال وقالت:

- هل يمكننا أن ننتظر للغد لعلهم بحاجه إلى الراحة؟

ومن بعدها أعلنت الفتاة لوالدتها عن رغبتها في النوم. دخلت رضوى غرفتها واستبدلت ملابسها وصلَّت لربِّها ودعت لصديقتها بالشفاء.

مكثت رضوى في فراشها وأسندت رأسها إلى ظهر السرير وقالت بتلقائية:

- لكم وددت أن أعلو بصوتي محدثة شبيهاتي في الجنس بكلمات "أيتها المتسرعات االواتى تردن ترك ساحة المشاهدين والدخول إلى مسرح العشاق، تمهلن فالحب قدر" .

تنفست رضوى الصعداء وقالت بعبثية: أنا على حق فالتسرع في كل شيء خطيئة فما بالنا بالحب". ثم نظرت إلى أعلى وهـزَّت رأسها

وقالت" لربما أقول كل هذا لأني كرهت التسرع في العشق من جراء ما يحدث لهند".

تقلبت رضوى يمينًا ويسارًا على فراشها، لكن لا نوم لها في ظل قلقها بشأن ما تذكرته من وجود رقم نور مع هدير فقررت أن تتحدث إلى صديقتها في الجامعة صباحًا، لكنها لم تطق صبرًا فقامت ممسكة هاتفها متصلة بصديقتها وبعد السلام قالت:

- هدير، أنا ما اعتدت المقدمات معكي وككل مرة أريد أن أعرف فيها شيء منكِ تكون الصراحة طريق.

هنا قاطعتها هدير وقالت:

- ألا تعتبر تلك مقدمة وضحكت بقلق.

لم تجب رضوى هدير بضحكة مماثلة لكنها أكملت حديثها قائلة:

- اليوم أود منكِ أن تجيبي على سؤالي بصراحة؛ من أين جئتي برقم نور، وخاصة أن هند لطالما كانت حريصة على عدم إعطائنا أي شيء يخص نور؟

ساد الصمت بين الصديقتين ثم بدأت هدير في التحدث قائلة:

- سأتحدث لكن أرجوكِ لا تقاطعينني.

أبدت رضوى موافقتها على عدم مقاطعة هدير ومن هنا بدأت هدير

تجيب صديقتها قائلة:

- عن ماذا أتحدث وأنا أنثى في مجتمع شرقي، صدقيني يا رضوى أنا لا أعرف من أين أبدأ حديثي، لكني سأسير بعشوائية في كلامي معكِ كالسير في حياتي عامة، تنهدت هدير ثم قالت "ربما يا صديقتي الاختيارات بالنسبة للشرقية نوع من الأحلام البعيدة المنال، لا أدرى ماذا أقول لكِ لكن ربما تشعري من عشوائيتي في الحديث بشيء ما في داخلي قد أثقلني كثيرا"

قاطعتها رضوى وقالت سأسير معكِ بنفس العشوائية وأعدكِ أن لا أقاطعكِ ثانية، فأكملت هدير حديثها بوجع:

- أه يا رضوى أنا من سيلقبونني بالدكتورة هدير بعد بضعة سنوات، لكن هل أنا كهدير اخترت ما أرغبه أم اخترت ما يرغبه والدي ووالدتي ومجتمعي الصغير الذي اختار بناءً على رغبة المجتمع الكبير الذي نعيشه، الشكل الاجتماعي، المكانة، المال، الشهرة، المكانة بين الناس كلها كلمات اعتدنا عليها وهى كلمات برَّاقة لكن في جوفها سم قاتل للاختيارات، رضوى أنا امرأة لم تكن حرة في اختياراتها، أنا غبية خضعت لزيف الاختيارات المجتمعية، سأعترف لكِ يا رضوى أنا أحب مجال المحاماة أكثر من أي شيء، تخيلي نفسك تدافعي عن شخص يكافح في الوصول إلى حقه أو تخيلي أنكِ أخرجتِ أحدهم من ورطته التي تورط فيها فقط لحسن نيته، المحاماة يا عزيزتي تدمجكِ في

واقع البشر، تهبكِ كل ما تحتاجينه وأكثر، لكني عندما ذكرت هذا لأهلي قاطعوني ولم يكن عندي الشجاعة لأن أعارضهم، أو أن أظل متحملة بشاعة القطيعة بيني وبينهم، ثم أعلت هدير من صوتها قليلاً وقالت والبكاء يخالط صوتها" أنا ضعيفة يا رضوى"

هدأت رضوى من بكاء هدير وبعد أن هدأت قليلا قالت:

- لعلكِ يا صديقتي أخرجتي حملاً صغيرًا من على قلبكِ، نعم صغيرًا صوتكِ به كثير من الأسرار التي لم ترويها بعد، أنا فرحة بشأن ثقتك بي، لكن ما يربكني أنني لا أستطيع أن أربط بين كل ما ذكرتيه وبين الإجابة على سؤالي" من أين جئتِ برقم نور؟".

بكت هنا هدير بشدة وقالت:

- أرجوكِ لا تتضغطي عليّ بالحديث".

ما كان من رضوى إلا أن تقبلت صديقتها في رجائها وقالت:

- لا عليكِ يا هدير تحدثي إليّ في الأمر وقتما تشائين.

تقبلت هدير طلب رضوى لكنها طلبت أن تغلق الهاتف لتسريح قليلا وفعلت رضوى ما أرات صديقتها.

تنهّدت هدير بعد أن أغلقت الهاتف مع رضوى ثم أسرعت في الذهاب إلى غرفتها الصغيرة التي تمتلكها هي وأختها الأصغر منها بعامين،

ولحسن حظ هدير كانت أختها تجلس مع بنت عمها في غرفة المعيشة للثرثرة كعادة أبناء العم، وقد قدمت مع والدتها من محافظة الغربية لشراء بعض أعراض عُرسها، ولهذا أقامت في منزل عمها هي ووالدتها لحين الانتهاء من تلك الأغراض.

هكذ رحم القدر هدير من تعليقات أختها على بكائها وانفعالها، ببساطةٍ لأنها لم ترَها، وقد عُتقت هدير بهذا من أن تتصنع البهجة وهى على غير ما يرام، ها هي هدير ستمتلك الغرفة لنفسها لبضع ساعات قادمة، وستستطيع أن لا تنافق مشاعرها مع أحدهم، فكم من المرهق أن يخفي المرء مشاعره فيظهر بدلاً من التعاسة فرحًا أو العكس، من المؤلم حقًّا أن ينافق الإنسان مشاعره لكرهه لأسئلة الآخرين التي دومًا تبدأ بكلمة" لماذا، لِمَ"

-لماذا الحزن؟

-لِمَ كل هذا الفرح؟

-لِمَ البؤس ؟

-لِمَ الحيرة ؟

-ولِمَ ولِمَ ولِمَ........؟

وحينها لا يكون بوسع المرء سوى أن يكذب مشاعره ليمنح نفسه بهذا الكذب قدرًا أكبر من الخصوصية، وليعتق من كم الإجابة المطلوبة

للإجابة على أسئلة الآخرين المقيدة لمشاعره. مَنحت هدير نفسها راحة على سريرها الصغير الذي لطالما خافت من فقده، والذهاب إلى فراش رجل لا يعرف عنها شيء سوى "اسمها ومؤهّلها وسنّها" رجل لا يعي فكرها ولا أي شيء سوى أن الصدفة جعلت أحد أفراد معارفه يقترحون عليه الزواج من تلك الفتاة المناسبة، تخشى هي من الذهاب مع رجل لا تعرف عن اتجاهاته شيء ولا تفقه أفكاره.

بأى حالٍ تنهدت هدير وقالت بصوت مسموع:

- ماذا تودِّي أن تعرفى يا رضوى.

ثم أخذت جرعة ماء وحدَّثت رضوى كأنها أمامها وقالت:

- نعم يا رضوى! أنا من استغلت فرصة ترك هند لهاتفها بجوار حقيبتها في المدرج وذهابكما لشراء زجاجة من المياه وتعلَّلتُ أنا بالإرهاق وعدم قدرتي على الإتيان معكما، وأني سأظل في انتظاركما، ومُدت يدي على هاتف هند وتفحصت الأسماء حتى حصلت على رقم نور وسجلته على هاتفي لا لشيء سوى للبحث عن حسابه الفيسبوكي لعلني أصل إلى حساب صديقه "هيثم" الذي رأيته معه صدفة من قبل، وحين قدمه نور لي أنا وهند قال:

- هذا المهندس هيثم صديقي.

وحاولت بعدها أن أعرف أي شيء يخصه من قبل هند، لكنها كانت

ترفض بشدة متعللةً أنها لا تودّ أن تقول أى شيء تخص نور من قريب أو من بعيد، وبالرغم من أنها كانت تروي لنا أحيانًا بعض المشادّات بينهما إلا أنها دومًا كانت تقف عند حدود معرفة أي شيء يخص الإتصال به أو بأصدقائه أو ما شابه ذاك.

فحاولت أنا الطائشة يا رضوى أن أصل إلى حساب نور الفيسبوكي كي أصل إلى حساب هيثم لكن لم يزدنِ البحث إلا خيبة، حينها فكرت فقط في معرفة رقم نور كي يكون البحث أسهل لي، لكن أقسم لكِ يا صديقتي أن شجاعتي إلى الآن لم تجعلنِ أفعل أى شيء سوى معرفة حساب هيثم عن طريق نور فقط، وخشيت أن أسرد وقائع تلك القصة أمامكما فكانت هند ستتهمني بالخيانة لأنني لم أحفظ ما أؤتمنت عليه، وستكون محقة؛ فأنا خائنة لميثاق الصداقة بلا شك، ولا أعلم إن كان مبرري سيليق بالغفران أم يليق أكثر بقبح المبرر.

وكنتِ أنتِ يا رضوى بدون شك ستتهمينني بالجنون لأنني أود أن أتعرف على رجل لا أعرف منه سوى اسمه، وإن تعللت لك بأني أود أن أعرفه كي أتعرف على فكره وكي لا أجد نفسي مُجبرة على فكر أحدهم ستتضعين مبرري موضع مبررات المراهقين، وستتهمينني أن تصرفاتي تنبع من اللاعقل، لكن اذكري لي يا رضوى أيّ عقل هذا لفتاة تخشى أن ترتبط بأحد الأفراد دون أية معرفة فكرية به، فتاة ستختار هذا الارتباط لأنها لا ترغب في قطيعة أهلها وخشية أن يرحل

أحد أفرادها وهو غاضب منها، أريد أن أختار مصيري مع أحدهم قبل أن يختار مجتمعي الصغير مستقبلي الأسري كما اختاروا لي مسبقًا مستقبلي المهني.

أعرفتي الآن يا عزيزتي ما هو الربط بين سؤالك وحديثي عن الإختيارات.

بكت هدير من جديد وكاد أن يعلو صوتها في البكاء لكنها تذكرت ما يقيدها في الخارج وخشيت من الأسئلة فكتمت صوتها بداخلها. أغمضت هدير عينها بتلقائية من كثرة البكاء ولم تفق من نومتها إلا وهيام أختها تزيح من على رأسها الوسادة التي قد أخفت رأسها بها، وها هي لمياء ابنة عمها تضيء المصباح، وتتخالط الأصوات بين لمياء وهيام وهما يتمازحان ويوقظان هدير في حماسة ويقولان:

- يلا يا هدير قومى اتفرجى على اللى احنا اشترناه النهاردة.

حاولت هدير التخلص منهما والبوح برغبتها في النوم لكن لا فائدة منهما، وهنا رضخت هدير لرغبتيهما وبدأت لمياء في اخراج بعض القطع من الملابس وهى تقول:

- ايه رأيك في دى يا هدير.

ومن بعدها هيام تقول:

- لا شوفى دى أنا اللى اخترتها.

وهكذا تبادلْن القطع، وقالت هدير كلمات محفوظة نابعة من لسانها لا من منبع عقلها:

- جميلة، هتكون حلوة عليكي، ألف مبروك.

لسان هدير يتحدث، وعقلها في ملكوت آخر في فكر آخر تتساءل "هل فقط ما يسعد الفتيات المشتريات؟ وكيف عرفت لمياء خطيبها؟ ولِمَ اختارته هو دون غيره، أو ربما هو أول خاطب لها ووافقت عليه"، لم تمهل هيام هدير في سرحانها وأخذت تهز كتفها وهي تقول:

- هدير روحتي فين؟

وأجابتها لمياء بدلاً من هدير بتهكُّم:

- أكيد بتفكر في عريس أحلامها.

اتخذت هدير من المزح فرصة ثم أزاحت قطع الملابس المتناثرة فوق السرير وقالت:

- صحيح يا لمياء انتى اتخطبتى ازاي؟

ضحكت لمياء وبنت عمها هيام ثم قالت:

- زي ما كل البنات بتتخطب"

ودون أدنى تفكير من هدير انطلق صوتها في انزعاج قائلة:

- أيوه يعني عرفتيه فين يعني؟

نظرت لمياء وهيام بعضهما إلى بعض ثم قالت هيام:

- عرفته فين؟ هو معرفة واحد صاحب بابا، وجه اتقدم في البيت، وبابا وماما قالوا وظيفته كويسة ومستقبله مضمون فوافقت بيه.

لم تمنحْها هدير وقت أكثر لتكملة الحديث وسألتها:

- يعني انتي قعدتي معاه وشوفتي تفكيره وبعد كده وافقتي؟

أجابتها ابنة عمها بتلقائية قائلة:

- بصي يا هدير أنا واختك في رابعة تجارة وهنتخرج مش هنلاقي شغل، وأنا لقيت وظيفته كويسة ومستقبله كويس هاكون عاوزه إيه تاني بقى غير إني أعيش لحظات الأمومة وولادي يكون متأمن مستقبلهم، واسكتي بقى عشان تعبتينا بأسئلتك دي.

لم تمهلْ هيام ولمياء هدير لتكملة حوارها، وتبادلا المزاح ثم قالت إحداهما للأخرى:

- دى دماغها هتموتها، سيبك منها وهاتي بقية الأكياس نتفرج.

هكذا كان حديث هدير بالنسبة إلى أختها وبنت عمها كلام تافه، وهكذا هم أغلب البشر عندما يجدوا أن للآخر فكرًا مغايرًا واختيارات مخالفة للقواعد السائدة والنماذج الموجودة يتهمونه بالتفاهة، بل في بعض الأحيان يُلبسوا أنفسهم واختيارتهم ثوبًا من قداسة، ويرون الآخر

بثوبٍ من شيطانٍ.

تركت هدير أختها وبنت عمها في ثرثرتهما وضحكاتهما ودخلت هي في موتة صغيرة من نوم، نامت هروبًا من وجعِ روحها، فلا أوجع من أن ينام المرء هاربًا مما يؤلم روحه من أفكار وعواطف؛ لا جراء وجع جسده.

نامت فيما قرب من الخمس ساعات وأفاقت على صوت هاتفها يعلن لها عن السابعة صباحًا، قامت على عجل، وفعلت بكل روتينية ما تفعله من غسل وجهها وارتداء ملابسها وتجهيز حقيبتها، لكنها اليوم وقبل أن تنزل اهتمت بهاتفها، ثم بحثت في الأسماء عن اسم نور وترددت في حذفه، ولكنها في النهاية احتفظت به.

وفى أثناء نزولها على درج العمارة وجدت هاتفها يُعلن عن استقبال مكالمة من رضوى وأخبرتها من خلال الاتصال أن والدتها ستأخذها في طريقها إلى الجامعة على أن تلتقي بصديقتها عند باب الجامعة الرئيسي.

وصلت رضوى قبل هدير واتصلت بهدير لتخبرها عن وصولها؛ وصلت هدير بعدها بعشر دقائق، لكن لم تكن المقابلة بين الصديقتين كالمعتاد بل بدا بينهما نوع من القلق والأسئلة المخفاة في قلب رضوى والتى تودّ إجابات واضحة لها، ولكنها خشيت أن تُرهق صديقتها أكثر

من اللازم ولزمت الصمت وأرجأت رغبتها في معرفة الحقائق إلى وقت آخر.

جلستا إلى جوار بعضهما البعض في المحاضرات، لكن على غير العادة كان الصمت حليفهما بدلاً من هند، وقبل أن تنتهي المحاضرة الأخيرة بخمس عشرة دقيقة شعرت رضوى بهزة في هاتفها فأخرجته من حقيبتها الموضوعة على قدميها فوجدت رقمًا تشعر أنها رأته من قبل، لكنها بعد أن فشلت في تذكر صاحب الرقم وضعت الهاتف أمامها وتجاهلته وبعد خمس دقائق استقبلت رسالة لنفس صاحب الرقم تقول:

"بعد السلام إليكِ يا دكتورة، كنت أود أن أستفسر منكِ عن نور الذي تحدثت عنه هدير بالأمس، لكن للأسف رقمها ليس معي، فاضطررت بكل خجلٍ أن أستغل معرفتي برقمك الذي اتصلتِ عليّ منه بالأمس لمعرفة حقيقة الأمر. تحياتي لشخصكم الكريم.

انزعجت رضوى من الرسالة ثم قالت في نفسها" أيّ كرم هذا لامرأة مترددة في أن تبوح لك بأيّ شيء تعرفه عن مكان أختك ونحن في قمة قلقنا عليها، أنا امرأة بخلت بمعلومة قد تفيدكم في البحث عنها، لذا يا عمر كان من الواجب عليك أن تنهي رسالتك بقولك" تحياتى لشخصكم المتردد" وحتى التحية لا تليق بالمترددين، هكذا أنا امرأة انتمت في موقفها إلى الحيادية وعدم البوّح، حيادية الوفاء للصديقة والخيانة لها في ذات الوقت، وفاء لقدسية عدم البوح بما قالته أمامي،

وخيانة لعدم البوح لأن الكتمان كان من الممكن أن يضر بسلامتها.

بتلقائية شديدة قالت رضوى بصوتٍ مرتفعٍ نسبيا "أنا غبية" فالتفتت لها صديقتها وبعض الزملاء ولولا قرب انتهاء المحاضرة وحدوث بعض الضوضاء داخل المدرج لالتفت لها باقي من في المدرج.

حينها قالت هدير لرضوى" هل أنتِ بخير ؟"، أومأت رضوى برأسها في حزن وقالت:

- لا عليكِ، أنا بخير.

بأوجاع التفكير قامَتَا من مكانهما وخرجَتَا من باب المدرج ومنه إلى باب الجامعة حينها قالت هدير بصوت يشُوبُه اليأس:

- علينا أن نذهب إلى هند الآن.

لكن رضوى لم تمهلها أن تكمل حديثها وقالت:

- أنا مُتعبة لن أستطيع أن أذهب اليوم إليها، سأتصل بها عبر الهاتف، أوصِلِيها سلامي".

ذرفت هدير الدموع اعتقادًا منها أن رضوى لا ترغب في الذهاب معها لشخصها، وذلك لأنها لم تُجب رضوى عن ما تريد معرفته عن معرفة هدير بنور، خنق هدير البكاء وقالت وهي على هذه الحالة:

- بربِ الإنسان أنا لم أذنب بأكثر من معرفتي برقم نور ولم أفعل به أي

شيء يضر بهند.

أخذت رضوى تُهَدِّئ من انزعاج هدير ثم جلستا على استراحة بالقرب من السيارات وقالت رضوى:

- صدقينى لم أظن بكِ السوء، لكن الأمر...."

صمتت رضوى لكن هدير لم تتركها في صمتها كثيرا وقالت" الأمر ماذا يا رضوى" تنفست رضوى الصعداء ثم قالت:

- مرهقة لكنى سأذهب معكِ".

قطع حوار الصديقتين وصول الأتوبيس فركبتا كل منهما في مقعد لكن ليستا إلى جوار بعضهما البعض لعدم التمكن من ذلك.

اتكأت رضوى إلى الخلف ثم قالت في نفسها:

- لكنى لا أرد مواجهة عمر يا هدير، هذا ما أردت قوله لكني غيرت رأيى في أمر الذهاب إلى هند كي لا تظني أني غاضبة منكِ.

ثم قطع تفكيرها صوت هدير وهي تنادي عليها وتقول" أنا دفعت" بعدها نظرت إلى النافذة التي بجوارها وفعلت رضوى نفس الشيء إلى أن وَصَلا للمحطة المنشودة، فنزلتا ومشيَتَا في صمت إلى أن وصلتا إلى العمارة التي تسكن بها هند.

قرعت هدير الباب ولم يجدا أحدًا يفتح لهما الباب سوى عمر، ولطالما

خافت رضوى من مقابلة عمر، ونحن البشر دومًا نلتقي بما نخشاه عاجلاً كان أو أجلاً، لكن رضوى التقت سريعًا بخوفها، هنا لم تفعل رضوى شيئًا سوى الرد بروتنية على كل الأسئلة من سلام وأخبار وكل هذا، وحين استعدت الصديقتان للدخول لهند وسمح لهما عمر بقوله:

- تفضَّلا، هند بانتظاركما منذ أن أبلغتُماها أنكما في الطريق إليها.

تنفَّست رضوى الصعداء وكأنها أخذت إعفاءًا من امتحان صعب، لكن لا تسير الأمور دائمًا وفقًا لرغباتنا؛ فصفع نداء عمر المفاجىء لرضوى وهدير وهما على باب الغرفة كل نشوة اعتقدت رضوى أنها فرَّت بها من الإجابات المُحرجة.

قال عمر على استيحاء:

- هل لي من سؤال؟

ثم ألحق السؤال بآخر دون أن ينتظر موافقة على سؤاله الأول فقال:

- من هو نور؟.

ثُلج قلب رضوى قبل يديها، ولم تنبس ببنت شَفَه، لكن على الطرف الآخر أجابت هدير بشجاعة الخروج من الموقف، أو بصراحة أكبر بشجاعة من يرى أنه لا ضرر من الكذب في الحفاظ على أسرار الآخرين.

أجابت هدير دون أدنى شعور بالذنب:

- نور زميلة لنا في الكلية، واعتقدت أن هند معها لأنها قريبة منها إلى حد ما، فقط هذا كل ما في الأمر.

خيَّم الصمت على الثلاثة ثم قال عمر:

- اعتقدته زميل.

هنا لم تتمالك رضوى نفسها وقالت:

- سأدخل إلى هند ولَحِقَت بها هدير وقالت بعد أن ابتسمت وأنهت الموقف:

- بعد إذنك يا بشمهندس.

دخلتا وراء بعضهما غرفة هند، وفي أثناء دخول هدير تمتمت هدير بكلماتٍ وهى تنظر إلى هند:

- ياربي!!! الحمد لله، ده أخوكي ده يا ساتر.

صمتت رضوى وقَبلت هند في هدوء وجلست على كرسيّ مجاورٍ لها، أما عن هدير فقد تعرضت لسؤال هند المتعبة:

- ماله عمر يا هدير؟

تلجّلجت هدير ثم قالت لتتخلص من سؤال هند:

- طمنينا عليكي انتي الأول.

أجابت هند بتلقائية:

- الحمد للّه أحسن.

ابتسمت رضوى ثم قالت:

- ماذا بكُنَّ اليوم؟

فهمت هند وهدير ما ترمي إليه رضوى فقالت هند وهى تقاوم تعبها:

- العهد، أعلم أنكِ ترمي إلى عهدنا حين تواعدنا أنه مادمنا سويًّا فعلى قدر المستطاع نتحدث العربية الفصحى لننتمي إلى جمالها قليلاً ونرَقي أرواحنا بالتحدث بها، ثم أكملت بالعامية:

- بس ده مرهق أوي يا رضوى، ده أنا بقيت ألخبط مع الناس؛ شوية أتكلم فصحى وشوية عامية وشوية من ده على ده، ده حتى ماما وعمر بدأوا يتلخبطوا زيي وعاملة لهم دربكة في دماغهم.

وأثناء ضحكها وكلامهما قالت هدير:

- ده كان وعد استغفر اللّه العظيم.

تبادلت الصديقات الضحك ثم تناولن الحديث عن جمال الفصحى حين تترد الكلمات على مسامعهنَّ، ولهذا تواعدْن هذا الوعد. كان العهد بينهُن أن يتحدثْن بها على قدر المستطاع لهذا قد ينجرف

الحديث بينهنَّ إلى العامية من الحين إلى الآخر.

قطعت رضوى الضحك بقولها:

- أتتذكرن ما الموقف الذي أدى بنا إلى أن نتواعد بهذا الشكل؟

تنفّست هدير وتبسمت لتذكرها وقالت:

- أغنية أم كلثوم

أكملت هند حديث هدير وسردت كلمات الأغنية:

الصبّ تفضحه عيونه

و تنمّ عن وجد شؤونه

إنّا تكتمنا الهوى

والداء أقتله دفينه

يهتاجنا نوح الحمام

وكم يحرّكنا أنينه

ونُحمّل القُبَل النسيم

فهل يؤديها أمينه

قست القلوب فهل لقلبك

يا حبيبي مَنْ يلينه

فتريح قلبًا مُدنفا

أسوان لا تغفى شجونه

مرّت عليه الذكريات

فطال للماضي حنينه

وأنا نجيّكَ والذي

يسقيك من ودّي هتونه

و بيَ الذي بك يقرأ سري

وسرك من يصونه

تنهدت الصديقات الثلاث، وقالت رضوى:

- أحمد رامي حقًّا شاعر يحق له أن يُوضع مع أبجدية الكلمات.

ثم أكملت حديثها قائلة قد سمعت أن رامى عندما رأى أم كلثوم لأول مرة لم يعجبه شكلها. فوجىء بها تضع العِقال فوق رأسها، وترتدي الجبة، وتضع على بطنها حزامًا. وكان الملحن الكبير الشيخ أبو العلا محمد هو الذي قدمها إليه.

همس رامي في أذن الشيخ أبو العلا قائلاً:

- أعوذ بالله.. دي فقيه، وليست مطربة!!

وما كاد يتحدث إليها حتى فُتِن بخفَّة روحها وذكائها. وعندما سمعها تغني وجد نفسه يغني لها.. وبعد أن انتهت من الوصلة ذهب اليها وقال لها: "هذه أول مرة أطرب فيها لمغن بعد الشيخ سلامة حجازي..!!"

- لست متأكدة من هذا الأمر.

قالت رضوى، وأجابتها هدير وقالت:

- ما أعتقده أن رامي كان عاشقًا للسيدة، وإلا لما كتب أكثر أغانيها.

ضحكت هند وقالت:

- هوا عشان كتب أغلب أغانيها تقولي عليه بيحبها.

ثم ضحكت الفتيات واتفقْن على أن يبحثْن في الأمر.

- من فرط إعجابنا بلغة الأغنية تواعدنا هذا الوعد.

تلك كانت كلمات رضوى التي قطعها صوت أم كلثوم بكلمات الأغنية الصادر من هاتف هدير وصمتت الفتيات في حضرة الغناء، وفجأة قطع الصمت والغناء بكاء هند المفاجىء، ربما تذكرت شيئًا ما، أو ربما لأنها عاشقة وأغلب العشاق حين يستمعون إلى الأغاني يندمجون داخل الإحساس بشكل أكبر من هؤلاء الذين لم يمِّسس قلوبهم العشق.

بلهفة الود والألفة بين الصديقات هدَّأت رضوى من روِّع هند، وجلبت هدير كوبًا من الماء والكلمات التي تُطمئنها أخذت مجراها وتبادلتها

الصديقتين على مسماع هند:

– طب فيه إيه بس يا هند؟!

– حاسة بايه طب اتكلمي... احكي.

كان لوقْع الكلمات أثره في تهدئة هند التي تحدثت والوجع يلتفّ حولها من كل مكان:

– انتظرته في الموعد والمكان المحددين من قبله لكنه لم يأت، حاولت الإتصال به لكن دون جدوى في كل مرة كنت أعطي الأمل لنفسي في أن تمتنع تلك الثرثارة عن قولها "الهاتف ربما يكون مغلقا"، لكنها أبتِ أن تكف وأبَى الهاتف أن يعطي دقة أمل كي أسمع صوته، اختلقت له من الأعذار ما يكفي رجال الأرض وجلست بانتظارة ساعة، ساعتين، ثلاث ساعات، لكن أبتِ السعادة أن تعطي امرأة مثلي بعضًا من حنين ليهدأ شوقها إليه ولو لحين، لا أعرف ما حل به يا رضوى، لا أعرف ما حل بنور يا هدير

قالت هند تلك الكلمات والشوق يخنق قلبها بكل ما امتلك من حنين.

قالت رضوى بعصبية:

– ومن أين لكِ الصبر على كل هذا الإنتظار؟

– صدقينى يا هند إن الرجل اذا عشق بصدق لا يمنعه عن عشقه سوى

الموت لكن في حالتك هو لا يموت من أجلك، بل على العكس هو يغْتالك، يغتال شوقك، عواطفك، قلبك، روحك. كُفي عن انتظار الرجل وعن انتظار الحب، فان عشقكِ الرجل لن يجعلكِ تدخلي معابد الإنتظار، كُفي عن حماقة الإنتظار ومكْر الرجال. صدقينى هو الآن يعلم جيدًا أنكِ له منتظرة، مُتاحة له في كل وقت، فلماذا لا يبتعد ولماذا لا يختفي، وحينٍ يملّ سيرجع للمرأة التي أباحت له البعد، والقرب منها بكل ما تملك من سهولة. صديقتي ضعي تلك الجملة نُصب عينيكِ فليذهب كل طواغيت الحبّ إلى الجحيم، ولنعشْ بحرية دون أن ننتظر أحدًا. يا عزيزتي إن عشق الرجل فإنه يتحول إلى طفل مدلل وتتحول قسوته إلى حنان، ولا أخفي عليكِ أن أكثرهم قسوةً أكثرهم حنانًا في الحب".

ثم تحدثت في عصبية أكثر متسائلة

– ما الذي يجبرك على كل هذا؟.

أجابت هند:

– فقط أحبه والحب أعمى.

لكن رضوى ردت بنفاذ صبر:

– ان كان الحب أعمى فالرحيل يمتلك قدمين والتجاهل له عقل.

إنه يتجاهلك يا هند، تلك الحقيقة المرة التي يجب أن يقولها لكِ أحدهم لتفيقي من غفلة وهْم الحب.

دون أدنى شعور بالذنب على عواطفها المُهدرة كل يوم قالت هند:

- لعل هناك ظروف منعته عني.

هنا تدخلت هدير وقالت:

- ظروف أى ظروف! إن كلمة الظروف إهانة عندما يقولها المُحب فلا عاشق تمنعه ظروفه عن عشقه.

دمجت رضوى كلماتها بكلمات هدير وقالت:

- أيّ حماقة تلك التي تجعل امرأة تحب رجلاً لا يهتم لشأنها؟

لم تتحمل هند حديث صديقتيها لأكثر من هذا، وانجرفت خلف البكاء مرة ثانية، وانحشرت كلمات في حلقها منها:

- أحبه، لن تعوا مفهوم امرأة أحبَّت بصدق.

بعد خمس دقائق من بكاء هدير دخل عمر بعد أن استأذن بثلاثة أكواب من الفراولة المثلجة وقال:

- عفوًا، والدتي خرجت لشراء بعض احتياجات المنزل ثم نظر إلى رضوى وقال:

- لعل مذاقه يعجبكِ!

تبسمت رضوى ثم أجابت بكلمة واحدة:

- شكرًا.

خرج عمر من الغرفة بعد أن شعر أن شيئًا ما في هند على غير ما يُرام؛ أن شيئًا ما يحدث وهو على غير علم به وفي أثناء خروجه قال:

- عذرًا إن كنت قد قطعت حديثكُن!

حينها تبسمت إليه رضوى في صمت بعد أن نظرت إليه، أما عن هدير فقالت:

- لا عليك.

لكن قبل أن يخرج قالت رضوى بصوت عالٍ نسبيًّا بعد أن رأت ميدالية محفور عليها إسم "تاجوج والمحلق" واقعة عند قدمها فعرفت أنها سقطت منه:

- لو سمحت يا بشمهندس، ميدالية حضرتك.

ابتسم لها وقال:

- كيف سقطت؟!

وفي محاولة لتقريب المسافة ناولت رضوى المدلية لهدير لتعطيها لعمر، لكن هدير قرأت الإسم الغريب فاستوقفت عمر وقالت:

- عفوًا، ماذا تعني تاجوج والملحق؟ أم هي كلمات من قبيل الصدقة وأن الشكل فقط هو ما جذبك.

ابتسم عمر وهو يتناول الميدالية:

- أبدًا، لديّ صديق ماهر في الحفر على الفضة، وتعمّدت أن أطلب منه حفر تلك الأسماء على التحديد.

صمت قليلاً ثم قال:

- إن كان لديكم وقت سأقص لكم قصتهما

وقبل أن يُكمل قالت رضوى:

- فوعدها ظنا منه أن طلبها لن يتعدى ما تطلبه النساء من ترف.

نظرت هدير وهند وقالتا في صوت واحد:

- لا نفهم.

أجاب عمر قائلاً:

- لهذا كتبتها يا آنسة رضوى كي أرتجع عن أي حماقة لي فيما بعد.

أجابته رضوى في حماسة أقل:

- اعتراف ضمنيّ هذا بأن لديك تاجوج.

قال هو في حسم للأمر:

- لا تنسي أنى ذكرت كلمة "فيما بعد"، لكنى أعاهد نفسى قبل أن ألتقى بها أو أجدها.

صمتتْ رضوى وتزمَّرت هدير وهند من عدم فهمهما وقالت هند:

- فهمنا بقى يا عمر!

فأخذ عمر يسرد قصة الاسمين المكتوبين على الميدالية:

- كانت تاجوج بنت الشيخ محمد بن علي بن محلق بن محمد بن علي التي دوت أخبارها في أكثر الافاق وتناقل الناس حديث جمالها. فتقدم المحلق إلى والدته يطلب منها أن تخطبها له من خاله. فامتثلت الأم وطلبت من أخيها ابنته" تاجوج" لأبنها المحلق، فرضي الخال ولكن بعد أن طلب مهرًا مرتفعًا من ابن أخيه فاستعان المحلق بوالده وأوجده لأصهاره، وكل عاشق لا يعوقه غلاء المهر وتم القران. عاشت تاجوج تحت سقف الزوجية يرفرف فوقهما ملاك الحب المتبادل، وكانا أسعد زوجين عرفتهما أرض القبيلة. لكن حبه المتقد لها كان عثرة لحياتهما، فأكثر من المدح فيها وتناقل الشعر في محاسنها، حتى أشعل غيرة الفتيان، فما كان من أحد أبناء عمومته، يقال له النور بن اللمم إلا أن جاءه ونهره في ذكره زوجته في أشعاره حتى صارت غناء الفرد والجماعة ومضغة لأفواه تلوكها الألسن وعُرف اسمها ووصفها القاصي والداني. وهنا وقعت الطامة، فقد ذهب حبها بعقله حتى لم يعد يدرك ما يفعل، فدعا ابن اللمم ليراها قائلا: "تعال معي إلى الخباء كي أريك إياها في غفلة منها"، وكانت هذه الدعوة كافية لأن تظهر اللوثة التي أصابت المحلق من جنون حبه وأنه أصبح لا يعرف ما

يصح وما لا يصح. ورافقه إلى موقع لا تراه فيه، وشق له ثقبًا في خبائها ظنًّا منه أنها لم تشعر به، ثم دخل عليها وطلب منها أن ترقص له، فتعجبت من طلبه ولكنها صبرت وتجلدت وقالت سمعًا وطاعة، إلا أنها استحلفته أن ينفذ لها طلبًا بعد ذلك لا يردها أبدًا، فوعدها ظنًّا منه أن طلبها لن يتعدى ما تطلبه النساء من ترف. فلما ضمنت منه تنفيذه لطلبها نفذت مطلبه، ولما انتهت من رقصاتها كان الفرح قد تملكه والهيام أسكَرَه، فشكرها وطلب منها أن تذكر مطالبها، فنظرت إليه طويلاً وقالت له "طلبي واحد وهو الطلاق والفراق الأبدي"، فصُعق حين سمع طلبها وانزعج ابن اللمم، وولّى هاربًا من وراء الخباء بعد أن دمر عامرًا حلالاً، إلا أن الأمر كان قد انتهى ووقع الطلاق، فلا رجعة فيه. وبذلك خسر المحلق زوجته التي هَامَ بها، رغم كل محاولاته لاستردادها، فما كان منه إلا أن قضى نحبه كغيره من المحبين، إلا أن فرْقه هو أن محبوبته غادرته بخطأٍ منه."

بعد أن سرد عمر القصة صمت الفتيات الثلاث ولم تُعلق أيّ منهم بأيّ كلمة. فقال عمر:

- أعتذر! يبدو أنني قد أزعجّتكن.

ولما وجدت رضوى أن هند وهدير لا يجيبان عمر قالت هي:

- على العكس أنا أيضًا أحب قصص الحب في التراث.

حينها قالت هدير:

- شكرًا تعبنا حضرتك معانا.

فأجابها:

- لا عليك يا دكتورة، نورتونا" وهم هو وخرج من الغرفة.

بعد خروج عمر ودون أدنى هداوة قالت هدير:

- أخبرينا يا هند أين كنتِ لمدة ليلة كاملة.

فقالت العاشقة دون أي شفقة على نفسها:

- كنت أنتظرة هذا كل ما في الأمر.

وبعصبية عبرت رضوى عن سخافة الموقف وقالت:

- انتظرتيه ساعة، ساعتين، ثلاث ساعات، أو حتى إلى الثانية عشر صباحًا لكن أين كنتِ بقية الوقت؟ أليس لأهلك ولأصداقائك حقّ عليكِ في كل هذا القلق، وأين نفسك من كل هذا؟ ألم تأخذكِ شفقة على عواطفك لأن تكرهي الانتظار وتعودي إلى المنزل.

بكل حزن قطعت هند حديث رضوى وقالت:

- لا داعي لكل تلك الأسئلة، أنا معكم وبخير.

لكن أمام إصرار رضوى وهدير على المعرفة لم تجد هند غير الإعتراف

بما في داخلها لتُرح نفسها قليلاً وتلقي ما حدث لها خارجها، لربما تهدأ دواخلها بالحكي، فكم من إنسان طرح ما في نفسه من وجعٍ لأحد من ذويه فكانت النتيجة غفران لقلبه من الأحزان. وها هي هند تفصح عما في داخلها من سر:

- بعد أن انتظرته ساعة ثم ساعتين قلبي احترق من الإنتظار وبدأت الأسئلة تعتصر عقلي، أين هو، هل زهدني، هل نساني، هل حدث له مكروه، هل أحب غيري؟، وفي حضرة الأسئلة والتفكير لم أجد إلا عينان باكيتان، لم يهمني شكلي العام ولا نظرة البشر إليّ، ظللت هكذا ساعة وراء ساعة، أمسك بهاتفي وأنصت إلى صمته اللعين، أنتظر دقة منه لتعيدني مجددًا للحياة لكن لا شيء حدث سوى زيادة الصمت، حتى الناس من حولي بدأت تقل، وكل ينادي على النادل فيدفع حسابه ويخرج من مكانه وبدأ المكان يفرغ وكلما خرج أحد اعتصر قلبي أكثر وأكثر إلى أن شعرت بربكة حادة في رأسي وجسد مخنوق وأيد مثلجة ومعدة تئِنّ من الوجع، حاولت حينها أن أستقيل تاكسي إلى المنزل، لكن قدري منعني أن أتحمل الألم حتى أصل إلى منزلي، وفي حضرة محاولتي إيقاف تاكسي وجدت نفسي طريحة الأرض، ربما كان قلبي تعب لدرجة أنني لم أتحمل ما به من عبء فسقطت مغشيًّا عليّ، وأفقت في غرفة صغيرة على صوت امرأة ترتدي الأبيض، ممرضة كبيرة نسبيًّا في السن طمأنتني قليلاً وأخبرتني أن المحلول المثبت في يدي ما هو إلا

نتيجة هبوط حاد في دورتي الدموية، أخبرتني أن حالتي تحسنت كثيرًا عن أمس، وأنني سأخرج بعد ساعة أو ساعتين على أقصى تقدير، لكن من أتى بي إلى هنا؟ هذا هو ما سألتها عنه، لكنها لا تعرف سوى أنه شخص طويل ذا بشرة سوداء وقد دفع الحساب إلى المستشفى واختفى من بعدها، علمت من أوصافها له أنه سائق التاكسي، البسطاء هم من يقدرون آلام الآخرين، لكن لماذا تركني، على الأرجح أنه خاف من لعنات المجتمع وتلفيق له جريمة مرضي أو أي شيء، ففي مجتمعاتنا للأسف لا نأتي إلى على البسيط، وغالبًا نأتي على صاحب الحق لا على من سرق الحق، من حسن حظي أن الممرضة صباح قد دخلت عليها صديقتها وقالت شيفتك خلص يا صباح يلا عشان تلحقي ولادك، حينها نظرت إليّ في تبسم وقالت سأصطحبك إلى منزلك ورغم إصراري عليها أن تلحق بأولادها لتعتني بهم إلا أنها أصرت أكثر على توصيلي "الناس لبعضيها يا بنتي، زمان أهلك قلقانين عليكي". وبالرغم من هذا وشعوري بالتحسن إلا أنني عندما دخلت المنزل لم أشعر بأي شيء إلا الأرض وأنا ساقطة عليها، ربما سقطت من شدة الخجل على ليلة كاملة بطعم القلق الأخوي وقلق الأمومة وحتى الأصدقاء، لكن أقسم لكم برب الإنسان أن طاغوت الحب هاجمني ليلة أمس، نعم لن أخفي عليكم "إن طاغوت الحب هو الإنتظار، انتظار الرسائل المتوقفة، وانتظار الأصوات التي تحمينا من بكاء اللهفة وانتظار المسافة بين

دقة الهاتف ودقة الكلمات".

هنا لم تتمالك هند نفسها وبكت وفي أثناء بكائها قالت بصوت مبحوح بالبكاء:

- قلن لي في حضرة الصمت ماذا كان لعاشقة أن تفعل؟.

انتقلت عدوى البكاء للصديقيتن رضوى وهدير لفرط شفقتهن على عاشقة، وبعد أن هدأت الفتيات الثلاث قالت رضوى وهى تستعد للذهاب:

- هند قبل أن أذهب أود أن أقول لكِ شيء على أن تفكري فيه: إن أناقة الحب تكمن في تبادل العشاق الإحترام؛ فلا حب دون أن يُرفع الإحترام فوق منصات الحب.

لكن هدير وهى تستعد للذهاب كان لها سؤال لا نصيحة فقالت:

- هند ماذا قُلتِ لوالدتك وأخوكِ عن غيابك؟.

وبضحكة استهار أخبرت هند أصدقائها أنها سردت لهم كل شيء لكن لم تسرد أن سبب دخولها المستشفى كان بسبب اللهفة، إنما أخبرتهم أنه كان بسبب قلة الطعام، وقد رضيا بما سردت. وعن الهاتف ذكرت أني من شدة التعب لم أنتبه له وقد أشفقا عليّ ولم يحدث شيء آخر.

ثم خرجتا الصديقتين من عند هند كلٌّ إلى منزلها.

****

سأتواصل معكِ عبر الفيس بوك، بحثت عن حسابك وقد وجدته، سأكون بخير جدًّا إن سمحتِ لى بالتواصل معكِ، لو أردتِ أجيبي على رسالتي، وُقعت الرسالة بعمر في النهاية واستقبلتها رضوى عبر هاتفها حينها رددت بصوت مدهوش، عمر عمر، ماذا يريد، أيريد ممارسة دور الضابط معي والتحقيق معي لمعرفة أسرار أخته، أم أراد شيئًا آخر في نفسه لا أدريه؟

أخذت رضوى نفسًا عميقًا وهدأت قليلاً وطمأنت نفسها بالكلمات:

- أنا لست مذنبة، أنا لم أجبْ على سؤاله من أجابت هي هدير، أتكون إجابتي عليه هو اختيار للكذب الواضح بما أني سأضطر الإجابة عن أسئلة بخصوص أخته، أنا حقًّا مرتبكة.

فى الأخير قررت رضوى أن تسير بقدرية في قرراها في الرد عليه من عدمه.

"لأسير قليلاً وفق القدر، ولأتوقف عن إرهاق عقلي لبضع ساعات قادمة".

الفصل الرابع

"إن طاغوت الحب الأكبر هو الإنتظار".

" أبادرُك بالحب كل صباح، فلِمَ تبخلي عليّ بالوصل مرة كل مساء؟"

لطالما حلمت أن أبادرك الشوق كل صباح، وأن تفاجئني كل ليلة بفعلةٍ أُحبها، أود أن لا يتناقص حبنا أو يجف على مدار زهرتنا العمرية، وحتى وإن جفَّت زهرة العمر كم أتمنى أن لا تجف الزهرة العشقيَّة المتبادلة بيننا، لكني اليوم أود أن أعترف لك بشيء ما في نفسي يا عزيزي المجهول:

- أنا امرأة تريد أن تدخل الحب ومعابده على مهلٍ لا على عجل، امرأة تودّ أن تزرع نبتة الحب وترويها هي وشريكها بالإحترام، فلا حب دون احترام يا عزيزي، أود أن تنمي تلك النبتة بأشواقنا وأن نحافظ عليها بكل ما نملك من اهتمام، كما أريد أن ندخل كل المراحل العشقية على

مهل: الإعجاب والإعتراف والحب والعشق. امرأة لا تريد أن تتخطى مرحلة عشقية حتى لا تحل محلها مرحلة من مراحل النسيان: الملل والفراق واللوعة والنسيان، لهذا أعاهد نفسي وأعاهدك وأعاهد العشق أن أدخل المعبد العشقي على مهلٍ لا على عجل، فبقدر لهفتي على إيجادك بقدر صبري على عدم التفريط فيك".

المتعهدة والمخلصة لك

رضوى هلال

سأريك تعهدي هذا حين أجدك، وبكل التمني أتمنى أن تكون الشاهد الثاني والموقع والموافق الآخر على ذلك التعهد لتكون شريكًا لنفسي، ولكى لا تتعجل وتتجرف كثيرًا فيهدر ما بيننا سريعًا.

تلك كانت ورقة من مذكرات رضوى التي بحثت عنها وأعادت قراءتها بعد زيارتها لهند، ربما بحثت عنها بعدما تذكرت كلمات هند "إن طاغوت الحب الأكبر هو الإنتظار"، ربما تود أن تذكر نفسها أن تنتظر وتصبر على حبها، كي لا يأتي ثم تتلهفه كثيرًا وتجلس هي في أروقة الإنتظار تنعت حالها كما تفعل هند.

ارتبكت رضوى من جديد عندما تذكرت رسالة عمر لكنها تركت أمر عمر للقدر في الوقت نفسه كتبت على صفحتها الفيسبوكية: "أيها

القدر أعطنا إشارة بماذا نفعل، قد أُرهقت عقولنا من التفكير". ربما الأقدار أجابتها بعد عشر دقائق من دعائها ففتحت الرسالة الجديدة الوارة إليها: "إن الأقدار دومًا تعطينا السلام، فردي على سلامي"، فما كان من رضوى إلا أن تجيب بنفس القدرية على عمر: " وعليك السلام"، وهكذا كانت كلمة السلام لها مذاق آخر فلا هي تُقال بتلقائية دون معنى ولا تُلقى من باب المجاملة، إنما تقال والكلمة تسري في جسديهما، عقليهما، قلبيهما، فالسلام على القلب والروح والجسد والحب والسلام على كل من يتذوق كلمة السلام ويعي مفهومها.

– أعلم أن شيئًا في نفسك يجعلكِ مرتبكة، لكن أعدك أن لا أسألك عن شيء بشأن هند لا سابقًا ولا لاحقًا، لا على الأسئلة التي أعلم جيدًا أنكِ لم تنطقي بأية إجابة لها، ولا أى سؤال يطرأ في فكري لاحقًا، أعدك يا آنسة رضوى.

تلك كانت كلمات عمر التالية المرسلة لرضوى، ردًّا على قبولها السلام، فعمر الآخر شعر أن تلك الكلمات واجبة في حضرة السلام.

– من أين علمت أنني لا أود الحديث في أمر هند؟ أرسلت رضوى وأجاب هو:

– من يقدس قصة تراثية" لتاجوج" من اللاممكن أن لا يكون وفيًّا.

إذا احفظ تعهدك عن ظهر قلب، أرسلت هي له.

لكنه احتفظ لنفسه بشيء من الأمل وقال:

إلا أن يكون لك رغبة في البوح بأي شيء.

لكنها قطعت أمله إلا من بصيص وأخبرته أنها لا ترغب الآن وربما لن ترغب أبدًا. احترم عمر حديثها وأرسل قائلاً:

- أتعهد لكِ أنكِ في حِلٍّ من هذا الأمر، وعن أختي سأتقرب منها أنا، وفي حضرة سكوت رضوى وعدم إجابتها أخبرها أنه سيتحدث إليها ثانية ولم يمهلها الموافقة أو الرفض وأرسل قائلاً "سلام على أهل التبسُّم" فما كان من رضوى إلى أن تشعر بلذة الكلمات في قلبها لكنها لم تُظهر أى شيء وقالت سلام.

وكأن الحديث أزاح من على قلبها شيئًا من صخر فتنفَّست بقوة وقالت: " أنا حرة".

******

سيُقام حفل زفاف لمياء ابنة عم هدير يوم الجمعة أى بعد خمسة عشر يومًا من الآن، يوم الجمعة هو عطلة رسمية للجميع ولا مفر من حضور هدير، لو كان يوم دراسي لتحججت بالدراسة، أما إن قالت أن لديها مذاكرة سيكون الرد الطبيعي أن تذاكر لاحقًا.

كان طاغوت التفكير لهدير بالمرصاد، فماذا عن فتاة تخاف أن تتزوج

من شخص تجهله ولا تعرف عنه شيئًا، وحتى وإن عرفته فترة الخطوبة فهل الحب سيكون كريمًا لهذه الدرجة فيقيم بين شخصين لا علاقة لهما ببعض سوى الأصل والفصل والمستقبل الذي يتوهمه الأهل رائعًا، المستقبل الرائع إن لم يتوجَّه الحب فلا قيمة له ولا مذاق، كاد أن يُجن عقل هدير من التفكير، ولكنها اعترفت في الأخير أن هناك الكثير من العلاقات تنجح بهذه الطريقة، وأن من تلك العلاقات علاقة محظوظة جدًّا يُقابلها الحب ويُبارك لهما زواجهما وفي الأغلب يُقابل باقي العلاقات العشرة فيتوهمونها حبًّا ويعيشون بتقليدية شديدة متوهمون أن مذاق العشرة هو مذاق الحب.

لكن هل هدير محظوظة لهذه الدرجة فيقابلها الحب؟ وإن قابلها الحب فهل سيكون من نوعها المفضل، حب العقول، وإن قابلتها العشرة في الطريق فهل هي امرأة ستنجح في علاقة بهذا المنطق وهى التي دومًا تكره العلاقات من هذا النوع، هي التي لطالما بحثت عن عقلٍ محبّ، هي تعلم جيدًا أن مجتمعها الصغير لن يستوعب مفهوم امرأة تبحث عن الحب في العقل، بل لربما تعجل أهلها أمر زواجها، فهل لديها القدرة على الصمود في وجه من سيقولون لها أن الزواج أمر حتمي، من تقدموا لخطبتكِ مستقبلهم رائع، من تريدين؟ أى شخص تريدينه؟ وهل حين تعترف لأهلها أنها تود أن تلتقي بعقلٍ تحبه هل سيتوعبون مفهوم أنها امرأة منجذبة عاطفيًّا نحو العقول العلمية، الفلسفية، وأن

قلبها لا ينجذب إلى تلك العقول المهتمة بتلك الأشياء؟ أبويها شرقيين حتى النخاع لا هَمَّ لهما سوى الاطمئنان عليها، ومن وجهة نظرهما أن هذا الاطمئنان لن يأتي إلا بالزواج، لطالما قالت والدتها تلك الكلمات أمامهما ولطالما أَيَّدَها والدها، ورغم تفوقها ودخولها الطب إلا أن دخولها كلية من كليات القمة لن يشفع لها عند أهلها في أمر زواجها؛ فكل ما يهمهم هو أن تقيم أسرة وتأتي لهم بأحفاد وهذا هو المستقبل بالنسبة لهم، لربما لن تجد أصلاً من يستوعب ما تقوله، وربما لن تقابله، ولربما تيأس من لقائه وتعتزل الحب والزواج، وحينها سيقيم أهلها عليها خصامًا من حديد فهل ستقوى على هذا؟.

لم لا يكون في مجتمعنا اختيار للمرأة في أن تتزوج أو أن ترفض الزواج؟ لطالما وجدنا رجالاً يعتزلون الزواج ولا أحَدَ يأتي عليهم بكلمات مُوجعة، أما عن المرأة فلو اتخذت من اعتزال الزواج قرارًا لقام عليها سيلٌ من كلمات ونظرات لا يستوعبها أي كائن على وجه الأرض.

وبغباء من خوف، وبخوف من تفكير وبربكة عقلية، دخلت هدير الفيس بوك وأنشأت حسابًا جديدًا باسم مستعارٍ ولم تتردد بأن تراسل "هيثم" صديق نور وكتبت له دون أدنى تفكير إلا في خوفها: "أود أن أتعرف على فكرك فهل لي من ذاك". لكنها لم تستمر كثيرًا حتى أغلقت الحساب ولامت نفسها فكيف لها أن تفعل ذلك، هي حقًّا امرأة بائسة تخشى من شيء وتحل مشكلتها بتوريط نفسها في معضلة أكبر،

هل لأن هيثم أثناء المقابلة اليتيمة التي جاءت بالصدفة وعبر خلالها أنه يحب الفكر، فمن يتحدث عن فيلسوف أو شاعر أو مفكر أمام هدير تفتن به، وغالبًا ما يتحدث كبار السن عن هؤلاء ونادرًا ما يتحدث شاب عن تلك الأشياء وإن تحدث فيكون على غير وفاقٍ بأفكارها، وكما يقولون تود أن تتعلق هدير بقشة وهى قشة هيثم الذي ذكر فيها اسم "نيتشه" أمامها، بذلك كان هو الفتى التي تودّ التعرف عليه، لربما أيضًا لن يكون فكره متوافقًا مع فكرها، نعتتْ هدير حالها بالغباء، وفوق هذا وذاك ما الحال لو أن هند علمت بما فعلت أتخسر صداقتها وهي التي تعهّدت يومًا أن تدوم تلك الصداقة ما تبقى من العمر، لكنها في الأخير هونت على نفسها بأن الحساب مجهول ويمكنها نسيان الأمر وكأن شيئًا لم يكن.

*****

أنا أنثى وجع البحث عن الحب

أنا أنثى وجع إعجاب الحب

أنا أنثى وجع الاعتراف بالحب

أنا أنثى وجع لهفة الحب

أنا أنثى وجع الخوف من الحب

أنا أنثى وجع انتظار الحب

أنا أنثى وجع شوق الحب

أنا أنثى وجع حيرة الحب

أنا أنثى وجع ملل الحب

أنا أنثى وجع فراق الحب

أنا أنثى وجع نسيان الحب

أنا أنثى وجع الحب

أيّ أنثى أنا قالت هند؟ ومن بعدها قالت رضوى وعنّي أنا إلى أي أنثى أنتمي؟ ومن خلفهم هدير وبصوت حزين قالت، أما عني فسأظل حائرة أنا من وإلى أي أنثى أنتمي؟

أوجاعهُن تتمثل في الحب، بل أوجاع الاناث هي الحب، ولربما لن أكون مبالغة إن ذهبت للقول بإن كل أوجاع البشرية تتمثل في الحب؛ ذلك الشيء الذي لا قدرة لنا ولا سلطانَ عليه.

تلك كانت بداية الحوار الدائر بين الصديقات الثلاث في أول لقاء بينهم بعد الزيارة الأخيرة لهند من قبل صديقتيها، فبعد يومان على تلك الزيارة طلبت والدة رضوى مجددًا الإتصال بوالدة هند فمن الواجب أن تطمئن على هند من والدتها.

رضخت رضوى إلى طلب والدتها السيدة "صفية" وقامت بالإتصال

بهند وطلبت منها أن تعطي والدتها للسيدة "صفية"، وبالفعل تم ما أرادته والدة رضوى ودار حوار تقليدي بين الوالدتين انتهى بالاتفاق بينهما على أن تتصل والدة هند بوالدة هدير أيضًا ليخرج الثلاث فتيات في مساء اليوم للترفيه عن نفس هند، وكي تستطيع أن تذهب إلى الجامعة في أقرب وقت وحضور محاضراتها.

وبالفعل في المساء تقابلت الصديقات في كافيه بالقرب من منزل هند ورغم محاولات هدير ورضوى ابعاد مجرى تفكير هند عن نور إلا أنها لا تمل من اعطاء التبريرات لغيابه كأنه طفلها المدلل، دائمة النظر إلى شاشة هاتفها، في محاولات عديدة للإتصال بنور.

بعد أن طلبت هدير ثلاثة من مشروب المانجو، حاولت رضوى أن تخرج هند من شرودها المبالغ فيه ابتسمت وقالت:

- هند كفاكِ اتصالات، كفاكِ انتظار، اتركي هاتفكِ واهتمي بنفسك قليلاً، يهتم بكِ الحب، الحبَ لا يُحب من أهمل نفسه ووقف على بابه ينتظره، ادعي نفسك للفرح للسعادة، واخجلي من الحزن الذي وضعتيه على مائدتك.

التحمت هدير بحديث رضوى وأوضحت أنها تتفق مع رضوى في حديثها، هنا ألقت هند بهاتفها على الطاولة الزرقاء المقابلة لها وتنفَّست لتخرج شيئًا من ثقل روحها ونظرت بعينيها إلى أسفل وهي

تقول:

– حين كنت صغيرة ويقع لي مكروه كنت أقول في نفسى ببراءة الأطفال "سأموت، بل العالم كله سيموت، فكرة أن أتذكر أن كل شيء فانٍ كانت تُريحنى كثيرًا، لربما كنت أعتقد حينها أنه بالموت ستنكشف كل العقبات وجميع الأوجاع ستُمحى، بل جميع المظالم ستُرفع وحينها فقط لن يستطيع أحد إيذاء الآخر، لا أعي لِمَ تخليت عن هذا القول الآن؛ ربما تناسيته في زحمة الأيام، أو لعلني امرأة تعيسة درجة أنني لم أعد أتمسك بالأشياء التي تريحني.

تجاوزت رضوى كل كلمات هند ومسكت بكلمة" مكروه" ثم رددتها" مكروه، مكروه" لكنكِ لستِ بمكروه، أنتِ في خير، خير أن أبعد الله عنكِ رجلاً لا يعي مفهوم امرأة تحبه مثلك، ولا يفْقه وجع الانتظار عند المرأة، ولا يحترم موعدًا كان من الواجب عليه أن يتلهفْه كعاشق صادق، أنتِ حقًّا بخير، فاحمدي الله على البُعد وانظري بعين الواقع إلى تصرفات نور وأخرجيه من معبد قلبك كما أدخلتيه، واشكري الله أنه يكشف تصرفاته أمامك، فلا يأخذكِ اعتذار أو مبررات لأن المبررات والتفسيرات مرهقة دائمًا، فقط تذكري الخير الذي يقدمه لكِ الله في تلك المرحلة، خيرًا كشف حقائقه.

ارتبكت هند أمام حديث صديقتيها لكن لم تمهلها لهفة الحب التمهل قليلاً لتتوقف أمام الكلمات وتُمعن النظر فيها، فدقّ هاتفها "نورى

يتصل بك" هكذا ركلت هند كل حديث رضوى وهدير وراء ظهر عواطفها ولم تتمهل في مناقشة الرد على نور مع صديقتيها، وتلهفت على زر الرد الهاتف كما يتلهف قلبها على عاشق قلبه من قسوة وقالت بلهفة العاشقة القلقة:

– نور انته فين كل ده.

ذهبت هند بهاتفها بعيدًا، وحينها أعلنت رضوى لهدير عن عدم قبولها لتصرفات هند ولا لحالها وعن رغبتها في إفاقتها، وأخبرتها أن من رأيها أن رجلاً يصل امرأة بطريقة متقطعة بعد إعلان تعهده بحبه لها لا يُعد محبًّا، يمكن أن نلقبه بأي شيء آخر غير العاشق، فالعاشق لا يتحمل البعد ثم الوصل ثم البعد، فالعاشق دائم الوصل.

قدمت هند بسعادة كبيرة بعد مكالمتها مع نور لكنها قبل أن تنطق بأي كلمة قالت رضوى:

– هند قبل أن تنطقي بأي كلمة يجب أن تعلني لنور أنكِ امرأة لا تتحمل الوصل المتقطع، وأن الانقطاع الدائم أحب إلى قلبكِ من زيف الوصل.

لكن لم تمهل هند رضوى لإكمال حديثها وعبَّرت عن سعادتها وأنها لا تود التفكير في قطيعة نور، وأنها قبلت عذره وظروفه التي أخبرها بها فقد كان والده مريضًا.

هكذا هو الحب ننسى كل أوجاعه بدَقَّة هاتف، وننسى القطيعة بكلمة

واحدة ممن نحبه، وننسى أوجاعه بكلمة إرضاء من عاشق. لكن الحب الواهم هو الذي يتخلَّق الأعذار في البُعد ورغم ذلك لا يرى طرف من الأطراف الحقيقية، ويظل هكذا معلقا بين الأقوال والتصرفات، بين دقة الهاتف وصمته حتى يفيق على الفراق القاطع؛ وحينها يكون الألم لا حد له.

- يجب أن تضعي عواطفك في منتصف عقلك، يا هند كوني حذرة. هكذا قالت هدير.

لكنها فرحة الوصل؛ وصل حبيب انقطع عنها ولهفة قلب منتظرٌ حبيبه منعت هند من أن تستمع لأي حديث، وانعزلت بمهاتفة نور لها عن رؤية الحقيقة.

*****

قيل أن الإعجاب يبدأ بالسمع، ويبدأ الحب بالعين، وماذا عن رضوى التي سمعت السلام من عمر الذي وقف أمام الطاولة التي يجلس الأصدقاء الثلاثة عليها.

دُهشت هند من وجود أخيها وقالت بشيء من العصبية المشوبة بالقلق:

- وعليك السلام، ماذا حدث يا عمر؟

تبسم عمر وأخبرها أن والداته السيدة "سامية" أوصته أن يذهب إلى هذه الكافيتريا كي يقوم برفقة هند بتوصيل الآنسة رضوى والدكتورة

هدير كل إلى منزله، فاستجبت لطلبها وجئت على الفور.

-حسنًا! مادام الأمر كذلك. قالت هند.

لكن اعترضت رضوى على الحديث الدائر، ونظرت إلى ساعتها التي تجاوزت الثانية عشر بخمس دقائق ووصفت ما قيل ب "لا داعى لكل هذا"، وببساطة أوضحت أنها ستصل إلى منزلها هي وهدير وستطلب من والدتها أن تصطحبها لتوصيل هدير إلى منزلها.

أصرت هند وعمر على موقفهما درجة أن عمر اقترح أن يتصل بوالدته لتصحبهم لأن الوقت حقًّا قد تأخر وأنهم أتوْا بناءً على طلب والدته، ومن غير اللائق تركهم في هذا الوقت بمفردهم.

شعرت هدير بالحرج، وأقنعت رضوى بأنه لا داعي لازعاج السيدة "صفية" ونظرت هند إلى الفتاتين وقالت "ما أنا معاكم".

ما كان من رضوى إلا الرضوخ لرغبة الجميع.

وفى محاولة للذهاب حاولت رضوى أن تدفع الحساب بمناداتها على النادل، لكن عمر انزعج وأوضح أن هذا من غير اللائق، فنظرت له رضوى بشيءٍ من تمرد، وقالت:

- بل من اللائق فنحن من احتسينا المشاريب.

أجابها هو بنوع من التمسك برأيه:

- لكن من الواجب أن أُحاسب أنا.

- هو من باب الكرم لا من باب الواجب. قالت رضوى.

- من باب أنكم ضيوفنا، لا من باب عنصرية الرجل، ثم تبسم وقال:

- أنسيتي أن تلك دعوة من أمي. قال هو في حسمٍ للموقف.

وفي ظل تعبير عمر عن رأيه ما كان من رضوى إلا الاعتذار فدفع الحساب هو وخرجوا جميعًا.

وفى السيارة أخبرت هدير الجميع أنها قد تأخرت كثيرًا واتفقوا على أن يوصلوها هي في البداية ومن بعدها رضوى، وبعدها صمت الجميع، ولكسر الصمت قالت هند في نوع من المزاح مع عمر أخيها الجالس بجوارها، وهذا يحدث نادرًا:

- ماتشغلنا حاجة يا عم نسمعها بدل السكوت اللي احنا فيه ده.

- فلتختار الآنسة رضوى، أخشى أن أختار فتلقي اللوم عليّ في أنني أختزل الإختيارات لرجولتي. قال عمر.

- وبشيء من الخجل مع ضحكة خفيفة وبصوت مرتبك قالت:

- ليس لهذه الدرجة، لكن من الممكن أن تختار هدير، على الأرجح ستكون طرفًا محايدًا.

واختارت هدير ودون أن تلتقى ردًّا من عمر على الموافقة على حديث

رضوى قالت:

- نسمع الست.

فأبدى الجميع الرغبة في سماعها، وبعد انتهاء الأغنية ونزول هدير عند منزلها والاطمئنان عليها، قال عمر بعد أن قاد السيارة مرة أخرى:

- كيف لى أن أقلل من شأن النساء وأنا من المقربين لهيباتيا الفيلسوفة يا رضوى!!.

- "أوه السكندرية الجميلة. قالتها رضوى في دهشة.

وأكمل عمر كلمات رضوى:

- العزباء التي كرست حياتها للفلسفة والتدريس، أعترف أنني لم أحب تفضيلها للعزوبية لكنني أحترمها كمفكرة وفيلسوفة وكرهت من قتلها، المرأة بالنسبة لي كيان فكري قبل أي شيء ومحاولتي دفع الحساب لم يكن إلا من باب رد الجميل لا من باب السلطة الذكورية.

- يبدو أنني كنت سخيفة وحكمت على شخص دون أدنى معرفة مسبقة بفكره، فخسرت أدبي معه، قالت رضوى في شجاعة المعتذر.

بكل حزنٍ على كلمة أدبى التي قالتها رضوى أخبرها عمر بأنه لا داعس لقولها تلك الكلمة فهس بالنسبة له الفتاة التي أحب موقفها ومواجهتها للموقف، فغيرها من الفتيات يحتفظْن بأفكارهن خوفا من اللوم

المجتمعي، ثم شكرها كثيرًا على فعلتها.

وصلت رضوى منزلها ونظرت إلى عمر وهند من شرفتها زيادة في الإطمئنان عليها ثم سردت لوالدتها السيدة صفية ما حدث خلال اليوم. وفي الأخير أعلنت السيدة صفية لرضوى أن ثقتها برجاحة عقل ابنتها أكبر من أن تُعنّفها على توصيلة عمر لها، لكن أخبرتها أنها أمٌّ تقلق وتخاف وتود لو تستطيع أن تأخذ كل وجع من ابنتها وكل المخاطر التي تحاول الاقتراب منها وتعطيها كل سعادة.

بدَّلت رضوى ملابسها وبعد أن أكلت دخلت غرفتها وحاولت أن تراجع شيئًا من محاضراتها لكنها لم تستطعْ فوضعت رأسها على الكتاب وغفلت عليه من شدة الإرهاق.

*****

كما الموت هي الحياة بلا حب، لكن أين ومتى يأتي لا علم لبشري. هو كالموت يأتي على حين غرَّة، لا نعلم موعده لكننا نفاجأ به يحاوط أرجاء أرواحنا وقلوبنا. تلك الكلمات كتبها عمر على صفحته الشخصية بالفيس بوك. ومن بعدها أرسل إلى رضوى قائلاً:

- حمدا للّه على السلامة آنسة رضوى.

جلس نصف ساعة بعدها كي يجد منها ردًّا، فلم يجد إلا الصمت، حينها اتجه إلى غرفة هند فوجدها مستلقية على فراشها وتمسك

بهاتفها، ففسر ذلك على أنه عبث بالهاتف حتى يأتيها النوم لا أكثر ولا أقل فقال بابتسامة:

- ألم يأتكِ النوم إلى الآن.

قالت هي بعد أن تهكمت على النوم بترديد الكلمة وبعد أن أدارت عينيها عن أخيها قليلاً:

- هو النوم يأتينا فقط حين لا نطلبه، وحين نطلبه يتمنَّع علينا ونُصاب بتُخمة من السهر.

اتخذ عمر من حديث أخته عكازًا ليتسلل إلى ودّها من جديد وقال:

- إذًا هو كالحب، فالحب أيضا يتمنَّع علينا حين نطلبه.

صمتت هند لكن أخيها حاول أن يستدرجها في أن تتحدث إليه في أي أمر أيا كان فسيكون لها كصديق وفي، ولكنها أجابته بأنها لا تود الحديث في أمر بخصوصها الآن فربما بعد ذلك. وكي يزرع ثقة من جديد في قلب أخته من جهته قال إذا أنا الذي أود أن أتحدث إليك كأخت أو صديقة أو حتى كأم لا يهمني المسمَّيات بقدر ما يهمني قلب وعقل المستمع وأنا أعلم أنه لا أحد أكثر منكِ يمكنه أن يستمع إليّ.

اقترب منها ثم أمسك بكف يدها ونظر إليها وقال:

- برأيك ما الفرق بين الحب والإعجاب؟

-أتحب؟؟

قالتها بنوع من التغامز على أخيها.

ضحك ثم قال:

– صدقيني إن كنت أحب لقلتُ لكِ بشكل مباشر لا لف فيه ولا دوران، لكن أود حقًّا أن أفرق بين التعبيرين الحب والإعجاب؟.

– لأول مرة أفكر في إجابة سؤال كهذا يا عمر

قالت هند تلك وصممت قليلاً ثم تابعت:

– أعتقد أن الإعجاب يكون لصفات معينة في الشخص أو أفعال معينة، ربما يعجب بطريقة الحوار أو حتى يعجب بشخص درجة أن يتخذ منه ومن أفكاره قدوة لنفسه، لكن المحب يحب الشخص كله بكل صفاته، يهتم لشأنه، لتفاصيله، يهتم بمعرفة كل تفصيلة في حياته، يكون أهم شخص في حياته، ربما أيضًا يحب أن يشكو له كل همومه وحينها فقط يشعر بالراحة، والمحب يشعر بخفقان في قلبه وجسده وروحه لمجرد سماع اسم من أحب.

– فقيهة حبٍّ أنتِ، أعن تجربة أم عن سمع؟

قال عمر وهو يمزح.

ارتبكت هند قليلاً لكنها سرعان ما تداركت تلك الربكة وتساءلت ومن

وجهة نظرك ما الفرق؟

قال عمر بعد أن صمت قليلاً:

- أعتقد أن المعجب قد يترك الشخص الذي أعجب به مع كثرة الأخطاء فقد تتحول الأخطاء إلى بُعدٍ وفراقٍ فلا شيء يمنع المعجب من أن يحول الأخطاء إلى خيبات كبيرة. أما المحب فمهّما حدث لن يحول أخطاء حبيبه إلى خيبات بل تتحول إلى غفران، فمن لا يعرف ثقافة الغفران ليس بمحب، يغفر المحب لأنه لن يستطيع العيش دون محبوبه.

أنهى حديثه بمزحة أنه حين يحب سيعرف الكثير من المفارقات وسيأخذ من هند مقابل حين يبوح لها عنها.

تمازحا الأخوين مرتين خلال هذا اليوم مرة في السيارة وها هي المرة الثانية تشهد غرفة هند على ذلك، ولربما ترجع الأمور إلى مجاريها بعد تلك الجلسة.

خرج عمر من غرفة هند بعد أن سأل أخته " هند أمازلتى أنتِ وصديقتيكى تحبا اللغة العربية.

-نعم قالت وهى تشرد في ضوء الهاتف الصادر.

أغلق الباب خلفه وخرج بعد أن تواعدا على أن يتحدثا كثيرًا فيما بعد

******

إعلان عن بداية إعجاب أم بداية حب، أم أن الحب لا يأتي إلا بعد الإعجاب. أعجبت بحوارها أم بثوابتها أم بشجاعتها في التعبير عن معتقداتها، أم أن ما لفت نظري أني لم أقابل امرأة شرقية تدافع عن ثوابتها بكل تلك الشجاعة ولا تهاب نظرة المجتمع إليها، كم أود أن أتناقش معها كثيرًا لكني رجل لا يقوى على خدش حياء النساء وكفاني ما أرسلته لها عبر الفيس بوك، نعم أنا رجل يُغريه من المرأة عقلها وروحها قبل أي شيء، أحترم تلك التي تجعلني لا أمس معتقداتها بسوءٍ وبذلك تشجعني على البوح بثوابتي أمامها بكل ما أملك من شجاعة ببساطة لأنها ستحترم ثوابت الآخر كما تحب أن يحترم الآخر ثوابتها.

- من أي مدخل أحاروكِ يا أنسة رضوى؟

بهذا التساؤل أنهى عمر الكلمات التي دونها في مذكراته الخاصة على حاسبه الشخصي، حاول بعدها أن يفتش عن رضوى هل دخلت إلى حسابها الفيسبوكي، لكنه وبكل أسفٍ لم يجد ما ينم على دخولها، فغفل في نومته تلك اللية.

******

هي تكتب في أجندتها الخاصة مذكراتها وهو يكتب على حاسبه ما يدور بخلده، هل لتشابهٍ بينهما أم من قبيل الصدفة لا أكثر ولا أقل، وماذا عن الحب أيُريد الشبيه بالشيء أم النقيض له ليكمله. الحب

معضلة، قد يتفق البشر في حساباتهم المنطقية، لكن العواطف تقف في وجه المنطق لتقول بأي صوتها "اركلوا حساباتكم المنطقية، فلا جدوى منها أمامي".

العواطف كما القدر لا دخل لنا فيها أسيأتي شبيه أم نقيض، في كل الحالات الحب هو التوافق الروحي والعقلي بين شخصين لا يرى أحدهما الحياة دون الآخر، كما أن الأحلام لشخص لا تظل كما هي، فليس كما السابق يكون الحلم مقتصرٌ على فرد، بل الحبيب يضع حبيبه نصب حلمه، فلا حلم ولا طموح ولا حياة دونه.

وقبل أن تذهب إلى جامعتها رأت رسالة عمر الفيسبوكية ودون أدنى تفكير أجابته:

- اللّه يسلم حضرتك.

لكن ما استوقفها كلمة" انسة" فوقفتْ تتأملها، فعمر الذي لم يكن يلقبها بغير" لدكتورة رضوى" الآن يلقبها" بالآنسة رضوى"، ما زال يلقب هدير بالدكتورة، ما الذي تغير؟؟ تساءلت رضوى، لم تجبّ على نفسها ولكنها قالت بتهكم شديدٍ "وكله كوم وانه وفي لحبيبته قبل مايشوفها ده كوم تاني". ضحكت ثم أغلقت حاسبها بعد أن كتبت على حائطها الشخصى" أن تعاهدها الوفاء قبل أن تلتقي بها يا له من شيء مثير!!".

الفصل الخامس

" أن تعاهدها الوفاء قبل أن تلتقى بها يا له من شيء مثير!!"

" أشتهي عذاب قربك، لكني لا أملك شجاعة البعد عنك"

رضوى تقول عن عمر إنه "يعاهدها الوفاء قبل أن يلتقي بها يا له من شيء مثير" أما أخته وبقبولها اعتذار نور وعدم المرافعة عن حقها في ألم الإنتظار الذي تحملته وحدها وبتعبيرها المستتر عن عدم قدرتها على البعد عنه وبالموافقة على ظروفه في تخلفه عن موعده لمرض والده وبإلغاء عقلها في التفكير في كثرة حِججه، وهو الذي لطالما تخلف عنها وعن مواعيده وعن اتصالاته وعن بدء الحديث معها ليكسر الصمت بين الليل وصباح اليوم التالي، لكنها دومًا تجاهلت أنه لا يهتم لشأنها، وتناست أنه من لا يهتم لم يكن بمحب، وكأن هند بقبولها جميع أعذاره تقول "أشتهى عذاب قربك، لكنى لا أملك شجاعة البعد عنك".

حتى في المقابلة الأولى بينهما بعد حادثة الإغماء عليها بسببه، اعتذر لها عن عدم قدرته على المجيء ولم يعتذر لها عن مرضها بسببه، أيّ محب هذا الذي لا يتوجع لشأن محبوبته وخاصة إن كان ألمها يرجع إليه، بأي منطق وبأي عقل لا ترفض هند حديثه وتواجهه بأن هناك اختراعًا يسمى هاتفًا، كان من الواجب الاعتذار من خلاله، أو على أقل تقدير يترك هاتفه مفتوحًا ويكلف خاطره فقط بالإجابة عليه عندما تدق عليه. لكن ربما يكون الحب بلا منطق وبلا أي حسابات عقلية.

شكى لها نور كثيرًا عن ظروفه المادية التي تحاصره بسبب مرض أبيه "ياسر المحمدى" الذي يعمل وكيلاً لمدرسة المستقبل الحديثة. اليوم مرض والده، وفي السابق زيارة مفاجئة من قبل أصدقائه وفي سابق السابق هاتفه مغلق فقد فصل شحن، وهو في العمل ولم يكن معه شاحنه، وكل يوم بحجة وبظروف شكل والعاشقة تهبه المسامحة دون وعي، لا تودّ تكذيبه بل دومًا تلغي أي احتمال لأي نوع من سوء الظن وتصدقه دون تفتيح عينيها على حقيقته، وبكلمات رقيقة من نور لهند تناست الأمر وكأن شيئًا لم يكن، بل وجعلها تود لو أنها تملك مساعدته ماليًّا بأي طريقة.

******

وفى ثالث يوم من حفلة خطوبة لمياء وبعد أن حضر الحفل أسرة هدير بأكملها، طُرق الباب ذات ليل، وإذا بحسن ابن عم هدير ووالدته،

حسن هو الأخ الأكبر لـ "لمّياء" يبلغ من العمر ثمان وعشرون عامًا، يعمل محاسبًا في أحد البنوك بطنطا محل إقامته، ويود أن ينتقل إلى القاهرة ليلتقي بطموحاته في العاصمة، يكبر حسن لمياء وهيام بسبعة أعوام، أحضر معه علبة أنيقة من الشيكولاته، وهذا ما جعل هدير تقلق لأمره فمنذ متى يأتي حسن لزيارتهم ليلاً فعادة هم يأتون بالنهار كي لا يتأخروا في مواصلاتهم ليلاً ومنذ متى يدخل بعلبة أنيقة من الشيكولاته؟

حين كانت هدير في فرح لمياء حاولت أن تتصنع اللاذوق معه، ورغم ذلك هو لم يفعل إلا العكس، فكان دائم الترحيب بها؛ هي كانت تتعمد أن لا تعطيه أى أمل في التقرب منها ليس هو فقط بل لكل شخص يحاول التقرب منها وهو في سن الزواج.

لكن هدير التي توهمت أن حسن يودّ التقرب منها للإرتباط بها ويتقرب من أختها الصغيرة هيام ليظهر صورته الحسنة أمام الأسرة بأكملها، لكن على عكس ما توهمت هدير كان حسن يتقرب منها ليظهر كل جميل به أمام أسرتها ليرتبط بهيام لا بها.

عندما سمعت هدير صوت والدة حسن تطلب يد هيام لابنها الوحيد حسن كأن حملاً من على قلبها قد سقط، فهي ليست من هواة الزواج بهذه الطريقة، هي تكره مذاهب الزواج التقليدية، هي التي طمحت دومًا في أن تلقى عقلاً يطير بها شغفًا قبل أن يتقدم لخطبتها، هي

الفتاة التي كانت دومًا تزين صفحات أجندات محاضراتها بكلمات مثل" لا أريد مالا ولا شهرة؛ أودّ عقلاً مُحبًّا" .

لكن لذَّتها في أن أمر الخطبة لا يخصها هي شخصيًّا لم تدم طويلاً، فهو يخص أعز الناس إلى قلبها أختها هيام، فماذا عنها هل تستوعب هيام جيدًا أن الزواج يجب أن يقام على التفاهم، الحب، الروح، لا المال ولا الشكليات المجتمعية، فقدت هدير لذتها حين شعرت بالخوف على أختها الوحيدة، في الأخير قررت هدير أن تناقش أختها في الأمر وأن تترك لها حرية الإختيار فلا أحد يملك أن يضع طبق اختياراته على مائدة آخر حتى وإن كانت أخته، تلك أفكار هدير ومن الواجب أن تُطبقها على نفسها أولاً.

******

وفي الجلسة الأولى لهدير وأختها هيام بعد أن سافر حسن ووالدته، وبعد أن أبدى والد هدير ووالدتها سرورهما، وبعد الدعاء إلى والد حسن بالرحمة والمغفرة من اللّه، وبعد أن صمت السيد" كمال الراوى" قليلاً لتذكُّره أخيه الكبير ورحيله، ربَّت على كتف حسن وبحنان العم قال له "ربنا يبارك لك يا ابني".

حاولت هدير أن تطرح وجهة نظرها لأختها هيام في أنه يجب أن تكون على وفاق مع الشريك، وإلا كانت العلاقة ضربًا من الجنون ولا فائدة

منها إلا الطعام وإنجاب الأطفال الذين في الأغلب لن تكون لهم أي هويّة مادام أبويهما ليسا على قدرٍ كافٍ من الوفاق والمحبة والتفاهم، الأتعس حقًّا في ضحايا الزواج الفاشل هم الأطفال.

على الطرف الآخر أبدت هيام وجهة نظرها لهند في أنها يجب أن لا تقلق ولا تخشى لهذه الدرجة، وأن فترة الخطوبة ستكون كافية لدراسة حسن -على حد تعبيرها- وذكرتها أن الدراسة في كلية التجارة جعلت آرائها حسابية أكثر منها عاطفية، حتى في عملية الزواج لن تقدم عليه إلا إذا رأت نسبة نجاحه بعقلها قبل عاطفتها، ولم تُخفِ هيام أيضًا على أختها أنها تشعر بنوع من الراحة، أو ربما الإعجاب بحسن في الفترة الأخيرة وقالت:

- غالبًا أضع من أشعر أنه رجل في عين اعتباري، وهذا ما أشعرني به حسن يوم زفاف أخته لمياء، في مواقف كثيرة معي شعرت أنه يحافظ عليّ وأنا حقًّا أودُّ رجلاً من هذا النوع. أيضًا يا هدير لربما تستمر تلك الراحة فيما بعد، بل وربما تزيد وتتقارب الأفكار أكثر من ذي قبل ولِمَ لَمْ تتقارب وإن تناقصت الراحة في فترة الخطوبة "يبقى يحلّها ألف حلّال".

لعل تعبير هيام "يبقى يحلها ألف حلال" جاء من معرفتها بطبيعة أبويها؛ فهما من الصعب إقناعهما بترك الفتاة خطيبها لأسباب -من وجهة نظرهم- غير جوهرية بل تعتبر تافهة، ولن يقنعهم أى سبب في

أن تُحل هيام من خطبة ابن عمها، لكن هيام في الأخير اختارت أن تجازف على أمل أن تستمر الراحة النفسية من قبلها لحسن وتتحول إلى حبّ كبير ويتوجوا بالزواج وبأطفال يعدون لهم مستقبل رائع.

هيام تعي جيدًا أن العلاقة بينها وبين حسن راحة، ربما إعجاب لكن ليست بحب على الإطلاق، لربما دقَّتها في كل شيء هي سبب راحتها فهي ليست كمثيلتها من الفتيات عندما تلتقي بأى كلمة اعجاب تعدها حبًّا، بل وتقدسه وتعيشه، هيام تقليدية وحساباتها لا تتعدى غير الزواج المستقر مع زوج يستوعبها ويقدرها ويحترمها، فهي لا تود جنون الحب بل تود من الحب أوسطه، لا تطمح إلا في إنشاء أسرة بسيطة وتزين الأسرة بطفلين أو ثلاثة على الأكثر لتكون لهم مستقبلاً هادئًا دون أي عقبات، وهي وجدت تلك الأشياء البسيطة في حسن، وإن كان حسن لا يتعدى طموحه تلك التقليدية فسيكوِّنا على الأرجح أسرة بسيطة وحياة هادئة مستقرة وجميلة من وجهة نظرهم.

لم يسع هدير إلا تحذير هيام من الزواج بغير حب ولا تفاهم، وعندما طمأنتها أختها ما كان من هدير إلا المباركة لأختها بكل ما تملك من حب أخويّ لها.

لكن برغم المباركة رنَّ صدى صوت هيام وكلماتها الأخيرة في أذن هدير:

– حتى لو أنا رفضت حسن معنديش أي أسباب منطقية أواجه بيها بابا

وماما وهما عمرهم ما هيوافقوا على رفض من غير مبرر قوي، وخاصة انه ابن عمنا يعني، ومن وجهة نظرهم هو ده اللى يقدروا يأمنوا عليَّ معاه، أنا لازم أحاول في العلاقة على أمل إنها تنجح بدل ما اعمل مشكلة نهايتها معروفة ومحسومة إني هتخطب لحسن برده.

دخلت هدير غرفتها بعد نقاشها مع أختها وأسندت رأسها على ظهر سريرها وبكت طويلاً، لأنها لن تستطيع -عند تقدم أحدهم إليها وعندما تراه أسرتها مناسبًا- أن توافق به وأن تجازف بنجاح زواجها من عدمه، إنها فتاة تؤمن أن قلة الزواج أفضل من الزواج الفاشل.

وبكل قلق ما كان من هدير إلا أن تفتش عن شريحة الهاتف التي قد اشترتها في المرة الأخيرة التي حاولت فيها أن تتعرف على فكر"هيثم"، وعندما تأكدت أن الشريحة تعمل، ما كان منها إلا أن ترسل رقم الشريحة الجدية إلى"هيثم" وذلك عن طريق رسالة عبر الفيس بوك من حسابها المزيف التي قد أنشأته من قبل وأقرنت الرقم برسالة "أعلم أن لك علاقة بالفلاسفة والفكر، هل لنا أن نتناقش سويا".

كانت ذكية في الرسالة تريد أن تتناقش معه لا أن تخذل دورها في التعرف على فكره فقط دون أي نقاش.

******

تمت خطبة هيام في أول خميس بعد انتهاء امتحانات العام الدراسى، ظهرت هيام بفستانها الوردي المتوج بوردة كبيرة على كتفها من جهة اليسار، سارت على مهل وفي قدمها حذاء أسود ذو كعب عال، جلست إلى جوار حسن بوجه جميل وضع عليه ما قلّ من المساحيق، وقبل أن يطوّقوا أصابعهم بدبلة الخطوبة دخل إلى الحفل أصدقاء هيام ومن بعدهم أصدقاء أختها المقربين "رضوى وهند"، وكالعادة لم تكن هند في حالة مزاجية طيبة، فليُركَل كل حب لا يؤدي إلى السعادة إلى الجحيم، إنه حب واهمٌ لا يستحق منا أن ننظر له أو نبقى فيه.

أما عن رضوى فكانت في نوع من الشرود القليل، بارك الجميع لهيام وحسن وذهب الجميع في ساعة ليست متأخرة من الليل، لربما حدث هذا نظرًا لأن هناك مدعوِّين عليهم السفر ويخشون التأخر في الطريق، خلا المنزل إلا من أصحابه وأسرة حسن.

رأت هدير الراحة على وجه أختها والإبتسامة لا تفارقها، فهدأت قليلاً، وحين دخلت غرفتها دق هاتفها وما كان منها إلا أن تجيب

- ألو!!

وهكذا كان هذا أول يوم تتحدث فيه هدير إلى هيثم برقم هاتفي مزيف، وحساب فيسبوكي مزيف، وحتى باسم مزيف مدعية أن اسمها "شيماء".

لم يكن في المكالمة شيء إلا كسر الخوف في الحديث إلى شخص غريب وها هو قد كسر إلى حد ما.

******

كمن يترقب الحب -هو عمر الذي أصبح ينتهز كل فرصة ليلتقى برضوى- أحب الحديث إليها، وأقبل على شجاعتها في القول، غرق هو في نشوة التخمين، هل تشعر به، وما الطريقة التي تراه عليها، أبالنسبة لها هو لا يعد إلا أخًا لصديقتها المقربة؟.

كمن يخطو أول قدم في بحر الحب؛ وقف عمر تحت عمارة هدير يترقف نزول أخته وصديقتها، حيًّا وسلم عليهم، ولم تكن خطته في ذاك اليوم بارعة؛ فقد حاول أن يعرض على رضوى توصيلها، لكن ليس معه أى حجة قوية في طلبه، لا يملك سببًا واضحًا لتوافق عليه سريعًا، فلم يكن الوقت متأخرًا كالمرة السابقة، ولم تكن رضوى في عهدة والدته كما ذكر لها في المرة السابقة، لكنه يود أن يطيل الحديث معها والفرصة المتاحة له هي توصيلها إلى منزلها.

أخيرا ألقى عمر بعصا الارتباك بعيدًا، والتقط طوقًا من شجاعة القول وعرض عليها أن يقوم بتوصيلها في طريقه هو وأخته هند، صمتت رضوى كالعادة ونابت عنها هند بالحديث وقامت بفتح باب السيارة في تلقائية، ووضعت يدها على كتف صديقتها وأدخلتها وهى تقول في مرح:

- انته لسه هتعزم يا عمر، أمال هسيبها في الشارع لوحدها يعني.

ما كان من رضوى إلا أن دخلت السيارة؛ دخلت وهى تريد أن تتحدث إليه، أن تندمج في أفكاره، بل ربما ودَّت أن تتأكد من مصداقيته في قبوله المرأة كإنسانة، وأنه لا يحب السلطات الذكورية التقليدية، تمنَّته رجلاً يؤيد المرأة ككائن مفكر مستقل، تود لو أن يطمئن روحها وعقلها بقول "المرأة هي إنسان يحترمها بروحها وعقلها وبكل ما منحت من حياة.

******

"أريد أن أهبكِ روحي وخوفي عليكِ، وأود أن أشاركِ الفكر والشوق معًا، فهل تقبلي أن أكون أنتِ، فتكون نفسي نفسًا مدمجة داخل روحكِ، ونفسكِ ما هي إلا حديث عني، هل تقبلينني حبيبًا؟"

المحب

عمر

كتب الرسالة وفي اللحظات الأخيرة اعتصم عن إرسالها لرضوى عبر الفيس بوك، أخجله أن يكون الحب مراهقًا، لا دم فيه ولا روح، يؤمن هو أن الالكترونيات تفسد شوق الحب بل تفسد كل مراحله من انتظار رسائل، صوته، نظراته، يريد أن يكون حبه برونق الشوق لا بسرعة الإنترنت، هو يرى أن الرسائل الورقية تزيد من رونق الحب، ودَّ أن

يكون حبه به من الأشواق ما يكفيه أبدًا، لهذا امتنع عن إرسال الرسالة عبر حاسبه كي لا تضيع أشواقه بكثرة الرسائل وعبر مكالمات الفيديو والماسنجر، يرى أن ذكريات الورقة المكتوبة وقودٌ للحب، كلما زاد عمر الورقة ودبلت زاد معها وفاء الحب وقدسيته، للورقة الصفراء القديمة إحساس خاص لا يريد عمر أن لا تتمتع رضوى به فيما بعد. أعاد هو كتابة الرسالة على ورقة بيضاء ودَّ أن تكون الورقة نقية كي تعبر نواياه الحسنة.

اتكأ عمر إلى ظهر سريره يفكر كيف له أن يرسل لرضوى بخطابه الأول، اعتصر تفكيره إلى أن تذكر نقاشهما حول كتاب الجنس الآخر "لسيمون دى بفوار". مازال يحفظ عن ظهر عشق الكلمات التي تحبها من هذا الكتاب فحين قالت "إن أحب المقاطع التي أحبها في هذا الكتاب هي إن الإنسانية في عرف الرجل شيء مذكر، فهو يعتبر نفسه يمثل الجنس الإناني الحقيقي... أما المرأة فهي في عرفه تمثل "الجنس الآخر". مازال عمر يحفظ الكلمات والحوار ورد فعله عندما دهش وقال "ليس كل الرجال ينظرون إلى المرأة بنظرة السيدة "سيمون"، وأن دليله فيما يقول هو شخصيا فهو يؤمن أن المرأة خلقت لتبهج الحياة ككأئن أول، وتَلَتْ كلماته نظرة إليها مع تبسم، كان رده رومانسيًّا ونظرات عينه تنمّ عن رجل وقع عند ساحل الحب.

حين حلَّ الصمت قليلاً في السيارة قالت هند بتهكم: "ألم تكن سيمون

ليس لها شأن إلا المرأة وقضاياها ألم تكن تحب؟"

علق عمر ورضوى في صوت واحد "بل خلَّدت قصة حبها بينها وبين سارتر".

قررعمر أن يشترى كتاب "الجنس الآخر" لسيمون دى بفوار وأن يضع أولى اعترافاته العشقية في صفحة المقطع الذي تحبه من الكتاب.

******

لماذا لا أمتلك شجاعة الوقوف في وجهه، إلى متى سأظل كآلاف الحمقى وأغفر له خيانة مشاعري دون أن يعترف لي، وأن يغير من تصرفاته لأجل أن يبقى الحب؟ أليس هو من قال لي في فترة الخطوبة أنه يحبني؟ أين هذا الحب الآن؟ لما لا يغير من تصرفاته من أجل هذا البيت الذي قرر أن نفتحه يومًا؟ أوليس من حق الجنين الذي في أحشائي أن ينمو بطمأنينة الأسرة، بحنان الأب الذي يتمنى أن يراه أمام عينيه ويعد الأيام كي يتلمس ابنه الأول ويفكر من أجل مستقبله كأيّ أب؟ إلى متى ستظل والدتي ووالدي يضغطون عليّ في الرجوع إلى المنزل بحجة أن أبقي على بناء هذا البيت، وهل الحياة الزوجية تُؤسس على طرف يبني وآخر يهدم دون أدنى شعور بالذنب؟

أعترف الآن أن اختيار الزوج لا يكون على أساس حسابه البنكي، أو مستقبل عمله المبهر، فالمستقبل بيد الله، هناك الفكر، الاتفاق

الروحي، احترام الشخصية لبعضهم البعض وبقائهم على بعض، ليتني احترمت حديث هدير حين جلست معي هيام تحاول أن تناقشني في أمر اختيارى للزوج وأسس اختيارى له؟

أنا حقًّا امرأة سيئة الحظ لم تستفدْ من كلية التجارة غير مجموعة من الأرقام، وها أنا حسبت زواجي بالأرقام إلى أن أصبحت امرأة باكية على الأسرة الهادئة التي كنت أتمنى تكوينها.

هكذا أصبح حال لمياء مع زوجها "علي"، لا وفاق ولا استقرار ولا شيء مما توقعت أن يفعله المال، فعلي لا يكفيه شيء مهما كسب ومهما جلب من المال، دائم الشكوى وعدم الرضا، ودائم النزاع مع زوجته، لم يرحمها حتى وهى في شهور حملها الأولى التي ينتظرها كل أب وأرسلها إلى بيت أبيها تبكي سعادتها المهدرة، لم تكن المرة الأولى التي تذهب لمياء فيها إلى منزل والدها، فقد سبقتها بمرتين، وفي كل مرة تضغط عليها أسرتها في أن ترجع إلى منزلها و"تغزى الشيطان" كما يقولون.

تلك المرَّة الحجة أقوى لدى والدتها بأنها تحمل إنسانًا جديدًا إلى الحياة، ويجب أن ترجع إلى بيت "علي" المنتظر بالخارج، لكن إلى متى ستظل ناقصة الشجاعة في مواجهته؟ وإلى متى ستظل تتقبل حججه العبيثية وهى تقول "هيتغير المرة دي؟".

خرجت وقد أعياها حديث والدتها أكثر، جلست على الأريكة، لم تنظر

إليه وهو لم ينتظر أن تتحدث إليه أولا، وقال:

- أوعدك هتغير المرة دي، أنا كمان لقيت شغل في شركة أدوية في القاهرة، أنا حاسس انى هكون مستريح فيها، سامحيني المرة دي والشغل فيه شقق للمتزوجين وآخر مرة يحصل مني حاجه تزعلك تاني.

نظرت إليه في دهشة:

- شغل إيه وقاهرة إيه وشركة أدوية إيه؟ وامتى دوَّرت ولقيت وعملت كل ده؟ وماله شغلك هنا؟ ومالها حياتنا الحمد لله احنا مستورين؟

لم تدعها والدتها ووالدها لاكمال حديثها حتى أعادوا نظرياتهم المعتادة

- يجب أن تذهبي مع زوجك، بيتك أهم حاجه في الدنيا.

لم تملك لمياء شجاعة رفضه وطفله في أحشائها ووافقت على الذهاب معه إلى القاهره علَّه يتغير.

******

انتهت هند ورفيقاتها من امتحانات السنة النهائية لكلية الطب، وأعطت هند الكتاب الذي قد أعطاها إياه عمر إلى رضوى وأخبرتها أنه هدية من أخيها إليها اعتزازًا منه بالمرأة، لم تتردد رضوى في قبول الكتاب،

ولأول مرة تشعر من دواخلها أن تود أن تتحدث إلى عمر كثيرًا ووجدت في الهدية حديثًا كثيرًا يجب أن تقرأه.

لم تخرج الفتيات الثلاثة كعادتهنّ في آخر يوم للامتحانات، فقد كانت هند مشغولة بلقائها بنور الذي قد وعدها من قبل أن يتقدم لخطبتها بعد أن تنتهى من امتحاناتها، طارت إليه على أمل أن يُفاتحها في أمر زواجهما وفي وعده لها بأن يتقدم لها فور انتهائها من أعبائها الدراسية، راحت كلمات نور ووعوده تتراقص أمام قلب هند، وتناست أن نور كان يسكنها كل فترة بشيء ما لتأجيل أمر الزواج إلى أن وجد حجة الدراسة حجة مناسبة تمامًا لإسكات هند أطول فترة ممكنة، وربما لم تتناسى وربما عُميت أصلاً عن فهم الحقائق أو ربما خشيت من الضغط عليه فيرحل.

ذهبت إليه في المكان المتفق عليه وجلست إلى جواره بحماس فرحة إتمام الوعود، وبعد أن تحدَّثا طويلاً وغازلها كثيرًا بكلمات مُنمَّقة ما كان منه إلأ أن دعاها إلى المغادرة فلديه عمل على أن يتحدث إليها ليلاً.

رحلت بخيبة توقعاتها ورجعت إلى منزلها تجر من خلفها التكهنات لموقف نور منها، فحادثت نفسها وحاولت التماس الأعذار مُجددًا له، وهدَّأت نفسها بتقبل عذر العمل لديه، ولربما سيحدثها في أمر زواجهما في الهاتف ليلاً، لكن التفكير أصابها مُجددًا وجلست في

غرفتها تبكي وتلعن حالها، لماذا لم يبُحْ لها بشيء مما وعدها به؟ ألم تنتهِ الامتحانات؟ أليس هو الواعد لها بأن يتحدث إليها في هذا الأمر في أول يوم تنتهي فيه من امتحاناتها؟ لعنت حالها أكثر حين خانتها شجاعتها في عدم مفاتحه هي له في الأمر.

فى الأخير احتضنت هند هاتفها تتوق إلى اللحظة التي يتصل نور بها فيها لعلَّها تصيب أملها في البوح من قبله بأمر الزواج.

"هل هي لعنة أن تؤمن بوعودهم وأن تثق في كلماتهم؟" تساءلت هند.

"الأمر سيظهر مساء اليوم عندما يتصل بى نور" أجابت نفسها.

جاء المساء وتلهَّفت هند نور كعادتها، جلبت هاتفها ونظرت إلى اسم "نورى" وضغطت على زر الاتصال لكنها ألغت الاتصال في اللحظة الأخيرة تحاول أن تقاوم، تحاول أن تنتظر اتصاله، تأسف على كرامتها، تعلل بدأها دومًا بالحديث إليه "أنه لا يوجد بين المحبين كرامة" ثم ترجع لاعنة تفكيرها وتقول "إن بين العاشقين احترام والاحترام من الكرامة".

بكت طويلاً وفي الآخير قررت أن تبدأ هي بالاتصال كعادتها، تشجَّعت وضغت على زر الاتصال وانتظرت إلى أن جاءها ردّ هاتفه مغلقًا، جُنَّت عندما وجدته مغلقًا، واتخذت من النوم صديقًا لعلَّه ينقذها من التفكير

فيه، لكن هيهات أن يأتي النوم لعاشقة! وهيهات أن يكون الفراش حليفًا لمفكرة في تجاهل أحدهم لها!

فتح هاتفه بعد ست ساعات من انتظار هند له، ووصلت لهند رسالة تلقائية مفادها أن هاتفه متاح الآن، منعها غضبها من أن تتصل لأول ساعة بعد إتاحة الهاتف، لكنها وبعد انتهاء الساعة الأولى لم تطق صبرًا وهاتفته هي بروح من اللهفة والقلق والحيرة وكرامة مهدرة، أجاب اتصالها وحدثها طويلاً وتحجج لها بعمله وبنوع من الاستياء قالت:

- كنت ابعت رسالة يا نور، وكمان انته فاتح التليفون من ساعة.

زخرف لها الكلمات وزرع لها من الحجج ما تكف بها عن الحديث، لكنها في الآخير ظل في نفسها شيء من الأسى.

بعد أن تحدثا طويلاً حاول أن يغلق الهاتف بهدف النوم لكنها استوقفته وقالت بخجل النساء:

- أود أن أكون معك دومًا!

- أنا الآخر. علق هو

- متى؟

صمت قليلاً ووجد أن الحديث المباشر أذكى الطرق لتأجيل الأمر،

أخبرها بأن ظروف مرض والده وظروفه المادية ستضطره أن يتأخر بعض الوقت، وأكمل حديثه بكلمات من حب حتى تتقبل هند حديثه وكأن الكلمات البرَّاقة تعمي وتصم المرأة العاشقة، قال إنه يأسف لذلك وأخبرها أنه يود أن يكون معها اليوم قبل الغد، ويود أن يصحو على وجهها وصوتها لكن عليها أن تصبر إن كانت تحبه.

وانتهت المكالمة بخفقان امرأة في فهم حقيقة رجل أمام الكلمات البراقة وبقبول من هند أن تراعي ظروفه وأن تتحمله حتى يجتمعا.

******

عندما يبدأ الحب مختلفًا يكون ذا مذاق خاص لا ننساه عبر الزهرة العمرية لعشقنا، ها هي رضوى تعتزل نفسها مع هدية عمر داخل غرفتها، تنزع غلاف الكتاب وتتلمسه وتمنع النظر في كلماته بداية من الغلاف إلى الصفحة التي وجدت فيها خطاب عمر، دُهشت عندما رأته فكيف تسلل خطاب إلى كتاب مُغلف من الخارج بورقة بلاستيكية، فتحت الورقة على مهل وكأنها تكتشف سرًّا من أسرار الدولة العليا، وحين وقع نظرها على كلمات عمر ما كان منها إلا أن وضعت وجهها بين كفيها وهى تهمس بكلمات إلى نفسها "كيف وضع الخطاب ومن أين له بتلك الفكرة؟ وكيف أهَّله عشقه لأن يضع خطابًا مع الفقرة المفضلة لديّ بالكتاب؟ وكيف كانت ذاكرته العشقيّة متينة لأن يتذكر بها الجزء المفضل لديّ من كتاب سيمون؟

لَكَم تمنَّت رضوى أن يأتيها الحب على غير مواطنه الإلكترونية التي أصبحت معتادة فيبدأ الحب منها سريعًا وينتهى كما بدأ عاجلاً، وها هو أملها يتحقق أمام قلبها.

لكن ماذا عنها؟ هل تحبه أم ما زالت معجبه به فقط وبأفكاره المؤيدة لإنسانية المرأة؟ أتحب نقاشاته أم تحبه لشخصه بغض النظر عن أيّ شيء؟ هل إذا غير عمر أفكاره في شيء ما ستظل عندها الرغبة في رؤيته وملاقاته والنقاش معه؟ هل ستظل مُنتمية إلى السعادة التي تنتابها حين تشعر أنه يتقرب منها أو يغازلها ببعض الكلمات المهذبة؟ هل نشوة القرب منه ستبقى طويلاً؟

- هل أجيبه أم أتجاهل الأمر وكأن شيئًا لم يكن، وكأني لم ألتقي بالخطاب، وأتركه لوجع التوقعات؟ لكن هل لي من قدرة على وجع شخص؟ تساءلت رضوى

فى الأخير قررت رضوى أن تعتزل حاسبها وأن تعتصم عن ملاقاة هند وهدير حتى لا يذكر أى شيء أمامها يخص عمر، فيلتبس على قلبها الأمر، بذلك أعطت رضوى مهلة لقلبها ولعواطفها لتتعرف على شعورها الحقيقي تجاه عمر.

بعد ثلاثة أيام رغبت رضوى في الحديث إلى عمر عبر حاسبها كعادتها في الأيام الأخيرة لكنها أمسكت على نفسها وتذكرت عهدها بأن لا

تتسرع في دخول معابد الحب وأن تسير على مَهَلٍ حتى لا تخرج منه على عجل.

استعانت على شوقها بإشغال نفسها في قراءة الكتب المفضلة عدا كتاب الجنس الآخر لسيمون الذي أصبح ذكرى بينها وبين عمر، وعندما كان الشوق يداهمها ويقسو عليها كانت تلجأ إلى الجلوس بجوار والدتها وأختها الصغيرة وتُرهق نفسها كثيرًا حتى تنشغل عن التفكير فيه، قويت خمسة عشر ليلة على شوقها إليه، لكن في الأخير اشتدت عليها لهفة الحب والتفت حول قلبها بقوة فما كان منها إلا أن تقدم ورقة إجابة قلبها وأجابت نفسها في نشوة" أنا امرأة محبة" .

قررت أن ترسل له تعهُّدها الذي كانت قد كتبه في زمن مضى، والذى كانت قد وقَّعت عليه وأقرَّت فيه أن لا تدخل معبد الحب على سرعة من أمرها.

أيضا اقتنت ورقة بيضاء لتكتب إليه رسالة وترسلها مع التعهد لتعبر له عما في دواخلها إليه، كتبت تقول:

"كيف تسللت إلى قلبي دون أدنى مقاومة مني؟ لقد أحكمت غلق عاصمتي القلبية خوفًا من أوجاع الحب، فكيف سرقت مفاتيح أقفالي وتسربت داخلي بكل تلك الأناقة، من أين لك كل تلك القوة التي جعلتني أتعلق بك وأفكر جديًّا في دخول رواق العشق، أتمنى أن تقرأ

التعهد المرفق مع خطابي الأول جيدًا وأن تُطيل النظر فيه، وان قبلته أتمنى أن تُوقعه وأن ترسل لي تعهدك وتوقيعك عليه، فلربما تعرضنا للوعكات العاطفية يومًا فيكون تعهدنا شاهدًا علينا. وإن لم يرُق لك التعهد فسأحترم ما بيننا من فكرٍ؛ فالحياة احترام وفكر وحب، والأخير ليس شرط له أن يكون نوعًا واحدًا فقط، فحب الصداقة شيء رائع، انتظر توقيعك أو صداقتك...

المخلصة

رضوى هلال

وضعت رضوى الخطاب والتعهد إلى جوارها وتمنت أن يكون القدر حليفًا لها حتى تستطيع أن تعطي تلك الأوراق إلى عمر، انتظرت يوم، اثنان، أسبوع إلى أن دعتها هدير إلى حفل زفاف أختها هيام، هيام التي أخبرت هدير أن حسن يتوافق معها فكريًّا وطموحه يتقارب مع أهدافها البسيطة في تكوين أسرة هادئة. حينها تسائلت هدير عن الحب؟

– فليتعمق الحب بيننا على مهل، أنا معترفة أني معجبة بحسن وأني في طريقي إلى حبه ومن بعده عشقه. علَّقت هيام.

– العشرة قد لا تؤدي إلى الحب؛ وإلا ستكوني امرأة نادرة الحظ برضا الحب عنكِ وغزوه قلبك عن طريق الإعجاب والعشرة. قالت هدير.

ألقت هيام بجسدها في حضن أختها وقالت:

– أنا معجبة به أكثر من ذي قبل، وتعلقت به جدًّا، لن أخفي عليكِ تعلقي به ليس بدرجة مُحبة بل بدرجة مُعجبة، مُعجبة بهدوءه، وعْيه، ربما أيضًا عدم تهوُّره في الأحلام والطموحات، تحول إعجابي به في الفترة الأخيرة إلى إعجاب شديد، فلتدعم العشرة الإعجاب الشديد ليصبح حبًّا ومنه عشقًا.

حينها تبسمت هدير وقالت أتمنى لكِ السعادة، فربتت هيام على كتف أختها وقالت" سيدخل قلبى بيتًا من عشقٍ في وقتٍ ليس بالطويل".

هكذا اختارت هيام حياة بسيطة بإعجاب في طريقه للحب كما تعتقد وكما تتمنى، وهكذا انتوت أن تدعم طموح حسن البسيط وأن يسيرا في الحياة بتروٍّ، فهما اتفقا أن الحياة لا تؤخذ بالقوة وإنما بالتروي.

جاء حفل الزفاف وقد كانت الحفل في محافظة حسن، ركبت رضوى سيارة قد أتى بها والد هدير للمعازيم كي يرفع عنهم عناء السفر خارج القاهرة.

جلست رضوى ما يقل عن عشر دقائق وهى تحاول الإتصال بهند التي قد اتفقت معها أن يلتقيا عند منزل هدير. والتقت عينيها بهند حين كانت تتحسس حقيبتها التي لا تُخرج منها الأوراق التي تود أن تعطيها لعمر.

بعد أن حيَّت هند رضوى جاءت إليهما والدة هدير وأخبرتهما أن هدير ستلتقي بهم في قاعة الحفل حيث إنها ذهبت منذ الصباح مع هيام.

جلست رضوى شاردة الفكر كانت تتمنى أن يكون عمر مع هند بحجة توصيلها كما فعل ذلك في مواقف سابقة.

حين نشتاق إليهم لا نستطيع أن نرى جيدًا، أو أن نفكر في الأشياء بدقة، كل ما نفعله أنهم حين يخالفون توقعاتنا نتوهَّم كل سوءٍ، وهذا ما فعلته رضوى، توهّمت أن عمر قد ملَّ غيابها عليه في الرد، فلربما كان يود أن لا تُطيل عدم الإجابة عليه وأن تبتكر الوسائل الموصلة إليه كما ابتكر هو، أو ربما اعتقد أن إطالتها في عدم الرد عليه ما هو إلا مؤشرًا لعدم قبولها.

على كل حال انتهى حفل الزفاف وذهب الجميع بعد أن باركوا للعروسين، وحين لم يتبقى على " رمسيس " إلا عشر دقائق دق هاتف هند فوضعته بداخل حقيبتها دون إجابة وتساءلت رضوى لأول مرة:

- من؟

-عمر، أجابت هند بتلقائية.

صمتت رضوى وكأن إجابة هند صفَعَتها، وكأنها تود أن تطلب منها أن تجيب عليه لعله يطلب أن يأتي ليقوم بتوصيلهما.

وفى دقة الهاتف الثالثة أجابته هند وراق لرضوى ما أخبرتها هند به

"عمر سينتظرنا عند منزل هدير فالوقت قد تأخر".

بعد وصولهما سلمت رضوى سريعًا على الجميع وذلك بعد أن حيًّا عمر الجميع وذهب ليشترى بعضًا من المشروبات فاتخذت رضوى من انشغال هند بالسلام على أسرة هدير ومن انشغال عمر بالشراء فرصة لأن تذهب نحو السيارة وتضع الأوراق على مقعد عمر، لكن خطتها ذهبت إلى اليأس عندما وجدت أبواب السيارة مغلقة. ورغم ذلك جاءت معها الأقدار حين سمحت لها بوضع الأوراق إلى جوارها بعد أن دخلت السيارة وقبل أن تصل إلى منزلها ببضع دقائق، فلم يشعر بها أحد لا هند ولا عمر.

الفصل السادس

إلـى جبروت العشق من طـرق واحـد، أُهـدِيـك السلام فأهديني رحيلك.

بالمنطق علينا البُعد عمَّن رحل دون أسباب منطقية، لكن عمى الحب لا يُمكنُنا من فعلة الرحيل.

عليها أن تنسى أربع سنوات من حبها إليه لأنها لا تليق به، بل على الأصوب حياتها الإجتماعية لا تتناسب مع ثراء أبيه السيد "يحيى الرامى"، أما عنها فهى ابنة العم "حسن" بواب العمارة التي تسكن فيها هند وأسرتها.

دخلت رقية كلية العلوم على عدم رغبة منها، فرقية ذات التسعة وتسعون في المائة في الثانوية العامة كانت تود أن تلتحق بكلية الطب كما التحقت زميلاتها وكما التحقت هند التي تشابهها في السن وفي السنة الدراسية، لكن من أين لها بالمال الذي ستدرس به كل تلك

السنوات، عندما باحت لهم في غرفتهم الصغيرة التي تسكن بها هي وأخواتها الثلاثة الصغار ووالدتها ووالدها المُسن عن رغبتها بدخول كلية الطب حسبوا أن الكلية أربعة أعوام كغيرها من الكليات وعندما أوضحت الصورة انقلبت سعادة والدها بنجاحها ومجموعها الكبير إلى انعزاله في ألم وحسرة، فمن أين يأتي بالمال لرقية، وحتى وإن ادخر كل ما يكسبه خلال الشهر إلى رقية وإن اكتفت به فمن أين له ببقية المصاريف على أطفاله الصغار ووالدتهم التي انحنى ظهرها من خدمة سكان العمارة؟

ما كان من رقية إلا أن تقرر أن تدخل كلية ذات أربع سنوات، وأن لا تنظر إلى هند التي تساويها في المجموع والتى ستدخل كلية الطب وقالت "لعل الخير فيما سأقدم عليه"، تمهَّلت رقية في الاختيار واختارت كلية العلوم وقبل أن تنطق لوالدها باسم الكلية التي ستدخلها أخبرته أنها ستعمل إلى جوار الدراسة، وأن الأمر سيكون سهلاً، وأنها تحب العلوم كما تحب الطب، وكتمت في نفسها أن كلية العلوم ستحتاج أيضًا إلى مال ليس بالقيل، لكنها توسطت الأمر كي لا يشعر والدها بالضيق والآسى والعجز التي رأته في عينيه منذ أن علم أنها ترغب في دخول كلية الطب.

عملت رقية في صيف الثانوية العامة كسكرتيرة لطبيب قريب من سكنها، مواعيد عملها من الساعة السابعة مساءً وحتى الثانية عشر

صباحًا، وكانت تتقاضى حوالي ثلثمائة جنيه، شعرت بالإرهاق لكنها كانت سعيدة أنها كونت ما يقرب من تسعمائة جنيه خلال الثلاثة أشهر المنقضية.

بدأت الدراسة والتحقت رقية بكلية العلوم وحافظت على عملها بجوار دراستها وأصبحت تنفق على كتبها ومواصلاتها مما تتقاضاه خلال الشهر وتكمل مما ادخرته في إجازة الصيف، هكذا أتمت رقية فصلها الدراسي الأول دون أن تشعر بأي ألم سوى التخلي عن حلمها بالدراسة في كلية الطب.

*****

وعدتها الدكتورة "مريم" والتى تعمل في أحد أقسام كلية العلوم والتى قد دَرَّست لرقية مادة بالفصل الدراسي الأول من عامها الأول أن تجد لها عملاً أنسب من عملها في العيادة براتب أعلى.

عرفت الدكتورة "مريم" قصة رقية حين قرَّرت الأقدار ذلك، فعندما قررت أن تتخلى الدكتورة مريم عن طبيبها المعالج وأن تبحث عن غيره لأنها تشعر أنها لا تتحسن بأدوية طبيبها، كان القدر قد اختار لها الدكتور الذي تعمل عنده رقية وعند دخول "مريم" إلى العيادة ما كان من رقية إلا أن رحبت بها ترحيبًا شديدًا، لكن على الرغم من ترحيب رقية بالدكتورة مريم إلا أنها لم تتذكرها وما تذكرتها إلا عندما دخلت

لها المحاضرة في ثالث يوم من أيام الكشف فتذكرتها بعد أن وقع نظرها عليها فاستوفت مريم رقية بعد انتهاء المحاضرة واستفسرت منها عن سبب تواجدها في عيادة الدكتور فما كان من رقية إلا أن سردت لمريم سبب دخولها كلية العلوم وسبب عملها في تلك العيادة، لم تكن رقية تسرد حياتها لأحد إلا أنها شعرت أن الحديث مع مريم يشعرها بالراحة والأمان بل بالقوة أحيانًا.

بعد أن حكت رقية سبب عملها عند الدكتور رغم احتياجها للوقت في المذاكرة وعدتها الدكتور مريم بأن تجد لها عملاً في مجالها حتى وإن كان عملاً إداريًّا إلى أن تكمل دراستها. وبالفعل مع انتهاء امتحانات الفصل الدراسى الأول فاجأت الدكتورة مريم رقية بإيجاد عمل إدارى لها في إحدى شركات الأدوية والتى يمتلكها صاحب والدها.

عزفت رقية على بيانو من حلمٍ وطارت بجناحين من طموح عندما أخبرتها مريم عن العمل الجديد ذي الراتب الأعلى، وعدد ساعات أقل، وبجهد أقل، والذي سيُمَكِّنها من الدراسة بشكل أفضل.

عملت رقية خلال إجازة الفصل الدراسى الأول بكل ما امتلكت من أمل لأن يكون عملها الجديد بداية راحة لوالدها من عناء العمل؛ فهذا الرجل المسن من حقه أن يستريح في كبره قليلاً.

ومن جناح السعادة بعملها الجديد إلى جناح من حب، ففي منتصف

الفصل الدراسي الثاني من عامها الأول بكلية العلوم أحبَّها وأحبته. لم تنس اليوم الذي قال لها فيه "أحب براءة وجهك وروحك". طارت هي فرحًا بقوله لأنها كانت تنظر أن يبوح لها بحبه وحين عزف لها "باسم" على أوتار الحب ما كان منها إلا أن بادلته العزف على جيتارٍ من لهفةٍ لحبه.

******

غادر فراشه بعد ليلة حزينة قضاها في التفكير، أأخطأ هو حين أرسل إلى رضوى بذاك الخطاب، أجُرِم أن يعبر الإنسان عن حبه في بلد شرقي؟ ما الحمق في تصرفه؟ لم يكن يريد عمر أي شيء سوى الإجابة على طلبه سواء بالقبول فيصير أسعد الناس أو بالرفض فيتفقا على الإحترام فيما بينهما.

نزل عمر من المنزل وهو يحمل حقيبة عمله السوداء وكأنه يحمل فوق كتفه كل هموم الدنيا. فتح عمر باب السيارة ودخل إلى مقعد القيادة، وفي محاولة منه لأن يضع الحقيبة في الكرسي الخلفي وجد الأوراق الغريبة واشتم رائحة رضوى فيها قبل أن تلقتطهم يده فغضب من غباءه كثيرًا، حقًّا العشق يعمي التفكير.

ما هذا الغباء الذي حل بي؟ عشت ليلة تعيسة بكل ألوان الوجع ولم أفكر لبرهة أن رضوى من الممكن أن تكون قد وضعت الأوراق بجوارها في

السيارة؟ علق عمر على حالته.

كمن وقع على نجاةٍ من السماء؛ كانت حالة عمر حينما فتح الأوراق ووقع نظره على رد رضوى، وكفرحة طفل راح يقود سيارته في اتجاه عمله وفور وصوله وقَّع على التعهد المراد لا ليرضي رضوى بل لأنه يتفق مع بنوده وأفكاره فهو لا يود أن يجفّ حبه لرضوى ولا يتناقص عبر زهرة عمره وحتى بعد موته.

وعد عمر نفسه أمام اللّه وأمام العشق أن يحافظ على رضوى وأن يكون لها سكنًا ورحمة وقلبًا تركن إليه في كل أيامها وكتب لها ورقة جديدة مرفقة مع توقيعة على التعهد:

"عزيزتى رضوى تلهَّفتكِ شوقًا في الأيام المنقضية، أعاهدك أن أكون لكِ كما رغبتِ في رجل أحلامك، وأن أحترم قدسيَّة أفكارك وأن أهبك من العشق أفضله، أود أن أراكِ.. هل لي ذلك؟"

المخلص لكِ

عمر

هكذا اختتم عمر خطابه برغبة مقرونة باحترام لرغباتها.

******

إلى جبروت العشق من طرف واحد، أهديك السلام فأهديني رحيلك،

فما أقسى أن يُدخل الإنسان نفسه في حب من طرف واحد، وأن يتراقص وحده على حبلٍ من عشقٍ دون أن يكون له شريكًا للرقص على أنغام موسيقى الحب.

هكذا فعلت هدير... أدخلت نفسها في مدينة عشاق ليس لهم سوى الوحدة ونيس، اعتادت هيثم أو ربما عشقته، المهم أنها دخلت من باب الأوهام باسم مزيف ومعلومات غير صحيحة، اعتادت الحديث معه عبر الإلكترونيات، في الصباح على الهاتف، وفي المساء عبر الماسنجر والواتس آب، تعلقت بحب من زجاج فبغَلّق الهاتف يغلق الحب، وبغلق الحاسب يدخل العشق نعّش الفراق.

لم يُصرح لها هيثم بحبه لكنها اعتادت عليه حد الوجع فلا يكتمل يومها دون حديثه عبر شاشات من وهم. وفي آخر مكالمة على الهاتف طلب منها أن يراها، حاولت أن تعرف شعوره بالنسبة إليها، لكنه لم يصرح إلا بأنه يحب النقاش معها ويودّ أن يعرف الفتاة التي تحب الرجل المفكر -على حد تعبيرها.

تعترف هدير أن هيثم يحب الأفكار المادية والفلاسفة والمفكرين الماديين ولا ينتمي إلى المثالية إلا قليلاً، وعلى الرغم من كل هذا تمنت هدير لو أن ترتبط به وبررت لنفسها ذلك قائلة "المهم إنه بيفكر ومهتم بالمعرفة ده في حد ذاته ميزة ممكن أتخلى عن أي حاجة

بعدها".

درست هدير الأمر، هل تراه وتكسر قاعدة الخوف من مقابلته فلربما يتغير الأمر بعدما تلقاه فينجذب هو الآخر لها، فقد قيل أن الرجل يعشق بعينيه، فربما يكن الحظ حليفًا لها وتدخل محراب الحب ويغفر لها هيثم كذبتها عليه في اسمها وهاتفها وغيره، وعندما طمأنت نفسها وقررت مقابلته وجدت ما لا ترغبه فليس كل ما نفكر فيه يمكننا تنفيذه بنفس النمط الذي خطَّطنا له.

فعندما قررت ملاقاته اختفى هو، أغلق كل وسائل الاتصال بها، وكسر كل ما في هدير من أمل وحلم وتعود عليه.

هكذا هي هدير أصبحت في وجعين؛ وجع تعوُّدها على هيثم ووجع إلحاح أهلها عليها بالزواج مع كل عريسٍ يتقدم إليها. ماذا تفعل؟ أترضى كما رضيت لمياء بأن تتزوج من عمل مستقر ومستقبل -من وجهة نظرهم- هادىء، لكن أين هي لمياء الآن، هي في جحيم عدم التفاهم وعدم الاستقرار، هي التي لا يخفى على أحد المشاكل التي بينها وبين زوجها "علي".

"عليّ" الذي لا يهتم بأى شيء في الكون سوى المال، لا زوجة ولا طفلة حديثة الولادة تهمه، كل ما يهمه هو جلب مال أكثر، كم يخسر الانسان حياته عندما لا يرضى، حقًّا عدم الرضا مرضٌ يجب

أن نستغفر الله ليحفظنا منه.

أخيرًا فكَّرت هدير جيدًا، وتوصلت إلى أن تُقيم من عدم استقرار لمياء في الزواج حجة لعدم التسرع في أمر زواجها، هكذا سكنت هدير أبويها في أمر زواجها، وبالفعل رفضا آخر شخص تقدم لخطبتها بعدما كانا متمسكيْن به، نجحت هدير في تسكين أهلها، لكن من أين لها أن تُسكن وجعها في أمر مواعدتها بل ربما حبها لهيثم؟ هكذا تساءلت هدير.

******

حين يُواعدها للقاء تكون كطائرٍ مغرد في سماء العشق، وحين يتمنَّع عنها في الحديث تصبح كطائرٍ مذبوحٍ وقع تحت أقدام الأوجاع.

حمقاء هي لا ترى إلا أنها تحبه، عُميت عن أن للعشق احترامه وكرامته ومن أتى على كرامة واحترام الآخر لم يكن بمُحب.

وعلى مائدةٍ أحد أطرافها عشق والطرف الآخر مراوغة جلست هند ونور يتحدثان، ادعى هو أنه لا يستطيع أن يعيش بدونها ولكن كيف وهو كل يوم في شأن؟ فيومٌ يُحادثها ويومٌ يمتنع عنها، وتارة يصنع لها حبًّا من خيالٍ وتارة أخرى يُميتُها هجرًا، هل للعاشق مقدرة على البعد؟

شرد هو فتساءلت هي:

-مالك ؟

- لا شيء، أجاب هو.

ألحَّت في السؤال عما به، فأجاب:

- والدى مريض ولا أخفي عليكِ أحتاج إلى المال فهو قارب على الخروج من المستشفى وما معي لا يكفي لسد احتياجات الخروج.

تسرعت هي ولم تفكر إلا بأن الحب تضحية، ولم تعِ أن التضحية تكون للعاشق الحق لا العاشق الواهم.

ربَّتت على يده هند وقالت:

معى ما يقرب من ألفيّ جنيه؛ ادخرتهم منذ أن التحقت بالعمل الجديد بعد أن انقضت سنة الامتياز الخاصة بي، ثم ضحكت وقالت الآن أمارس مهنة الطب بجدارة، ثم اتخذت من الجد حديثًا وقالت صدقنى لا احتاجهم الآن.

وضع إصبعه على شفتيها مُسكتًا إياها، وادعى أنه يفضفض لها ما به لأنه يرتاح بالحكي إليها، لا لأن يأخذ مالها.

غضبت هي ودَعَتْ على نفسها بالموت إن لم يأتِ لها في نفس المكان والموعد غدًا لتأتي له بالمال من المنزل، لم يعارضْها هو طويلاً بل وافق هو على أخذ مالٍ من حمق عاشقة، فبدلاً من أن يكفيها هو حبًّا أنقصها مالاً وعشقًا.

******

أوصلها نور إلى المنزل لأول مرة منذ أن تعرف عليها وأودعها قبلة من شجن واضعا اياها على جبينها. وعلى فراش من ذاكرة اتكأت هند والدمع في مقلتيها والعشق من أمامها والألفي جنيه بجوارها، ربما حين باحت هند لنور عن عدم احتياجها لما ادخرته من عملها كان من باب عهد الحب، لكنها الآن تفكر وتتذكر وتلبس رداءً من حزن الذكريات، ذكريات منزلها وهو يتسع لوالدها ووالدتها وأخوها عمر، تذكرت حين كانوا يجلسون على مائدة إفطار واحدة تنطق باسم بابا في أمان وماما في حب وعمر في أخوة، لكن أين الآن هو والدها، يعيش منذ أن انفصل عن والدتها السيدة "سامية" في ألمانيا.

ذرفت هند دمعة على وجنتيها متذكرة آخر مرة رأته فيها، قد رأته في حوار صحفي له في إحدى المجلات مع شخصية مرموقة، فالسيد "كريم صدقي" يعمل صحفيًّا في إحدى الصحف العالمية، لكن أين هو من أولاده وأين هم منه؟.

هو الرجل الطموح الذي لا يأبه بأي شيء سوى عمله ومركزه وطموحاته، الرجل الذي فضَّل السفر إلى الخارج رغم معارضة زوجته لذلك لأنها هي الأخرى تحب عملها وترغب في التقدم فيه ولا ترغب في ترك بلدها لا لشيء سوى لطموحاتها العملية.

اتفق الإثنان على بيع كل جميلٍ وقررا أن ينفصلا دون أدنى مسؤلية أمام طفلين لا يحتاجان من الحياة إلا أمان أب وحنان أم.

واليوم تتمسك هند بنور رغم كل ما يفعله من قسوة وهجر رغم إماتته له على طريقته وإرجاعها إليه بمجرد إرادة منه، تخشى هي أن يتركها فلا تجد أى حفنة أمان، لكن أي أمان هي تتحدث عنه وتراه، لربما هي تحتاج الأمان حتى وإن كان وهميًّا، حتى وإن جاء يوم وانقطع آخر؛ المهم أن لا يهجرها الشعور بالأمان إلى الأبد، تخشى أن تترك نور فلا تجد كلمات من حنان وأمان فتخسر تقطعه في الوصل، وربما لو تركته لما وجدت من بعده أي شخصٍ يعطيها أمان من قريب أو من بعيد.

هكذا هي تفكر تفكيرًا عليه غشاوة الظروف والعشق، وهكذا هي الآن تقع في محارم الحب الواهم فتتخذ من المال عكازًا لأن يرضى بها نور عندما تخبره أن والديها منفصلين فيتذكر حينها وقوفها بجواره، لكن هل المُحب الحقيقي تُهِمّه تلك الشكليّات وتلك الظروف أم أنه يرغب في القرب ممن أحب دون أن يهمه أي شيء حتى وإن كان عاجزًا لا أبويه منفصلين فقط؟ سحقًا للمجتمع الذي يأخذ أحدهم بذنب الآخر.

هكذا كان منطق هند؛ منطق يجب أن يطرق على رأسه بمطرقه لتفيق مما هي فيه. دخل عمر على هند والذى بدأ يتقرب منها أكثر وأكثر فوقع نظره على المال الذي بجوار هند تساءل:

- ما هذا ؟

أجابت هند في تلعثم:

- ما ادخرته من عملي في الفترة السابقة.

- إذًا لما ترمِ بهم هكذا، ألا تحتاجينهم؟ ضحك مع سؤاله.

أخذت هند المال ووضعته تحت وسادتها وضحكت في إخفاءٍ للأمر:

- سيبك انت من الفلوس، انته عاوز تقولي حاجة صح؟

- أرغب في رؤيتك وأنتِ تعملين بالمستشفى، جئت لأطلب منكِ أن أذهب معكِ غدًا.

ردت هند بمزاح:

- هوا أنا مامتك مثلاً وانت ابني وعندك أربع سنين وهاخدك معايا وأقولهم ده شبط فيّا.

ضحكا واتفقا على أن عمر سيذهب إلى المستشفى بعد الإنتهاء من عمله ويوصلها معه إلى البيت، هكذا كان عمر يفتش عن أي وسيلة يرى بها رضوى ليُعطيها توقيعه وخطابه وكي ينتعش برؤيتها.

تعمد عمر أن ينهي عمله مبكرًا كي يلحق بهند في المستشفى فوصل قبل انتهاء هند من عملها بساعتين.

دخل إلى هند وجلس معها عشر دقائق ثم تحجَّج أنه سيخرج لإجراء مكالمة تليفونية.

ظنّ هو أنه سيجد رضوى في غرفة الكشف الخاصة بهند لكن حلمه هبط من السماء إلى الأرض. هكذا هو العاشق يقف على حدود الحلم

ولا ينتمي إلى الواقع بجملته.

قد قالت له هند من قبل إنها تعمل مع هدير ورضوى في نفس المستشفى، فظن أنه سيجد الثلاثة في غرفة كشف واحدة نظرًا لتخصصهم الواحد، لكنه عاشق لا يرى الأمور بعين الواقع وإنما يراها بعين التمني.

جلس عمر ينفث دخان سيجارته على باب المستشفى، فكَّر أيدّخل إلى هند ويسألها مباشرة عن رضوى، لكن القدركان حليفًا له تلك المرة له، فقد سمع أحد المرضى تتحدث إلى أحد ذويها وتخبره أنها ستدخل للكشف عند الدكتورة "رضورى" قائلة له" دي ايديها تتلفّ في حرير" هكذا هبطت لعمر تلك المريضة كنجدة أمل فترقب هو سير المريضة وأكمل طريقه خلفها فتوقفت هي عند الغرفة المقابلة لغرفة كشف هند فتوقف هو الآخر، ها هي كانت على بضع خطوات منه لكن ربكة العاشق لم تجعله يُدقق النظر فقد هاجمه الخوف من عدم رؤيتها وارتبك فضاع منه التفكير الصحيح.

كيف يدخل لها؟ كيف يحادثها؟ أيدخل بتذكرة كشفٍ وحينها يكون قد خان أحد هؤلاء المرضى في وقتهم للدخول إلى غرفة الكشف؟.

قرَّر في الأخير أن ينتظرها حتى تخرج هي على مهل.

بعد ما يقرب من ساعة خرجت هند ووقفت تُفتش عن أخيها وعندما لم تعثر عليه أخرجت هاتفها من حقيبتها البنية متصلة به:

- أيوا يا عمر انته فين ؟

أجابها أنه فقط كان يغسل وجهه وأنه فورًا سيصل عندها.

ظل عمر واقفًا عند غرفة كشف رضوى عشر دقائق أخرى لكن الأماني لا تتحق بمجرد أن نطلبها.

تزعجه الإتصالات الواردة من هند ويتُوق إلى رؤية رضوى فماذا يفعل لشوقه كي يهدأ قليلا.

جرَّ عمر قدميه بخيبة أمل ووقف أمام هند يترجَّاها بعينه أن تنتظر أو تقل له متى ستخرج رضوى، لكنه استشعر في هند الضيق بسبب تأخره عليها فقال "طب يلا بينا، متزعليش"، ثم صمت وبعدها تساءل عن رغبتها في أن تنتظر صديقتها ليقوما بتوصيلها كالعادة في الفترة الأخيرة".

- هوا فيه حاجه ولا إيه؟ علقت هند.

- ولا حاجه ولا بتاع يلا بينا.. قالها عمر مازحًا.

بعد أن استوقفت هند أخيها عمر اتصلت على رضوى فأعلنت لها أن أمامها خمسة عشر دقيقة لتنتهي من عملها. لم تخبرها هند أن عمر موجود لكنها قالت "أنتظرك عند بوابة الأمن".

بعد أن انتهت هند الحديث مع رضوى وليظهر أن الأمر طبيعي قال

"وهدير ألن تقومي بالإتصال بها؟

- لغة عربية الآن ؟ علقت هند

فأوضح عمر أنه يحب ما تحب أخته، فمزحت هي:

- بل ما يحب أصدقاء أخته.

تنهَّدت هند ثم قالت:

- على كل حال لم تأتِ هدير.

أهكذا يكون العاشق مفضوحًا بتصرفاته وبعيونه، أم أنه هو فقط من يشعر أنه مراقب وأن كل الناس تعرف سره وأنه ليس في مأمن من الخصوصية.

انتظر عمر الدقائق كأنها ساعات طوال وعندما أقبلت رضوى خجلت من نظراته إليها وكانت الفرصة جيدة حين قام أحد زملاء هند بالمناداة عليها ومحادثتها في أمر يخص العمل فحينها أعطى عمر الأوراق والتعهد لرضوى، فأخذت رضوى الأوراق عن خجلٍ وظهر في عينيهما العشق وتحدثت أرواحهما قبل ألسنتهما وكأنهما يُوقعان على عشقٍ من روحٍ قبل عشق من جسد. فهو عاشقٌ متلهف لروحها، وهي عاشقةٌ من خجلٍ.

******

فى مدن العقل تُقدسك مدينة وتُلحد بك الاخرى. هو حال لسان لمياء، فلا تعي هل تترك زوجها "علي" وتتطلب منه الطلاق وتواجه أبويها وتعترف لهما أنها امرأة شاخت من عدم الوفاق بينها وبين زوجها، هل تعلن لهما بقوة الأنثى المُهدر حقها وحق طفلتها أنها لن تكمل طريقها مع "علي" الذي أصبح أقسى عليها من ذي قبل، أتخبرهما أنها قدرت الأمور بعين الخطأ حينما اعتقدت أنه سيتغير معها وفي معاملته حين تضع طفلتها وحين تنتقل معه إلى القاهرة وحين يستلم عمله الجديد بشركة الأدوية.

بالأمس طلب منها أن تعطيه ما تبقى معها من قطعها الذهبية وما كان منه إلا أن أخذهم منها بالقوة بعدما رفضت أن تعطيه إياهم إلا عندما يبوح لها على سر بيعه لهذا الذهب وعن سر ضائقته المالية طوال الوقت رغم أن راتبه يمكن لأي أسرة أن تعيش به في مستوى جيد.

إنه لا يدخر شيئًا من راتبه؛بل الأصعب أنه لا ينفق منه على منزله ولا يسعد طفلته بأي شيء جديد مثلما يفعل الأب الجديد فرحًا بلقبه الجديد.

تفكر لمياء في مواجهة الأمر وطلب الطلاق لكنها تفكر مئات المرات في طفلتها التي ترغب في أن تكبر في كنف والديها، وتأخذ من طفلتها أملاً لأن تقاوم نفسها في رغبتها، وأن تبدل ما تريد من أمر الطلاق إلى رغبة في إصلاح حال زوجها "علي".

أخبرته أنها وجدت عملاً في إحدى الشركات عن طريق الانترنت فما كان منه إلا أن يلتفت لها وهى تتحدث وقال دون اهتمام "روحي اعملي اللي انتي عاوزاه".

لا نقاشَ معها ولا خوفَ ولا حبَّ ولا استقرارً، لا شيء سوى طفلة صغيرة لا ذنب لها في كل ما يحدث. هى الآن تذهب كل صباحٍ بطفلتها إلى إحدى الحضانات في المنطقة وتذهب إلى عملها ثم ترجع برفقة طفلتها عصرًا إلى المنزل. تتعب لمياء كثيرًا، تتعب رغم أنها وافقت بعليّ كي لا تتعب، لكن التعب ليس في الفقر التعب في عدم الرضا، تتعب لأجل طفلتها التي لو رفضت العناء من أجلها لجاء اليوم التي لا تجد ما يكفى لشراء علبة لبن لإطعامها، في السابق كانت تستند إلى قطعها الذهبية واليوم لا تستند إلا للدعاء إلى اللّه في إصلاح عليّ. غريبٌ هو في بيته يأتي إلى النوم لا أكثر ولا أقل ومهما حاولت لمياء الحديث معه يرفض ويتزمَّر، لكن لمياء في الأخير قررت أن تقاوم بقدر حبها لطفلتها وأن تحاول معه بقدر حلمها في أسرة هادئة.

******

ليس هناك أكثر جحيميَّة من أن يخدع المرء نفسه في عواطفه، فتلك هي هدير التي أوهمت نفسها أنها تحب هيثم وأنها لا تستطيع أن تعيش دون ذكاء كلماته ودون حنين صوته. بكت كثيرًا وتلوَّت على فراشها أكثر وذهب النوم منها وأُصيبت بالأرق والإحباط، لكنها في النهاية قررت

أن تُحدد الأسباب التي كانت تُجبرها على التمسك بهيثم، وبعد تفكير متمهل أقرت بأن السبب الأوحد هو خوفها من الزواج بشخص لا يعرفها وتجهل فكره ولا يعرف هو عن فكرها أيّ شيء، ثم انتقدت فكرتها واعترفت أن هيثم لا يمثل فكرها على كل حال، وأن الفترة التي ربطت حياتها به أظهرت لها أنه إنسانٌ يميل إلى المادية بكل حذافيرها، إذًا لِمَ كل هذا البكاء على شخص لم تحبه بقدر ما تعودت عليه، قررت أن تهاجم التعوّد وأن تقف له بالمرصاد وأقامت أدلة إدانته؛ ومن الأدلة أنها ارتبطت بشاشات لا دم فيها ولا روح أكثر من ارتباطها بعقل وروح شخص، إذًا لما كل هذا التقوقع والحزن.

قررت أن لا تكون الوجه المنهزم أمام التعود، وأن تهزم إحباطها وأن تنساه بشدة كما اعتادته بشدة، أن تُرهق نفسها في العمل أكثر وأكثر كي لا تُفكر في ذكريات ذكاء كلماته وارتباطها بها، أن ترتبط بالحديث إلى أصدقائها وأن تُكثر من خروجاتها وأن تعتاد الفرح لا الحزن وأن تهلك نفسها في القراءة قبل النوم كي تدخل فراشها فتنام مباشرة بدلاً من أن يستغلها الفراش في تذكر لهفة اعتيادها أو حنينها إلى صوته، أن تقوى على التعود وأن لا تعطيه فرصة لأن يقوى عليها، وأن تقبع بجوار جدار نسيان الإعتياد، وأن تتذكر فقط أنه لم يحدث أي شيء سوى كلماتٍ من وهّم متمثلة في شاشات.

فى الأخير أيضا قررت أن تجد طرقًا بديلةً لأن تقنع أبويها بأن ينتظرا

حتى تجد شبيهها، فتلتقي به وتفرح من قلبها بالإرتباط به، وأن تجد الوسائل الأفضل لإقناعهما بأنها لن تتزوج من أجل المجتمع أو كلماته التي لا تهمها في شيء، ترغب هي في أن تلعن كلمات المجتمع أمهامهما والتى تصف الزواج بأنه استقرار وأنه أمان الفتاة، وأن الفتاة ليس لها إلا بيتها وزوجها، وأنها ليست ككل الفتيات التي رسَّخ المجتمع أنها أداة للزواج فقط والخارج عن هذا النص المجتمعي يصبح من وجهة نظره خارجًا عن الطّهر والعفاف، هي فتاة لن تقوى على الزواج إلا من حب وراحة وطموح وفكر وروح قبل أن يكون زواجه من جسد.

لكن ما الطرق والوسائل التي ستقنع بها هدير أبويها بعدما زهدا قصة لمياء والتى أعلنا لها أن ليس كل الناس تشبه "عليّ"، هي لا تدري حقًّا ماذا ستفعل؟ ما زالت تفكر وربما هداها تفكيرها إلى الخير أو عكس ذلك.

*****

هاجمها بذكاءٍ من كلمات العشق، راقصها على أحبالٍ من حب، لكن هل سيصمد حبهما طويلاً أمام وعكات المجتمع التي لا حد لها، فليست كل الحبال تمتلك بنادق من صمود هناك أخرى لا تمتلك غير بنادق من وجع.

هل هي رقية أتاها الأمل من عملها الجديد، فالآن أصبحت تساعد والدها العم حسن عن ذى قبل.

عملها في شركة الأدوية أعطاها جرعاتٍ من هدوء، تناست حلمها في كلية الطب فالحب والعمل أرَاحَا من حالتها النفسية قليلاً. هي لا يُؤرقها عمل والدها بقدر ما يؤرّقها تعبه الشديد من أجلها هي وأخواتها.

إلى الآن هي لم تبحِ لباسم بطبيعة عمل والدها، وحتى لم تخبره أنها تعمل كي تستطيع أن تكمل دراستها، ربما لا تريد أن يتحول الحب إلى شفقة وربما منعها إيمانها الشديد أن الحب لا علاقة له بكل تلك الشكليات والمظاهر، فالحب روح لا مال ولا عمل ولا جسد.

هي تلقاه كل يوم كل يوم في الجامعة فهو معها في نفس الدفعة، يتناقشا حول محاضراتهما بعد الإنتهاء منها، ربما أيضًا يعزمها على مشروب ما، ويتغزلها بكلماتٍ من روح الحب، هي لا تجلس معه أكثر من ساعة بعد الانتهاء من محاضراتها لتلحق بعملها.

هو لم يسألها من قبل لمَ لا تجلس معه أكثر؛ يتركها دومًا على راحتها، فكل ما يهمه أن يراها سعيدة غير ذلك لا يهمه أي شيء.

أربع سنوات من الحب والعمل والأمل، اليوم سعادتها مكتملة بنتيجة عامها الرابع والأخير في الكلية؛ نجحت هي وهو، ونجح الحب ولم يرحل طيلة أربع سنوات.

تركته كالعادة في موعدها المحدد، راحت لتباشر عملها ولتأخذ راتبها فاليوم هو الموعد الشهري لاستلام راتبها، انتوت أن تعطيه كاملاً

لأسرتها كي يسعدوا كما تسعد هي، فهي ستشعر بالذنب إن لم تقتسم السعادة مع أسرتها.

وبـروح من حب دخلت شركة الأدويـة العاملة فيها وباشرت عملها وتذكرت الدكتورة مريم عليها أن تحدثها قررت أن تحادثها بعد العمل أو في صباح اليوم التالى، أثناء تفكيرها دق هاتفها واذا بها الدكتورة مريم لربما تخاطرت معها فاتصلت مريم.

ردت رقية على مريم باعتذار عن أنها لم تتصل بها إلى الآن لتخبرها بنتيجتها وسعادتها، لم يسعْ مريم إلا قبول الإعتذار في ظل صوت رقية المبهج، أعلنت مريم لرقية أنها لم تنسَ وعدها لها وأن هذا آخر يوم لها في العمل الإداري وأنها تحدثت إلى صديق والدها ووعدها أن تنتقل رقية إلى تخصصها في العمل في الصباح.

أصبح فرحها من مثلث "الحب – النجاح – العمل".

"هو الله يأخذ منا ليعطينا"

حدثت رقية نفسها بتلك الكلمات.

فى نهاية اليوم استلمت رقية ظرفًا من مال، لم تشترِ أي شيء منه لنفسها، فقط طارت على مسكنها وقبَّلت يد والدتها ووضعت الظرف بين يديها وقالت:

"ادعيلي يا أمي".

الفصل السابع

-نعم أنا أنثى تريد كل الحب لكنني سأقولها لك واضحة "أغار على نفيى من أن يكون حبنا سرًّا".

-إلى الرجل الذي احترم حُبه وقرر أن يكون ارتباطه بفتاته واضحًا كالشمس أمام البشر... أُهديك احترام النساء.

-عندما يهتز الرجل في عاطفته، لا أحد يستطيع إيقاف حنينه إلا الموت، لكن على الرغم من ذلك.... نادرون هم من يحدث لهم تلك الزلازل العاطفية.

نعم أنا أنثى تريد كل الحب لكنني سأقولها لك واضحة "أغار على نفسي من أن يكون حبنا سرًّا"

هي كلمات رضوى لعمر أثناء جلوسهما في إحدى كافيهات مصر الجديدة.

رضوى التي لم تخفِ شيئًا يومًا على والدتها اليوم تُخفي أعظم شيء في حياتها عنها.. "حبها". لربما لمحت لوالدتها في مرات نادرة على ارتياحها لعمر، لكن لم يكن لديها الشجاعة في أي مرة منها أن تبوح لها بعشقها له، وهي الأنثى المتمردة على أغلب ألوان العادات الإجتماعية، لربما هي شعرت بالذنب في العشق لأنها شرقية حتى جذورها.

- أعترف لكِ يا رضوى أنه عندما يهتز الرجل في عاطفته، لا أحد يستطيع ايقاف حنينه إلا الموت، لكن على الرغم من ذلك... نادرون هم من يحدث لهم تلك الزلازل العاطفية، لكني أقسم لكِ أني ضمن أولاء الرجال؛ فعشقكِ جعلني أتمنى لو أن يرجع عمري إلى الوراء كي أخطو أول خطواتي معكِ وأن تكون أنفاسي ما هي إلا أنفاسك.

وبرب الإنسان كنت أنتوي مفاتحتكِ في أمر زواجنا اليوم، والدليل على صحة ما أقول هذا الخطاب الذي بين يدي وسيصبح بين أناملك الآن، كل ما عليكِ أن تقرأي خطابي هذا بعد وصولكِ المنزل وأن تقرري بعدها ما تودي، هل الإستمرار أم...

ولم يكملْ جملته وأرسل نظره إلى السماء كي يخفي دمعة قد هاجمته.

ما الذي حدث وما محتوى ذاك الخطاب؟ تساءلت رضوى.

ابتسم هو وأقسم عليها أن لا تفتح الخطاب إلا عندما تصل إلى منزلها.

وصلت رضوى منزلها متلهِّفة لقراءة الخطاب، دخلت غرفتها وتمددت

على فراشها وفتحت حقيبتها وأخرجت خطاب عمر فاتحة اياه اذ يقول فيه:

"أحبك قدر ما عشق المتحابين بعضهم البعض مجتمعين، لكني اليوم وبعيدًا عن كل شيء أود أن أحكي لكِ شيئًا أُخفيه من باب الخجل، وربما من باب الخوف على فقدك، ولا أعلم أيضًا إن كانت هند قد باحت لكِ به من قبل أم لا، الآن أودّ عقلك لا قلبك، فاقرءي خطابي بعقلٍ لا بقلب أترجى منكِ قبول طلبي، والآن جنِّبي عواطفكِ وقدِّمي عقلك إليّ فلعلّ قلبكِ يطيع ويتقبل أقوالي، لكن عقلكِ يتمنَّع ويرفض طلبي لذا أود إجابة عقلكِ وأريد أن يكون شاهدًا على ما أقول:

ولدت في أسرى ككل الأسر بين أب وأم ودوما كنت أتفاخر بأسرتى الصغيرة لكن لم تسر الأقدار كما أشاء فقد انفصل والدى عن والدتى لظروف عمله وتفضيله لطموحاته والسفر إلى ألمانيا وفي المقابل عدم رغبة والدتى إلى ألمانيا ولا أى مكان خارج مصر لا لشيء أيضا سوى طموحها في تقدمها في عملها البنكى، هكذا تشابها الاثنين درجة الانفصال.

والآن يا رضوى نحن نعيش مع والدتنا السيدة "سامية" ولا نرى والدنا السيد "كريم صدقي" ومنذ رحل لم يأتِ إلينا نهائيًّا وحتى الإتصال بي وبهند فهو نادر جدًّا.

مشاركة الحياة يا رضوى يجب أن تُقام على الصراحة، وها أنا قبل أن أتقدم لخطبتك أسرد لكِ حقيقة أسرتي دون أن أتجمل.

والآن هل ما زلتِ تؤمنين بي كشريك لحياتك؟ إن كانت الإجابة بنعم فلن أتردد لحظة في القدوم إلى منزلكِ بعد محادثة أمي في الأمر، وأعلم أنها ستكون في قمة بهجتها حين تعرف من هي العروس، فأنتِ روح لا سبيل إلى الجميع إلا حبك، وإن لم توافقي فصديقكِ عمر ملك يمينك.

المخلص

عمر

طوت رضوى صفحة الخطاب وجلست تفكر في عدم إخبار هند لها بالأمر من ذي قبل، ثم طردت السؤال من عقلها معللة أن كل شخص من حقه التمتع بنوع من الخصوصية، لكن الشيء الذي لم تستطع إهمال التفكير فيه هو كيف السبيل إلى إقناع أسرتها لا إقناع نفسها فهي تقدس علاقتها بعمر وتؤمن أن الزواج قدر والإنفصال قدر ولا أحد يستطيع أن يفر من قدره، فقد يكون الإنفصال أرحم بكثير من استمرار الزواج الفاشل وغير المتوافق، وتكفر هي بأن تأخذ ذنب أحدهم محل الآخر، ولا تؤمن بنظرات المجتمع إلى المطلق أو المطلقة على أنهم منبوذين أخلاقيًّا واجتماعيًّا.

قررت رضوى أن تتصل بعمر كي لا يتألم من التفكير والإنتظار، دق هاتف عمر وأجاب:

- رضوى.

قالها عمر بصوت منتظر نتيجة الثانوية العامة.

- لا يهمني أي شيء مما ذكرت، بعقلي أؤمن بمشاركتك الحياة وبقلبي أقدس مشاركتك للحياة. أجابت رضوى بصوت من عشق.

أخبرها عمر بفرحة العاشق أنه سيخبر والدته بما يريد وأنه سيعرف منها الإجراءات اللازمة لمقابلة والدها وأنه سيخبرها به حال معرفته، صمت عمر قليلاً ثم أكمل حديثه قائلا:

"ربما أجد معارضة من أهلك لكنني أقسم لكِ أنني سأتمسك حتى الموت بكِ يا رضوى وسأثبت لهم وللجميع أنني جديرٌ بمشاركتكِ للحياة".

*****

لم يخبرّها بنتيجة حديثه مع والدته... هاجمها بالسعادة من حيث لا تدرى.

فى الصباح دق هاتف والدتها "صفية" ... لم تهتم رضوى اعتقادًا منها أن الأمر لا يخصها، لكن عندما سمعت اسمها يتردد من قبل

والدتها في الهاتف اهتمت بالأمر وحاولت أن تخمن من المتصل لكنها في الأخير فشلت في معرفة هويّة المتصل، حيث إن السيدة" صفية" قد ابتعدت بالهاتف عن مسمع رضوى.

حاولت رضوى بعد أن أنهت السيدة "صفية" معرفة المتصل لكنها شاغبت رضوى في البداية ثم أخبرتها أن المتصل السيدة "سامية" والدة هند صديقتها.

احمرَّ وجه رضوى خجلاً ثم قالت كأنها لا تعلم شيئًا:

- فيه حاجة يعنى يا ماما.

- يعني انتى مش عارفه فيه إيه؟؟!!

علقت صفية.

أجابت رضوى بارتباك:

- أبدًا.

فمازحت الأم رضوى في البداية ثم أخبرتها أنها لا تستحق لقب أم إن لم تكن على دراية بكل ما يدور بخلد أولادها حتى قبل أن يبوحوا لها به، فما كان من رضوى إلا أن تجلس في ركن الإعتراف، فاعترفت بكل شيء إلا نقطة واحدة وهى أمر انفصال والد عمر عن والدته ودعتها للظروف وقالت في نفسها:

- المهم نبدأ ويدخل البيت بعد كده كل الأمور تتحل بالتدريج، لازم نكسر الخوف ده.

طمأنت صفية ابنتها أنها ستخبر والدها عندما يأتي من عمله وستخبر السيدة "سامية" بالموعد حينما تتفق عليه مع والدها.

دق هاتف رضوى في لوم من هند لها على عدم إخبارها بحقيقة مشاعرها نحو عمر من قبلٍ، حينها علمت أن عمر اعترف لهند بحقيقة تبادل مشاعرهما، لم تجب رضوى على هند إلا بالارتباك والصمت ولم تستطع التحدث إلى هند إلا عندما قالت هند:

- ده أسعد يوم إنك تكوني جنبى طول العمر يا رضوى.

حينها فقط هدأت رضوى من خجلها وتحدثت إلى صديقتها طويلاً وأغلقت الهاتف على قول هند:

- ربنا يطوَّق قلبك بمحبته وبمحبة عمر ويطوّق قلب عمر بمحبة ربنا ومحبتك.

******

هاتفها بالمساء أعلن لها حبه من جديد كأنه يعلن عنه لأول مرة، استقبلت الإعلان بنشوة أنثى تسمع الكلمة لأول مرة، رغم أنه كل يوم يهاتفها بالحب، هو الآن يبوح لها بأنه سيلتحق بأمريكا لتكملة الدراسات العليا هناك لكن بعد سنة من الآن بعد أن يتزوج منها.

- زواج!!

علقت رقية.

- أيوه أمال إيه أنا بحبك وعاوز أتجوزك.

انتفضت رقية من نشوة الكلمات الموجهة إليها، ارتعشت من قدسية الكلمة "زواج"، ستصبح زوجة لمن تحب، لمن تحلم به زوجًا وأبًا لأولادها.

هل حظُّها كريم لهذه الدرجة وبتلك السهولة ستتزوج باسم.

سألته ما أكثر الأشياء التي يحبها فيها؟

ودون أن يفكر في الإجابة قال "روحك".

"روحي"، يعشق روحها لم يقل شعرها البني الذي رآه مسبقًا منسدلاً من حجابها على جبينها، لم يقل وجهها المستدير الأبيض أو حتى أنفها الصغير وقوامها الرشيق.

قال" روحها"

-أنا من أسعد النساء... فالمرأة التي تجد رجلاً يعشق روحها تكن أثرى وأسعد النساء.

أغلق باسم الهاتف مع رقية على غير رغبة منه وذلك لنداء والدته عليه كي يذهب بها إلى الطبيب وقبل أن يغلق الهاتف قال:

- لو كان العمر يمكن أن يهبه إنسان لآخر لوهبته إليكِ.

******

إلى الرجل الذي احترم حبه وقرر أن يكون ارتباطه بفتاته واضحًا كالشمس أمام البشر.... أُهديك احترام النساء.

كانت كلماتها إليه حانية، أسعدته كما أسعدها، عاهدته أن تكون عونًا له، ووعدها أن يكون لها سندًا. حادثها طويلاً عن خوفه من مقابلة يوم الخميس المحدد للقاء أسرتها، أخبرها بفرحته اللامتناهية وخوفه الكبير من المواجهة، لم يتحايل عليها بالكلمات أخرج الكلمات من قلبه:

- أود أن يُتوج حبنا بالزواج في أسرع وقت يا رضوى.

علقت بخجل الأنثى:

- أنا بالمثل أقسم.

وأقسم أنا أن أكون لكِ زوجًا وحبيبًا وصديقًا وأخًا وبكل الصفات سأظل عاشقًا لكِ.

علق عمر.

ود الإثنين أن يأتي يوم الخميس الآن لا بعد غد، اتفقا على مواجهة الخوف بسلاحٍ من عشق وبسلاح من واقعية لمواجهة أسرة رضوى

بعدم أخذ ذنب شخص محل الآخر.

- أستعين بالله ثم بالعشق على تحقيق أمنيني بالزواج منكِ يا رضوى. قال عمر.

- أستعين بقداسة الحب لأقنع أسرتي بك زوجًا وشريكًا لحياتي. علَّقت رضوى.

أُغلق الهاتف بينهما على وعد منهما بتحقيق طموحاتهما معًا وأن يكون الحب ونيسَهما حتى في عجزهما.

******

جاء الخميس الموعود، تهيَّأ عمر من كل شيء إلا من خوفه وقلقه تجاه رد فعل أسرة رضوى، لكنه في الأخير هدأ من قلقه بتذكر مبادئه وتمسكه برضوى وإيمانه الشديد بأن الإنسان لا ينال ما يرغب إلا بعد تعب وصبر.

فالجهد في نيل ما نتمناه هو ما يجعل للشيء قيمته وأهميته بالنسبة للبشر، وكذلك الحب لا نحافظ عليه إلا إذا تعبنا في الحصول عليه.

قبل أن يخرج عمر والسيدة "سامية" من المنزل وقبل أن يتوجها إلى منزل السيد "هلال" والد رضوى استوقفت هند عمر مباركة له وواضعة في يده مصحفًا صغيرًا كي يحفظه ويصونه، استبشر عمر بما وضعته هند في يده وتوكل على خالق العشق وخرج هو ووالدته وتوجها

إلى منزل رضوى.

جلس عمر إلـى جـوار ووالـدتـه وفـي مقابلهم والـدة رضوى ووالدها ويتوسطهما منضدة من زجاج مزينة بباقة ورود حمراء جعلت للمكان أناقة من نوع خاص.

وبتقليدية تلك المواقف وبعد الترحيب والمقابة الحسنة تحدثت والدة عمر وطلبت يد رضوى لإبنها الوحيد عمر، وبعد أن أنهت حديثها استشعرت سعادة في وجه والـدة رضوى ووالـدهـا، وبعد أن أدخلت رضوى واجب الضيافة اعتدل السيد "هلال" في جلسته وقال:

- كنا نتمنى أن السيد الوالد يشرفنا ونتعرف عليه.

هنا صمت الجميع وبهت وجه عمر واضطربت السيدة "سامية"، فهذا بعينه ما كان يُقلق عمر لكن لابد من مواجهة الموقف وكسر الصمت.

حسمت السيدة "سامية" الموقف قائلة:

- والد عمر الأستاذ كريم صدقي....

قاطعها السيد "هلال" وقال:

- الصحفى المشهور أم هو تشابه أسماء من قبيل الصدفة.

ابتسم عمر وابتسمت والدته وقالت:

- نعم هو، ثم صمتت قليلاً وقالت:

- هـو يعمل فـي ألمانيا والأمـر لا يقتصر على ذلـك فقـط... نحن منفصلين.

اختفت البسمة من على وجه السيد "هلال" وزوجته لكن السيدة "صفية" تداركت الموقف قائلة:

- خير إن شاء الله، عمر يستاهل كل خير.

سمعت رضوى تلك الكلمات فهدأت قليلاً بعد أن اضطربت من سؤال والدها على السيد "كريم صدقى".

يارب كمِّلها على خير، قالت رضوى في نفسها.

قطع عمر الصمت المخيم على الجميع وقال بخوف العاشق على فقد محبوبته:

- أقسم لكم وأتعهد أنني سأحافظ عليها.

ابتسم الجميع وقالت والدة رضوى:

- برده لغة عربية.

ومن هنا بدأ الحديث يأخذ مجراه الطبيعي وتطلف الجو قليلاً.

رحل عمر ووالدته بعد الإتفاق على أن السيدة سامية ستتصل بالسيدة صفية بعد أسبوع كي تعرف الرد الأخير في الأمـر. لم ينتظر عمر وصوله إلى المنزل كي يراسل رضوى، راسلها فور ركوبه سيارته:

- أن أكون لكِ يالها من مهمة شاقة! لكنني أعاهدكِ أن أتحمل تلك المشقة من أجل هذا الحب.

******

فليسقط الزواج القائم على المصلحة، هو حال لسان السيدة "سامية" بعد أن استبدلت ملابسها واتكأت على ظهر سريرها. فى زواجها الأول وافقت على كريم صدقي لأسباب منها المال وطلبها هو للزواج لأسباب منها المعارف الخاصة بها بحكم عملها في بنك مشهور يتعامل معه شخصيات كبيرة. الإثنان أقاما الزواج على أساس المصالح، حين اكتفت هي من المال لم تعد تحتاج إليه، وحين اكتفى هو بالمعارف والشهرة زهدها. لم يبقيا على بعضهما البعض بعدما انتهت المصالح المشتركة. اليوم أنا بحاجة لأن أجد مشاركة مع أحدهم لأهداف وجدانية مطلقة، قالت السيدة سامية لنفسها.

لكن هل اذا وجدت السيدة "سامية" هذا الشخص المنشود سيكون من السهل عليها أن تقنع أولادها بالزواج منه، واذا وافقا هل سيوافقا إرضاءً لها أم لاقتناعهم أن والدتهما تحتاج إلى شيء من روح الحب؟

هي تستشعر اهتمام من مديرى أحد البنوك الأخرى والذي تعرفت عليه لما يجمعهما من عمل، لكنها وبالرغم من كل شيء تخشى من شيء لا تفقهه، تعاني من قلق لا تعي مصدره، لربما هو الله يحميها من هذا

الإرتباط بذلك الشخص كي لا تخوض معارك الوجع على كبر، يمنعها اللّه من التقرب إلى السيد "مهدي حسين" مدير أكبر البنوك في مصر بالقلق من شيء مجهول لا تفهه.

تمددت السيدة "سامية" على فراشها ثم قالت بصوتٍ مسموع:

- لا تدري لعل اللّه يُحدِث بعد ذلك أمرًا.

******

انتفضت هي من مكانها حين رأت باسم يقف أمام مكتبها في شركة الأدوية محل عملها.

دُهش هو الآخر ونظر إليها وبصوت يملؤه الدهشة قال:

- رقية.

وقفت رقية مرتبكة في مكانها، لم تلحق أن تجيبه فقد بادره أحد مسؤولي الشركة الكبار الذي يصطحبه بالقول:

- الدكتور يحيى الرامى بيتصل لازم نروح الفرع الرئيسي للشركة دلوقتي.

همَّ الإثنان بالخروج من المكتب وأثناء ذلك قال باسم:

- ثواني هاعمل اتصال واجي.

ثم ابتعد باسم عن من يصطحبه واتصل برقية مستفسرًا منها عن

سبب وجودها في الشركة فأجابته برغبتها في رؤيته كي تسرد له كل شيء، سألته هي الأخرى عن سبب وجوده بالشركة وألحمت سؤالها بسؤال آخر:

- انته هتشتغل في الشركة ولا لإيه.

أجاب باسم على استفسار بعد أن صدرت منه ضحكة بريئة لرقية قائلاً:

- شيء يشبه ذلك.

التقت رقية بباسم بعد العمل مباشرة في كافيتريا بجوار الشركة، بدأ هو الحديث

- بتشتغلي من ورايا يا رقية وكمان عندك واسطة تشغلك أول لما النتيجة تظهر.

- ضحكت هي على كلمة واسطة ثم قالت:

- بس أنا باشتغل من أولى جامعة يا باسم.

انزعج باسم من عدم إخبار رقية له بهذا الأمر من قبل واعتبر أن هذا يعتبر خيانة للمشاركة فيما بينهما.

- أفضل من أن تكون شفقة. علقت رقية.

-شفقة!! ردد باسم الكلمة برغبة منه أن يعي مفهوم الكلمة.

ابتسمت رقية ثم أوضحت له كل شيء منذ أن حُرمت من دخول كلية الطب وحتى رؤيته له اليوم في الشركة.

غضب هو كثيرًا تلك المرة لا للإخفاء رقية عنه لشيء ولا لبساطة عمل والدها ولا لحالتها المادية البسيطة، انزعج فقط لعدم قدرته على رؤية ما تُعانيه رقية طوال أربع سنوات، لم يشعر بمشقة ما تعانيه لا في العمل ولا في الدراسة، حزن لعدم إحساسه برفيقة دربه وبعدم مساعدتها في شيء ولا حتى بالكلمات.

تساءل باسم:

- انتي ليه أول مسألتك عن شغل باباكي جاوبتى مباشرة بدون أي....

ثم صمت ولم يكمل خجلاً مما كان سيبوح به وندما عليه.

أكملت هي حديثه وقالت:

- كمل يا باسم، انته تقصد إني ماتكسفتش ولا ترددت في الكلام ليه، بس أنا هقولك أنا لو اتكسفت من شغل أبويا اللي وصَّلني لكلية العلوم من شقاه وتعبه ماستحقش إن حد يكون له خير فيا لأنى مليش خير في أقرب الناس ليه وأنا ببساطة عاوزه يكون فيك خير ليا يا باسم، والحب اللى يتكسف أحد الأطراف من إنه يبوح لشيء يخصه للطرف التانى ميبقاش حب، يبقى اسمه مظاهر كدابة ولعب عيال، الحب إنك تتعرى بكل تفاصيلك قدام اللى بتحبه يا باسم مش تتكسف منه. وهريحك

أكتر أنا مخوفتش وأنا بقولك إن والدى العم حسن الراجل البسيط بيشتغل بوَّاب إنك تبعد عني، لأنك لو قررت إنك تبعد للسبب ده مش هتكون حبتني بصدق ووقتها بصراحة هاحمد ربنا إنه أبعد عني حب مزيف وفي نفس الوقت كنت هدعيله انه يخفف عني وجع حبك، لكن عمري ماكنت هدعيله إنه يقربك مني تاني، عمرى ما كنت هاتمسك بحب أول حاجة بيبصلها المظاهر، لأن الحب الحقيقي أول حاجه بيجهضها من رَحِمه هي المظاهر والشكليات.

هكذا هي رقية تؤمن بأن العلاقات لا يمكن أن تستمر بالإكراه.

أمسك باسم يد رقية وقبَّلها وعبر لها عن سعادته بفكر أنثاه وأوصلها إلى مسكنها لأول مرة وقبل أن تدخل إلى المسكن قال:

- رقية، أنا كنت جاى أشتغل في الشركة مدير للفرع، أنا والدي "يحيى الرامي" صاحب الأسهم الأكبر في تلك الشركة وهو مدير الفرع الرئيسى للشركة.

قال تلك الكلمات ثم أقرنها بكلمة" أحبك، ستكوني زوجتي قريبا.

بذكاء من كلمات أدخل باسم رقية في دوامة قلق وراحة بال ووجع وفرح وسعادة وتعاسة، أطبق عليها الحصار في دوامة التناقضات ورحل.

*****

بوجع القرارات اجتمعت أسرة رضوى من دونها على رفض عمر،

أخبرتهم رضوى بشجاعة المحبة أن عمر ليس بالشخص السيىء كي يقرروا رفضه، فليس هناك أية أسباب موضوعية لهذا القرار، فبأي حق نحكم على شخص لا لخطئه بل لخطأ غيره.

- أنأخذه بذنب غيره؟... قالت رضوى بصوت منزعج.

لم يُجبها أحد أكملت هي:

- شاب محترم ذكي مهندس مستوى ثقافي عال والدته ووالده محترمين لكنهما لم يتوافقا في الزواج فانفصلا فما المشكلة ؟ لديه أخت تعلمون من هي جيدًا. فلِمَ الرفض أود اجابة موضوعية، قالتها رضوى بثبات.

أعطت الأم ظهرها لرضوى وقالت:

الأمر منتهٍ، نحن فقط في انتظار أن تتصل السيدة "سامية" لنعلن لها رأينا بكل وضوح.

هكذا هي مجتمعاتنا تحكم على الأشخاص على أسس هشَّة، لا يحتكمون إلى سلطة العقل بل يحتكمون إلى سلطة المظاهر الإجتماعية والتقاليد السخيفة.

لم تيأس رضوى ولم تبكِ، قررت أن تتمسك بسلاح من صمود الحب.

بادرته بالإتصال، نادرًا ما تبدأه هي بالمهاتفة.

استنتج هو الأمر، أجابها بقوله:

- قرروا عدم الموافقة عليّ.

- نعم... علقت هى.

أنهيا الحديث معًا على وعد بأن يحادثها ليلاً.

أغلقت هي على غير رغبة منها، لكنها لم تُشعره بذلك، تود قبل أن تغلق أن تسأله:

- ما التصرف الآن؟

لكنها امتنعت عن محاولة الاستفسار عن أى شىء، تركته ليهدأ وتهدأ هي الأخرى.

******

لم يفكر عمر طويلاً حتى قرر أن يرتدي ملابسه ويذهب إلى منزل السيد "هلال" والد رضوى. ماذا سيقول له أو بماذا سيجيب عليه، هو لا يدري هو سيترك نفسه وحديثه مع السيد "هلال" إلى القدر، الله يعلم نيته الخيّرة فحتمًا سيقف إلى جواره في أمره.

طرق عمر الباب ففتح له السيد "هلال" وأدخله إلى المنزل ثم جلسا معًا على أريكة سوداء في غرفة المكتب الخاصة بوالد رضوى.

اعتذر عمر عن قدومه دون موعد سابق، تقبل السيد "هلال" حديث عمر ثم قال:

- خير يارب.

حادثه عمر بقوة العاشق عن ارتباطه وحبه لرضوى وأقسم له أنه سيحافظ عليها وأخبره أن فترة الخطوبة كفيلة أن تثبت له أنه شخص جدير بثقته وجدير بأن يأتمنه على ابنته، وأوضح له أنه ليس بالضرورة وجود أب وأم منفصلين أن يكون الأبناء على سوء خلق. حلف له بعظيم الأيمان أن أمله الوحيد أن يتزوج من فتاة بعقل وحكمة وعقل رضوى.
صمت عمر ثم قال:

- أنا حبيت أقول لحضرتك الكلام ده بيني وبينك بعيدًا عن والدتي، بصراحة مكنتش عاوز أجرح مشاعرها أو أحسسها إنها ممكن تكون عقبة في زواجى كان هيكون صعب عليها جدًّا، والله يا عمي أنا هاحافظ على رضوى.

بتلك الكلمات من عمر وبتذكر السيد "هلال" لحديث رضوى عن عدم أخذ أحدهم بذنب الآخر ارتبك والد رضوى ولم يعد مقتنعًا بأن يرفض عمر تمامًا ولم يعد يؤمن بالموافقة عليه بشكل مطلق. وبعد رحيل عمر قال السيد هلال لزوجته "صفية":

- متردیش على السيدة" صفية" دلوقتي، ضروري نفكر كويس قبل مانتسرع في الرد، الولد كويس وأنا حاسس بظلمنا ليه واننا اخدناه بذنب غيره فعلاً.

وصل عمر إلى منزله وسألته والدته:

- كنت فين يا عمر؟؟.

-كنت باتمسك برضوى... علق هو.

******

قد يتعمد المحب إخفاء بعض التفاصيل عن محبوبه كي لا يتألم ويتوجع من شيء، وقد يخفيها عنه لرؤيته أن هذا أكثر نفعًا له وقد نسمي هذا الاخفاء أو الكذب "كذب أخلاقي"، وقد يغفر المحبوب هذا الكذب لوعيه أن هذا الكذب ما هو إلا خوف شديد عليه. أما أن يتعمد أحدهما الكذب لمصلحته الشخصية دون أن يراعي إن كان في هذا الكذب ضرر على محبوبه أو وجع أو أن يتخذ أحدهما من الكذب مذهبًا من أجل مكاسب ذاتية أو ما شابه ذلك فإن هذ ما لا يرضى به عقل ولا قلب ومن الواجب أن لا نغفر مثل هذا الكذب. والحمقى فقط هم من يستمرون في علاقات بالكذب غير الأخلاقي ويرضون به ويتناسونه فقط من أجل أن يبقوا بجوار من أحبوا.

هو الكذب غير الأخلاقى الذي وقع على هند ووقعت أضراره عليها، لكنها مهما نصحها أحدهم ومهما كانت الحقيقة واضحة وضوح الشمس فهي لا تراها، لأنها دومًا تقدم عين قلبها على عين عقلها، وفي ذلك ضرر عظيم لمن أفرط في استخدام قلبه بالكلية أو استخدام

عقله بشكلٍ مطلق، هي مُحبة حمقاء لا تسمع إلا صوت نور وصوت قلبها.

فى صباح يوم الإثنين ومع قرب بداية العام الدراسى الجديد طلبت السيدة" صفية" من رضوى أن تقوم بسحب ملف أختها الصغيرة "رميساء" من مدرسة "المستقبل الحديثة" إلى مدرسة "علي مبارك للفتيات" المجاورة لهم.

تريد السيدة "صفية" نقل ابنتها لمدرسة "علي مبارك" كي ترضيها وتوقفها عن البكاء الذي لا تزهده ليل نهار وذلك لرغبتها في التحويل إلى مدرسة "علي مبارك" مع صديقتها الوحيدة "رشا" والتي حولت إلى هذه المدرسة مؤخرًا، وذلك بحكم أن والدها نُقل إلى تلك الدرسة حديثًا ويود أن تكون ابنته "رشا" تحت نظره ورعايته.

وبعد اتصال والدة رشا بمنزل السيد "هلال" وحديثها مع السيدة" صفية" طمأنتها أنها اذا حولت لرميساء فستكون الابنة الثانية لوالد رميساء وستحظى برعايته واهتمامه مثل رشا بالضبط. وافقت رضوى على طلب والدتها السيدة "صفية" ، على أن تستأذن من عملها هي وصديقتها "هند" ويقوما بعمل اللازم لأختها الصغيرة.

سحبت الصديقتان ملف رميساء من مدرسة"المستقبل" وتوجها إلى مدرسة"علي مبارك" وعندما دخلتا المدرسة لفت نظرهما اثنين من عمال المدرسة يتبادلان الحديث فيما بينهما عن مديرهما "مدير

مدرسة علي مبارك".

قال أحدهم مازحًا:

- دا مدير مدرسة استغفر الله العظيم، الراجل عنده ستة وخمسين سنة ومفيش مرة غاب من المدرسة ولا تعب مرة ودخل مستشفى، صحته أحسن من مية شاب صغير.

ليرد الآخر خوفًا:

- وطي صوتك يا عم لاحسن يسمعنا ووقتها مش هنسلم من صحته ولا لسانه ولا شدته.

ابتعدت رضوى وهند عن العمال ومزحت هند قائلة:

- ربنا يكون في عونك يا رميساء.

دخلتا مكتب مدير المدرسة وقام هو بدوره بتوجيههما إلى الشخص الذي سيستلم منهما الأوراق وقام بالنداء على أحد العمال ليرشدهما إلى السكرتير الخاص باستلام أوراق التحويل، ورغم أنه كان أحد اللذين تمازحا بسخرية على مديره إلا أنه قام بالانحناء قليلاً حين كان يستمع إلى توجيهات مدير المدرسة، على الأرجح هو انحناء خوف أكثر منه انحناء احترام.

ما أصعب أن ينحني المرء خوفًا من أحدهم لا احترامًا له.

همت الصديقتان بالذهاب إلى السكرتير الذي وجههما إليه المدير

وأثناء قيامهما ليسيرا وراء مرشدهما إلى حجرة السكرتارية وأثناء قيام هند لفت نظرها اسم السيد المدير المدون على قطعة خشبية موضوعة على المكتب المقابل له "مدير المدرسة السيد: ياسر المحمدي.

"ياسر المحمدي" ربما تشابه أسماء، قالت هند في نفسها.

لكنها غالطت نفسها فقد أخبرها نور من قبل أن والده يسمى "ياسر المحمدي".

العامل قال أن السيد" المحمدي" لم يدخل أى مستشفى من قبل، إذًا ما الأمر ولماذا كذب نور على هند وأخذ منها ما يزيد عن ألفي جنيه بغرض تسديد فاتورة المستشفى التي احتجز فيها والده.

كادت هند تسقط أرضا، لولا أن أمسكت برضوى التي تساءلت عما بهند؟

أخبرتها هند أنها بخير وأنها ستنتظرها لحين اتمام أوراق رميساء بالداخل.

خرج العامل من حجرة سكرتير شئون الطلبة فاستوقفته هند ودون أدنى خجل أعطته عشرين جنيهًا وسألته دون أدنى تردد:

- هو الأستاذ "ياسر المحمدي" عنده أولاد؟

صمت العامل قليلاً ثم تشجع عندما لامست يده العشرين جنيهًا وأجاب قائلاً:

- أيوه ابنه الكبير البشمهندس نور وده والله يا آنسة اللى أعرفه لأنه زاره مرة قبل كده هنا في المدرسة.

كانت إجابته مباشرة غير قابلة للتشكيك فيها، احتجزت هند دمعة في مقلتيها وذلك أثناء خروج رضوى من حجرة شئون الطلبة وفي يدها بعض الأوراق فخافت من أن تشعر رضوى بشيء فهي لم تحكِ لها ولا لهدير موضوع الألفي جنيه من قبل فقاومت دموعها منعًا للأسئلة من قبل صديقتها. ولحسن حظ هند كانت رضوى متزمرة من الأوراق التي في يدها وكادت تبكي وهى تقول:

- هو أنا لسه هروح المدرسة القديمة وأسلمهم الورق ده تاني، أنا تعبت.

وبتزمر رضوى لم تنتبه لما في هند من دموع وقد سلمت هند بذلك من أسئلة رضوى ومن لومها عليها إن علمت بموضوع اعطاء نور شيء من مال. وبكل أوجاع التفكير انهارت هند في بكائها فبأي حق يفعل بها نور ذلك؟، هل يحق له فعل ذلك حتى وإن كان عاشقًا، هل العشق يبيح للعاشق كل ما هو محظور على غيره؟

لم تصمد هند طويلاً وألقت بسلاح الحقيقة وشوهته بشكها في الوقائع الواضحة أمامها وأقنعت نفسها أنها يمكن أن تكون على خطأ، انتوت

مهاتفته مساءً لكنها لم تستطع وأمسكت بهاتفها واتصلت به لعله يشفي ما بها من وجع. سألته دون سلام عن الألفي جنيه وأخبرته أنها عرفت الحقيقة وعلمت أن والده بصحة جيدة ولا يشوبه أى مرض....

لم يمهلها اكمال حديثها وأعلى من صوته وقال:

- انتي هتذليني عشان ألفين جنيه هقابلك بكره الساعة ستة في كافيه صن وهديهملك.

ثم أغلق الهاتف في وجهها دون أي سلام أو رأفة بحالتها النفسية أو توترها بسبب كذبه، ودون أن يعطيها أى مبرر لفعلته ودن أن يعطيها أى كلمات من تهدئة، تصرف بغباء الكاذب لا بقلب العاشق، ضربها في عشقها دون أي رحمة.

استلقت هند على فراشها قائلة:

- حقًّا لا عشق لقساة القلوب ولا صلاة لهم.

واشتد بكائها حينما تذكرت كلمات رضوى وهى تنصحها بقولها:

"إن أناقة الحب تكمن في تبادل العشاق الاحترام، فلا حب دون أن يرفع العشاق الاحترام على منصة الحب.

الفصل الثامن

- إن شعرت المرأة بصدق رجل في حبه لها، لا تتأخر في تقديم حياتها له دون أدنى تردد.

- من يعشق بحق لا ينتظر حبيبته في مفاتحته في أمر الزواج بل يفاجئها بالتقدم لها وخطبتها.

هاتفته في السادسة مساء، أجابها دون إرهاق لها في التفكير.. أخبرها أنه على وصول وسيكون أمامها بعد عشر دقائق من الآن.

جلس في مقابلها وطلب لها كوبًا من عصير الفراولة دون أن يسألها عن رغبتها فيما تتناول وتفاجأت حين طلب لنفسه كوبًا مماثلاً.

ابتسمت له وقالت:

- لطالما رفضت أن تحتسي معي مشروبي المفضل ودوما تعودت منك على مخالفتي فيما أرغب في تناوله، فلمَ اليوم تطلبه من نفسك ودون أن ألحّ عليك في احتساء مشروب مماثل لمشروبي.

أجابها نور بذكاء من كلمات:

- لربما أريد أن تكون آخر ذكرياتنا تنبع من رغباتكِ أنتِ حتى وان لم تطلبي ذلك مني.

انزعجت هند من كلمة آخر المقترنة بكلمة ذكرى، وصمتت وهى تتذكر أنها أتت اليوم كي تُصلح الموقف بينها وبين نور، فحمقها كمحبة جعلها تلقي اللوم على نفسها وعلى طريقتها في الحديث معه، وآمنت أنه كان من الواجب عليها أن تتروى الحديث معه ولا تشعره أنه أخذ مالها.

- نور أنا مشكتش فيك لحظة، أنا بس كنت عاوزه أفهم، ولو احتياجي للفهم زعلك خلاص أنا بعتذر... قالت هند تلك الكلمات لنور كي يرق قلبه من جهتها.

- متعتذريش ومتزعلينيش أكتر.... علق نور.

لأول مرة يعبر نور لهند عن غضبه ليس منها بل لأنها تعتذر منه، أشعرها أنه يخشى على كرامتها وأنه يحبها دون أدنى شك، غريب أمره كأنه يقول لها "أنا لا أود فراقكِ".

أبِكُلّ تلك السهولة وبعض من الكلمات الرقيقة يُشعر نور هند أنه باقٍ عليها ويكتسب ثقتها، منذ متى ذلك لا أحد يدري، هل قاسي القلب يمكن أن يتحول لرجل قلبه من رقة، لا أحد يدري فدواخل البشر نسبيّة كما الكون.

رق قلب هند وأمسك هو بيدها وأخبرها أنه لم يكن يريد أن يقول لها السبب الحقيقي كي لا تنشغل عليه، ثم صمت ونظر إلى السماء مدعيًا لبراءته، فطالبته هي بكل رجاء أن يحادثها بكل صراحة عما به وما هو الأمر الذي لو عرفته لانشغلت عليه.

حادثها عن اشتباه في مرض لديه وأخبرها أن الطبيب طلب منه عمل بعض الفحوصات وهذا هو سبب أنه أخذه منها لبعض المال، وأنه لم يستطع أن يطلب من والده أي مبلغ مالي لأنه دومًا يطالبه بالإعتماد على نفسه، وأعلن لها أن ماله الخاص يدخره في جمعية ولا يستطيع أن يُخل بها وذلك لرغبته في أن يتقدم لها ويطلب يدها في أقرب وقت.

بعدما سمعت هند حديث نور انزعجت كثيرًا وغضبت من أنه لم يقل لها كل هذا من قبل وسألته:

- والفحوصات قالت إيه؟

- الحمد لله مطلعش حاجة وحشة، ده كان مجرد اشتباه... علق نور.

ورغم ذلك لم تتركه هند إلا بعدما أقسم لها أنه بخير.هكذا تركت هند نفسها للمتلاعبين باسم العشق وكلماته، فلعنة الله على كل من استغل قلب فتاة لنزواته أو لمصالحه الشخصية، وليأخذ المنتقم كل من لم يتقّه في اختراق عذرية القلوب.

******

تحدثت هي مرة ثانية إلى أهلها بلغة العقل عدَّدت لهم محاسنه وطلبت منهم أن يُقوِّموها إن وجدوا أن حديثها لا يمت للواقع بصلة.

بالأخير اقتنع السيد "هلال" والد رضوى بخطوبة ابنته من عمر. أما عن السيدة" صفية" فترددت في أمر موافقتها وأعلنت أن مخاوفها نابعة من قلبها كأم لا من عقلها. اقتنعها زوجها بالموافقة وأخبرها أن عمر حقيقة لا يشوبه كشخص أي شائبة فلِمَ الحكم عليه بالرفض وهو لم يكن يومًا طرفًا فيما حدث بين والده ووالدته.

بالأخير وافقت" صفية" بعقلها وظل قلبها غير متقبل للأمر، لربما هو خوف الأم الزائد على ابنتها، وبالفعل ظلت غير متقبلة الأمر بقلبها إلا عندما درست عمر في فترة الخطوبة كأنها هي من ستتزوجه لا ابنتها.

وبالفعل أسرة رضوى وأسرة عمر يستعدّان لعقد قران نجليهما على بعضهما البعض يوم الخميس الموافق العاشر من ديسمبر أى بعد حوالي ستة عشر يومًا من الآن.

******

فى كافتيريا المستشفى جلست الصديقات الثلاث بشكل دائري حول منضدة خشبية وأمامهن ثلاثة أكواب من الشاي وبعضًا من الفطائر. أخذت هند وهدير يمازحان رضوى في أمر حُبها لعمر بعدما عادت من محادثته عبر الهاتف. صمتت هند قليلاً وكأنها تفكر، هل تبوح

لصديقتيها بشيء ما في نفسها وبما تنتوي الإقبال عليه أم تظل كاتمة على خبرها وتصمت.

أخيرًا قالت هند وهي تتناول قطعة من الفطائر وبعضًا من الشاى:

- سأقوم بدعوة نور على فرح عمر ورضوى.

لم تجب رضوى أو هدير على حديث هند فتابعت هي حديثها قائلة:

- لن يلحظ أحدهما أي شيء، ستكون القاعة ممتلئة ولن يلاحظ بأي فريق مدعو "نور"، هل تابع لأقارب عمر أم رضوى؟.

- المشكلة ليست في أن يلاحظه أحد أم لا، المشكلة تكمن في أنه مازال حبًّا باهتًا قابعًا تحت ستائر الخوف والإخفاء، لمَ لم يتقدم لكِ نور إلى الآن إن كان صادقًا في قوله يا هند.. علقت رضوى بتلك الكلمات خوفا على هند.

- سيتقدم وسأفاتحه في الأمر بعد فرح عمر. قالت هند.

- من يعشق بحق لا ينتظر حبيبته في مفاتحته في أمر الزواج بل يفاجئها بالتقدم لها وخطبتها. علقت هدير.

نزلت دمعة من هند وقالت:

- فقط أود أن أشعر أنه معي في فرح عمر، سأكون امرأة مُحبطة إن لم يكن نور بجواري في تلك الفرحة، أريد أن أقتسم فرحتي معه، أريد أن

أشعر أنه مني وأن أرى اشتياقًا منه لأن أكون عروسه بفستانها الأبيض، كما رضوى بفستانها الأبيض لعمر.

لم تمتلك رضوى وهدير إلا الدعاء لهند في ظل أحلام هند التي تؤمن بها أشد الإيمان والتي تعلقها على شخص غير جدير بها. فقط علقت رضوى بآخر شيء لعل هند تتعظ:

- فلتحذري، فليس كل من يقول "أحبك" هو صادق لربما يريد شيء آخر في نفسه لا تدريه.

- أشعر أن أسلوب نور اختلف كثيرًا ولم يعد كالسابق في عدم الإتصال بي، يهتم بي أكثر من ذي قبل، اختفت قسوته إلى حد ما على غير طبيعته وهذا ما يؤكد لي حبه. قالت هند.

أجابت رضوى بنفاذ صبر:

- الإهتمام يكون بالإرتباط الرسمي الواضح أمام الجميع، وحجة الدراسة قد انتهت فلِمَ التأخير؟ الرجل الحقيقي هو من يحافظ على مشاعر محبوبته من التفكير السلبي ويحميها من توترات الأسئلة التي منها هل سيصدق وعده أم لا ؟.

فى الأخير وعدت هند صديقتيها أن تفاتح نور في أمر زواجهما بعد فرح عمر، وأنها ستبوح لهما بكل ما يحدث على أن تظل رضوى كاتمة أسرار لها حتى بعد أن ترتبط بأخيها، فطمأنتها رضوى بأن هذا ما

اتفقت عليه مع عمر منذ البداية.

******

هى فرحة من القلب مع ضحكات كثيرة في المكان التي اعتدنا بعدها أن نقول "خير اللهم ما اجعله خير".

تزيَّن عمر ببذلته السوداء وقميصه الأبيض ورابطة عنقه الذي ذادته أناقة فوق أناقته وحذائه الأسود اللامع درجة رؤية الوجه فيه. وقف عمر يسلم على والدته السيدة "سامية" وأخته" هند" اللتان قامتا بدورهما في مباركة عمر متمنِّين له بداية حياة مقدسة مع زوجته رضوى. أغلق عمر باب الشقة من ورائه ليسرع في الذهاب إلى رضوى للمجيء بها من الكوافير ويصحبها إلى قاعة الأفراح التي سيقام بها حفل زفافهما، وافق مع والدته وهند أن يتقابلوا هناك وأن لا يتأخروا عليه.

بعدما خرج عمر من المنزل لامست يد هند وجنة والدتها التي لم تستطع إخفائها.

- دموع الفرح يا ماما، علقت هند.

لكنها لم تكن كما اعتقدت هند أنها دمعة قاصرة على فرح بل كانت ممزوجة بحزن وشوق وقلق ورجاء وكل الأحاسيس التي يمكن للمرء أن يدمجها مع في آن واحد. فرحة، فهي ليلة زواج ابنها الوحيد. حزن،

لعدم جواب والد عمر السيد "كريم صدقي" على بريدها الإلكتروني الذي راسلته عبره لإخباره بأن حضوره مهم في ليلة زفاف ابنه الوحيد وأخبرته أن عمر ينتظر أن تسعده بليلة كتلك وأنه يتمنى حضوره. قلق، من أمر تفكيرها في الزواج من "مهدي حسين" مدير أحد فروع البنك والذى يلح دومًا في طلب يدها. شوق، للوجدان الروحي الذي حُرمت منه طوال حياتها والذي تنازلت عنه من أجل سلطة التقدم في العمل. رجاء ودعاء، من أجل ابنتها هند التي تود أن تعيش حياتها بطريقة صحيحة مع شخص يحترم مشاعرها ويحترم حبه لها. ذنب، من تقصيرها في حق أولادها وعدم صداقتها لهم منذ أن رحل والدهم. شفقة، على نفسها مما وصلت إليه اليوم من اضطراب نفسي فلا تدرِ أين الصواب وأين الخطأ. لوم، على نفسها لعدم مناقشة زوجها بهدوء والوصول إلى حلول وسطية، فأين هي الآن وأين هو وأين أولادهما من حنانهما.

طردت السيدة "سامية" أفكارها جانبا بعدما استعجلتها هند في النزول كي لا يتأخرا على عمر ورضوى.

هو الحب يتوج رضوى بتاج رأسها الفضى وفستانها الأبيض الذي تعلوه وردة كبيرة عند كتفها الأيسر وبوجها المشرق الذي زُيِّن ببعض المساحيق الجذابة.

وبفرحة العالم العشقي دخل عمر ورضوى القاعة وسط تحية من جميع

الأهل والأحباب.

تلقي السيدة "سامية" والسيدة" صفية" الـورد على العريس والعروس، وتسير هند وهدير من وراء العروسة كي يساعداها في حمل فستانها وطرحتها الطويلة جدًّا والمترزة من أولها إلى آخرها. وقبَّل السيد "هلال" والد رضوى ابنته وزوجها قبل دخولهما إلى منتصف القاعة وجلوسهما بالكرسي الأبيض النصف دائري من الجهة اليسرى والمستطيل من جانبه الأيمن، فتمنى حينها عمر لو يدخل والده ويقبله ويقبل رضوى على جبينها، لكنه سرعان ما تناسى الأمر وسيطر على نفسه كي لا تشعر زوجته بأي ألم في تلك الليلة.

تعالت الأغانى وانشغل كل واحد بالسلام والترحيب بمعارفه وحينها دخل نور إلـى القاعة لكن ليس بمفرده، اصطحب صديقه "هيثم" معه، الأمر الذي يستدعي الحيرة فمنذ متى يصحب نور هيثم معه إلى الأماكن التي من المفترض أن يلقى هند بها.

هند دعته بمفرده فلِمَ أتى بهيثم، ربما لكي يشجعه على قبول دعوةٍ كتلك ويدخل قاعة ليس بها أي شخص يعرفه سوى الفتاة التي يدَّعي حُبها ويعلِّق قلبها بأشواك كلماته المُغرية.

التقت عينا هند بنور، فذهبت إليه بفرحة طفل ينتظر عودة والدته من عملها.

لفت نور انتباه هند لوجود هيثم سلَّمت عليه وحيَّته، وأثناء ذلك كانت هدير تتوجه ناحية الخارج مصطحبة الطفلة رميساء أخت رضوى لإلحاحها عليها بالذهاب معها نحو الكافيتريا لشراء بعض الحلوى. وأثناء انشغالها برميساء استوقفها صوتٌ ليس بالغريب عليها:

- دكتورة هدير.

حوَّلت هدير بَصَرَها نحو الصوت الذي يردد اسمها والذى يشوبه تعالى صوت الأغانى.

- هيثم، قالت هدير بدهشة.

أشعرها هيثم حينها أنه ممتنّ لأنها تتذكره منذ أن رأته لمرة وحيدة مع نور وهذا منذ سنوات، فتورَّد وجهها خجلاً وحادثت نفسها قائلة:

- بل لم تكن مرة واحدة، فأنا شيماء المتحايلة عليك عبر الهاتف وعبر شبكات الانترنت.

استيقظتها هند من شرودها وتساءلت عما بها؟.

أجابت وهى متلعثمة:

- لا شىء، سأذهب مع رميساء.

ابتسم لها نور وانشغل مع هند، ولم ينزل هيثم بصره من على عينيها وفاجأها برده:

- متتأخريش.

وقعت الكلمة على قلبها موقع النشوة وقشعريرة القلب، هي حقا تتمنى أن تلتقي بمن يحب على أن يكون من النوع المحب للعلم وللتفكير وغير تقليدي، ترغب في أن تتبادل الكلمات الوجدانية والروحية والعقلية مع أحدهم، لكن هيثم هي تعرفه جيدًا وتعلم أن فكره مادي لأبعد مما تتخيل، لكنها غالطت نفسها ونبَّهتها إلى أنه يوجد أشخاص لا تكون شخصيتهم على الشبكة العنكبوتية مثلما هي في الواقع، لكنها في الأخير عنَّفت نفسها على حماقتها وعلى غبائها فليس من الطبيعى أن تفكر امرأة في رجل لمجرد أنه أهداها كلمة من مجاملة. وراحت تحدث عقلها وتقول:

- من المفروض أنى امرأة ناضحة ومن الطبيعى أن لا أمارس الحمق في الانجذاب لأي شخص يعطيني بعضًا من الإهتمام؛ فقد يكون قالبًا من مجاملة لا أكثر ولا أقل، فإلى متى سنظل نهتم كثيرًا بمن يلقوا لنا بفتاتٍ من اهتمام، وإلى متى سنظل حمقى في الإهتمام بمن لا يهتم.

قررت هدير بالأخير أن ترى كل ما يقوله "هيثم" من باب المجاملة ليس إلا، وأن لا تعتاده دون أن يكون صريحًا معها في كل شيء، وأن لا تدخل معابد الوجع عن إرادة أو عن اعتياد، لكن هل ستنجح؟ لا أحد يعلم فالقدر أكبر من أن نسيطر عليه أو نفرض عليه ما نتمناه.

استفاقت هدير من تفكيرها على صوت الصغيرة "رميساء":

- يلا نرجع عند العروسة، أنا اشتريت".

******

داهمها بترك يدها وذهابه نحو المايك والإمساك به قائلاً:

- رضوى ثم كررها ثلاث مرات، مما جعل الجميع يصمت، والموسيقى تتوقف والكل ينظر إليه ورضوى قلبها يرتعش وهي منتظرة لكلمات عمر الموجهة لها أمام الجميع.

استجمع قوته ثانية ثم نظر إلى رضوى وهو يقول:

- يقولون أن من العشق ما يقتل صاحبه، وأنا أعدك أن أجعله عكس ما قيل، وأن أجلعه لكِ حياة بل وأكثر من حياة، أعاهدكِ أن أحترم مشاعرك، وأن أقدس قلبك الذي قَبِل بقلبي زوجًا وحبيبًا وصديقًا وأخًا، وأقسم لكِ بربِ الإنسان أن أصون قدسية الحياة الزوجية، وأن أكون زوجًا مخلصًا لكِ ولأولادي منكِ حين يُقدر الله لنا ذلك، فلتشهدي وليشهد الحضور على ما ذكرت"

المخلص والمحب لكِ

زوجك عمر.

هرّوَلت نحوه رضوى وتناولت منه الميكروفون ثم قالت بخجل العروس:

- "أعاهدك بمثل ما عاهدتني وقد أزد عليه، فلتشهد وليشهد الحضور على ما ذكرت".

هنا قبَّل عمر جبينها ثم يدها، فصفق الجميع وتعالت الزغاريد والدعاء لهم بحياة زوجية مقدسة. التفَّت رضوى وعمر ومن حولهما هند وهدير وأسرتيهما حول التورتة وفي زحمة الفتيات والشباب اندسَّ نور وصديقه هيثم.

همس عمر في أذن رضوى وقال لها كلمات من حرية:

- أغنية لغة عربية فصحى كما رغبتِ، ولن نخضع أبدًا للتقاليد ما دمنا لسنا مؤمنين بها، وما دمنا لا نفعل من الخطأ شيئًا، أعدك".

دقَّت كلمات الأغنية في وسط دهشة من الحضور على كلماتها الغريبة التي ما اعتادوا عليها:

أصابك عشق أم رميت بأسهم - فما هذه إلا سجيّة مغرمِ

ألا فاسقني كاسات خمر وغني لي - بذكري سليمى والكمان ونغمي

فدع عنك ذكر العامرية إنني - أغار عليها من فمي المتكلمِ

أغار عليها من أبيها وأمها - إذا حدثاها بالكلام المغمغمِ

أغار عليها من ثيابها - إذا لبستها فوق جسم منعّم

فواللّه لولا اللّه فواللّه - لولا اللّه والخوف والحياء

لقبلتها، للثمتها، لعضضتها – لضممتها بين العقيق وزمزم

وإن حرم الله في شرعه الزنا – فما حرّم التقبيلُ يومًا على الفم

وإن حرمت يومًا على دين محمدٍ – فخذها على دين المسيح ابن مريم

أَعُدُّ اللَيالي لَيلَةً بَعدَ لَيلَةٍ – وَقَد عِشتُ دَهرًا لا أَعُدُّ اللَيالِيا

أُصلّي فما أدري إذا ما ذكرتُها – أثنتّينِ صلّيتُ العشاء أَم ثمانيا

عشقتك يا ليلى وأنت صغيرة – وأنا ابن سبع ما بلغت الثمانيا

يقولون ليلى في العراق مريضة – ألا ليتني كنت الطبيب المداويا

وقالوا عنك سوداء حبشية – ولولا سواد المسك ما انباع غاليا

بلغوها إذا أتيتم حماها – أنني مت في الغرام فداها

واذكروني لها بكل جميل – فعساها تحن علي عساها

واصحبوها لتربتي فعظامي – تشتهي أن تدوسها قدماها

إن روحى من الضريح تناجيها – وعيني تسير إثر خطاها

لم يشقني يوم القيامة لولا – أملي أنني هناك أراها

تسائلني حلوة المبسم – متى أنت قبّلتني في فمي؟

سلي شفتيك بما حسّتاه – من شفتي شاعر مغرم

ألم تغمضي عندها ناظريك؟ – وبالرّاحتين ألم تحتمي؟

فإن شئت أرجعتها ثانيا – مضاعفة للفم المنعم

فقالت وغضذت بأهدابها – إذا كان حقا فلا تحجم

سأغمض عينيّ كي لا أراك – وما في صنيعك من مأثم

كأنّك في الحلم قبّلتني – فقلت وأفديك أن تحلمي" .

انتهت الأغنية وعلا صوت عمر وهو يقول" أصابني عشق" .

وحين توسَّط السكين يد رضوى وعمر وأثناء تقطيع التورتة سمع عمر صوت يحن له منذ زمن ورائحة يشتاقها:

– مبروك يا ابني.

أعاد الصوت ثانية نفس الكلمات وعينيه مثبتتين على عمر:

– مبروك يا ابنى.

– بابا، علق عمر وهو ينسى كل آلام والده من الغيبة والبعد عنه وعن أسرته لفترة طويلة، نسى الجفاء وكل شيء إلا وجود والده معه ومجيئه يوم زفافه.

وبحنين والد إلى ابنه وبفرحة ابن بوجود والده بجواره يوم زفافه قَبل السيد "كريم صدقى" ابنه عمر وجبين زوجته رضوى.

جاء دور السيدة" سامية" فمد لها السيد كريم صدقى يده فانتظرت قليلاً ناظرة إلى عينيه ثم لامست يدها يد زوجها السابق بسلامٍ جاء

عليها بكل الذكريات القديمة، وسلام ممزوج بالدهشة فاذا كان ينتوي المجيء فلِمَ لَمْ يرد على رسائلها الإلكترونية المُوجهة منها إليه لحضور حفل زفاف ابنيهما.

وقفت هند بجوار والدتها تنظر إلى والدها برعب وحنان وقسوة وأمل ورحيل وفراق ودهشة، أحيانًا يصنع البعد الجفاء لكن في حالة هند صنع كل المتناقضات في جوفها فلم تعد تعي ما يحدث. اقترب منها والدها ومد يده ليلتمس اشتياقه لابنته واشتياقها لوالدها، ظل ناظرًا إليها مادًّا يده باتجاههما، لكن لم تستطع مد يدها وأدارت وجهها عنه وسقطت منها دمعة لا تعي ما مصدرها؛ أخوف أم جفاء أم رهبة؟.

وبدون أي كلمة أمسك "كريم صدقي" بكتفيّ ابنته محاولا طبع قبلة على جبينها إلا أنها أشاحت بوجهها لثانى مرة بعيدًا عنه، فأنزل هو يده من على كتفيها في وَهَنٍ، ثم وقف صامتا والجميع ينظر نحوهم لأكثر من دقيقتين وبعدها سقط السيد كريم طريحًا على الأرض.

هى السعادة الكبرى التي لا تكتمل دون أوجاع، هو ما حدث في حفل زفاف رضوى.

******

بحب الروح وبرقيّ الأحاسيس هاجمها في طلب الزواج منها مرة ثانية، وهى التي وضعت في نفسها احتمالاً قويًّا أن الأمر لن يتطور أبدًا إلى أمر

الزواج، فإن الطبقات العليا في أغلب الأحيان لن تسمح له بالزواج من ابنة أسرة فقيرة، فان وافق هو شخصيًّا بحكم سلطة الحب الكبيرة، سيرفض أحد أفراد أسرته على الأقل بشدة، إن لم يزدْ عدد الرافضين للأمر.

فذلك الأمر يُعد من مساوئ مجتمعاتنا الحقيقية، ففوقًا عن تدخل الأسر السَّافر في اختيار شريك حياة أحد أطرافها وتدخلهم بشكل حاد، وكأنه لا يعد اختيارًا شخصيًّا، ولا يُعد ذلك من قبل النصيحة بل من قبل فرْض الرأي، فحين تختار أسرةٌ زوجة لابنها لا يتجهون إلا إلى ما يقربهم في أوساطهم الإجتماعية، ومهما كانت الفتاة ذات علم وأخلاق يظلون هم على مبدئهم الرافض لها، نظرتهم قاصرة وبائسة لا يهمهم إلا التوافق المادي فقط، والأمر هنا لا يقتصر على أسرة الإبن فقط، بل العكس أيضًا صحيح جدًّا وينبطق على أسرة الإبنة، فنادرًا ما توافق أسرة على زواج ابنتها من شاب يملك من المقومات ما يكفيه لحمل الرباط الأسرى لكنه لا يملك المال الوفير فيتم الحكم عليه بالرفض.

بئس النظر وبئس العادات الخاطئة التي لا يرضى عنها رب ولا دين، والتي تُصنَّف ضمن العنصريات الواضحة في تلك المجتمعات والتي يمارسها أغلبنا دون أدنى وعي بخطورتها.

هو" باسم" الذي قاوم كل ذلك من رفض أسرته "لرقية" وصمد أمام كلماتهم المُهينة لها:

- لن تستطيع التوافق مع فتاة تعمل لدينا، فهي مجرد موظفة في شركة الأدوية الخاصة بنا.

- لن تتوافق مع أسرتها البسيطة وحياتهم المتقشِّفة.

وغير ذلك من الكلمات التي وقف أمامها "باسم" صامدًا، وحين صمَّم هو أكثر وأكثر على موقفه وعلى ذكر محاسنها ومميزاتها.

نهرهُ والده قائلاً:

- يمكنك الزواج منها ويمكنك أن تأتي بها إلى هنا لتعيش معنا، وبعدما ابتسم" باسم" فخذله والده بقوله:

- لكن ستذهب وحدك لطلب يدها فلن يذهب معك أحد.

رفض" باسم" بشدة موقف والده وأخبره أنه لن يعرض "رقية" لذلك الموقف، وتلك الإهانة مهما حدث وأنه يُفضل الموت قبل أن يشعرها أنها من جنس أقل جنسه.

تمسَّكت أسرة "باسم" برأيها وتمسَّك هو برأيه إلى أن فقد النطق نهائيًّا مدة ستة عشر يومًا، بعدها استسلمت له أسرته ووافقته على موقفه في الذهاب معه لخطبتها كي يتزوج من محبوبته. ورغم أنه كان على فراش المرض إلا أن مرضه لم يحيل بينه وبين محبوبته فكان

يوميًّا يرسل لها بعض الرسائل التي تطمئنه عليه بحجة أنه مسافر مع والده في أمر يخص العمل، كذبها كي لا يُؤلم مشاعرها، ولم يبحْ لهها بموقف أسرتها كي لا تنزل الكلمات على قلبها كماء من نار.

رسالها أخيرا بقوله:

- عاوز ميعاد مع والدتك، هاجي أزوركم أنا وأسرتي.

هاتفته هي وأعلنت له أن عقلها وقلبها لن يُصدقا تلك الفرحة إلا عندما يتم عُرسهما على خير، فعاهدها أن لا يتركها مهما حدث بالفعل قبل القول. قدَّس هو الحب ولم يتخلى عنها وصدقها وعده، ما أندر الرجال الذين يوفون بوعودهم ومحظوظة تلك التي تقابل أحدًا منهم.

اتفقت رقية مع باسم على أن تُكمل عملها في الشركة كما كانت قبل الزواج منها وأنها ستساعد والدها في المعيشة، ورغم أنه وعدها أن يسساعدهم إلا أنها قالت:

- انته عارف مش بحب الشفقة يا باسم.

حاول باسم أن يقنعها بأنها أصبحت منه وأنه أصبح منها ومن عائلتها إلا أنها رفضت بشدة، فما كان منه إلا الموافقة على رغبتها، فليس من الإنسانية حقًّا أن يترك إنسان أسرته لمجرد أنه تزوج. عاهدته أن لا يكون عملها طاغيًا على وجودها بجواره كزوجة وكإبنة وكصديقة وكأخت وبكل المسميات التي يتمناها.

هو الحب حين يشتد عوده لا يقدر أحد على إبعاد أحد أطرافه عن الآخر.

******

باعت قطعها الذهبية قبل أن تستبدل فستان زفافها الأبيض بغيره، هي أنثى من رحمة تلك التي لا تترك زوجها في أزماته مهما كان موعد تلك الأزمة، والأجمل في رضوى أنها لم تشعره بأنها ساعدته. لم تستطع رضوى بعد أن سمعت زوجها عمر وهو يتحدث إلى حسابات المستشفى وإعلانه أنه لا يملك المبلغ كاملاً أن تظل واقفة بعجزٍ دون أن تفعل أي شيء، أو أن تعرضه لاقتراض المال من بعض الأشخاص مثلما كان يرغب حين رأته يلجأ إلى صديقه عبر الهاتف ليأتي له ببعض من المال، وكان صديقه قد غادر المستشفى صباحًا كي يستبدل ملابسه، هي تعلم جيدًا أن عمر أنفق كل مدخراته في تجهيز الشقة وحفل الزفاف على أن يُعوضه الله بها خيرًا وأنه لم يأخذ من والدته أية مساعدات مادِّية.

هو الحب الروحي الذي لا يهدف إلى أى مصلحة من ورائه إلا إسعاد الشريك، وهي رضوى التي لم يستطع أحد يوم زفافها أن يمنعها من الصعود إلى السيارة وذهابها مع عمر إلى المستشفى كي يطمئنَّا على والده السيد" كريم صدقي" ، أيضًا هي التي لن يستطيع أحد أن يداين زوجها وهي موجودة، لن يسلب أحد يديها أو يجعلها عاجزة عن مد يد

العون إلى زوجها، ستقف معه حتى الموت لا حتى هذا الموقف وفقط.

لم تنتظر رضوى السيدة "سامية" التي جلست بجوار" هند" والتي اختبأت فيها منهارة وهي تقول:

- مكنش قصدى والله يا ماما.

لم يرضيها أيضًا أن تُظهر عمر بمظهر غير لائق أمام والدها فلم تطلب من السيد "هلال" أي شيء رغم وجوده معهم في المستشفى منذ ليلة أمس.

نظرت إلى الساعة المثبتة في الحائط الذي أمامها وجدتها العاشرة إلا خمس دقائق، فقط انتظرت حتى سنحت الفرصة وذهب والدها ليأتي بالسيدة "صفية" لتسلم على السيد "كريم صدقي" وانتهزت فرصة انشغال عمر بالحديث مع الطبيب وجاءت فرصتها وجرت لتبيع ما تملك من قطع ذهبية إلا من دبلة تطوق بها يدها، بعدما ابتاعت ذهبها رجعت إلى حسابات المستشفى وسددت الفاتورة دون أدنى شعور منها بأنها تنازلت عن شيء مهم لها، بل سددتها بكل رضا وحب وعطاء، هو الرضا سر الحياة لولاه ما كانت للانسانية معنى.

بعدها توجهت رضوى نحو عمر فقابلها بابتسامة وسألها:

- كنتِ فين يا حبيبتي.

أجابته بفرحة عروس جديد وبطفولية "باشرب"

أخبرها أن والده استفاق وأصبح بخير، فامسكت بيده وتوجهت به نحو الغرفة وقالت وهى تطبع قبلة على جبين حماها:

- حمد للّه على سلامة حضرتك.

اعتذر لها بروحه وبعينيه قبل لسانه وكلماته، هاجمها باعتذاره عمَّا حدث يوم فرحتها فابتسمت له واكتفت.

شكرها بكل ما يملك من كلمات بعدما أخبرته الحسابات هو وصديقه أن فاتورة المستشفى قد سددت بالفعل بفضل العروسة ذات الفستان الأبيض.

نظر لها وهى تسند والده وتستعد لأن تصطحبه معها إلى شقتها الجديدة فلم يجد من حُلي ترديها سوى دبلة زواجهما فتضاربت مشاعره بين الفرح الكبير والغضب الشديد، فرح برزقه في زوجته التي وهبها اللّه له، وغضب مما حدث لها يوم فرحها وهو اليوم التي تحلم وتخطط له كل امرأة من كل شيء إلا من وجودها بمستشفى بائعة لحُليِّها مهمومة بزوجها ووالده.

لم تتنازل هي عن اصطحاب السيد "كريم صدقى" إلى شقتها الجديدة لحين أن يسترد صحته ولم يستطع أحد أن يجعلها تتخلى عن فكرتها.

هى الزوجة، هي الأم، هي فرحة المنزل، هي الرضا، هي الأمان.

هى أنثى العشق الوفية

هى أنثى بارَّة للحب.

هى أنثى نفسها وكرمها وثوابتها قبل أن تكون أنثاه، أنثى عمر.

******

ذاكرتها فضحتها، حقًّا هي الآن وبعد أن رأته لا تستطيع أن تقيم أى حياة جديدة مع أحدهم. آلمها الحنين للرجوع إلى الخلف، إلى ذكريات جنين أحشائها الأول، وكيف كان لهذا وقع ومشاركة فرحة بينها وبين السيد "كريم صدقى"، رجعت إلى ذكرياتٍ وضِعها عمر ثم وضِعها هند، هي لحظات من سعادة لم تتكرر على مدار عمرها، ألا يكفي أنه شاركها سعادتها الوحيدة أن تكف عن المكابرة وأن تلقي بأمر زواجها على أساس المصلحة جانبًا، فإلى متى سيظل ذنبٌ وحيد في حياتهما عقبة في لمٍّ شمل حنينها وإلى تجديد ذكرياتهما الوجدانية النادرة، ألا يكفي أنه زوج لأبنائها، ألا تشفع الشيبة التي هُما على أبوابها لأن يحُولا بكل إرادة من ذكرياتهما في أمر زواجهما القائم على المصالح ذكريات من سعادة لأحفاد جُدد.

إلى متى سيظل العناد سلطانهما، ألا حان الوقت لأن يتنازل أحدهما وأن يبدأ هو بإقرار خطئه فيتحمس الآخر إلى الإعتراف بذنبه دون تردد أو خجل ودون أية مكابرة.

ألا تكسر هي قاعدة أنها أنثى وتذهب إليه عند عمر بحجة أن تطمئن

على حالته الصحية وتصطحب هند معها لتقدم الإعتذار بشكل لائق لوالدها السيد "كريم صدقى". وإن ذهبت ولم يتحدث هو في أمرهما فلمَ لا تكسر القاعدة المقدسة لدى الإناث في أن الرجل لابد هو من يعتذر أولا ويقدم فروض المبادرة. الإثنان أخطئَا فلمَ يجب عليه هو البدء، هو رجل ناضج الآن وهي كذلك امرأة يفوح من سنها احترام ما هم مقبلين عليه من كبر، فلمَ كل تلك التعقيدات، سيتفهم أمرها وسيجاريها هو في القول، مستحيل أن لا يساندها الحديث وأن يلقي كل الأمر على كتفيها، وإن لم يكن ينتوي التحرر من سجن المصالح إلى حرية الوجدان ستحرره هي.

لا تعرف هي لم شعرت بكل تلك الأحاسيس حينما التقت عيناهما وحين لامست يده يدها في فرح عمر.

هو إحساس لم تعرفه حتى وهي زوجته، لربما هو القدر ودَّ أن يفرق بينهما لسنوات لتشعر هي بكل تلك الروحانيات وربما الآن هو يشعر بنفس الطريقة. هى لم تعد ترغب إلا في صنع ذكريات جميلة، المال لا يصنع ذكرى جيدة في أغلب الأحوال، وكذلك الشهرة لا يمكن أن تكون فرشاة لرسم ذكريات رائعة إلا بالحب، هو الحب فقط ما يصنع ذكريات لا نظمأ بعدها أبدًا.

- هند!! قالتها السيدة "سامية" مستدعية لابنتها الوحيدة.

جرَّت هند قدميها وبعينين دامعتين وبصوت محشور فيه الألم وقفت

هي أمام والدتها وأجابتها:

- نعم يا ماما.

أجلستها بجوارها وطيبت خاطرها وقالت:

- ألا آن الآوان أن تذهبي لتطمئني على والدك وتعتذري له في بيت أخيكِ عمر.

وضعت هند وجهها بالأرض وبكت، بكت طويلاً، لربما يبكي الإنسان كل شيء مرة واحدة، لم يكن بكاء هند بكاء موقف بل بكاء وجع من كل شيء اجتاحها، وكانت القشة التي قصمت ظهرها هي تصرفها بتلك الطريقة مع والدها.

ذلك البكاء والاختناق اللذان تسأل الإنسان عن أسبابهما يجيبك ب "تعبت من كل شيء"، وعندما تجادله وتضغط عليه في أن يبوح بسبب واضح يجيبك بنفس الإجابة بترتيب آخر للكلمات "من كل شيء، تعبت".

لربما هي تراكمات أوجاع عمرها بأكمله بكتها هند في ذلك اليوم بجوار والدتها.

بالأخير قالت هند للسيدة "سامية" لن أستطيع الذهاب بمفردي ثم صمتت هند قليلاً وأكملت حديثها قائلة وهى تمسك يد والدتها في

رجاء منها:

- تعالي معايا يا ماما، أرجوكي.

ترجَّتها هند طويلاً وهي لا تعلم أن والدتها ستتخذها عكازًا للذهاب إلى طليقها "كريم صدقى"، هند هي العصا السحرية لدخول السيدة "سامية" منزل عمر ابنها وكريم صدقي مقيم فيه.

لم تكن السيدة" سامية" تود رجاءً من هند بل كانت ترغب في أن تشكر ابنتها لإعطائها تلك الفرصة الذهبية، وبرغم كل شيء لم تبح "سامية" بأي شيء مما تفكر فيه لهند سوى الموافقة على الذهاب معها واصطحابها لمنزل عمر.

******

- أتخافينني؟

- بل أخاف الحب... علقت هدير بتلك الكلمات على سؤال هيثم أثناء جلوسهما معا في كافتيريا بجوار المستشفى.

تركت نفسها لمعرفته واقعيًّا بعد فرح رضوى، لم تنهرهُ عندما طلب منها رقم هاتفها.

أمسك هاتفها وكتب رقمه وقام بمهاتفة نفسه فظهر رقمها وسجلا الاثنين رقما بعضيهما البعض دون أدنى رجاء منه.

هاتفها كثيرا منذ أن سجل رقمها، لم تكن طريقته كالسابق، عندما كانت تحادثه على أنها شيماء كان مختلفًا تمامًا عن الآن، اليوم هو شبيهها في الأفكار، لا تدري حقًّا ما سر تغيره، هل يا ترى صحيح أن هناك اختلاف كبير يحدث عندما يتحدث الإنسان عبر شبكات الإنترنت وبين الشخص ذاته عندما يكون التعرف عليه واقعيًّا وجهًا لوجه؟

حقًّا لا أحد يدري، فالإنسان عبارة عن كيمياء معقدة الفهم وقد تصل الدرجة به إلى حد عدم فهم نفسه. لامَسَ عقلها بإشعارها أنه يُحب الاطلاع وأنه يعشق الفكر، على الرغم من أنه في السابق كانت أغلب أفكاره تنتمي إلى الفكر الماديّ الذي لا تتقبله هدير بسهولة إلا أنه تغير جدًّا وكأن أحدًا أخبره أن هدير لا تتقبل هذا الفكر المادي، أصبح ينوه لها عن فكره المثالي الروحي الوجداني؛ وهى الأفكار التي تعشقها هدير وتُقدسها.

ما الذي تغيَّر وما الذي حدث هي حقًّا لا تدري.

أعلن لها عن حبه، لكنها عندما قابلت إعلانه بالصمت ولم تجبه قال لها بكل هدوء:

- أتخافينني؟

أجابته دون تردد:

- بل أخاف الحب.

ردد كلماتها هيثم ليفم أكثر "تخافي الحب!!".

- أخاف عواقبه وأخشى من الحب فراقه، عقبت هدير.

طمأنها بأن الفراق ليس معروف في قواميس العشق الحقة وهو يعشقها بحق، هاجمها بقوله:

- لا أرغب إلا بالزواج منكِ.

أخبرها أنه سيدخر من الآن حتى يستطيع أن يتقدم لها في أقرب وقت.

لم تسِئ الظن فيه، طبعت على كلماته حسن الظن وفرحت كما الإناث في الحب، سعدت دون أن تضع الأوجاع أو الخيانة نصب قلبها، فقط أصبحت أنثى عاشقة.

فانضمت هدير إلى رضوى المُتيَّمة بعمر.

وإلى هند المتيّمة بنور.

وإلى رقية المتيّمة بباسم.

وإلى هيام التي أصبحت على بوابة حب حقيقى لحسن.

فأصبحت هدير هي الأخرى أنثى عاشقة لهيثم.

لكن هند وهدير إلى أي حزب سينضما بعد فترة، هل إلى حزب وفاء الحب أم إلى حزب أوجاع العشق، لا أحد يدرى فللقدر كلمات أخرى.

الفصل التاسع

-داعبني كفراشة تغازل الورد؛ فامرأة مثلي لا يُحبطها شيء سوى الإهمال

-هو الإهمال قاتل الحب الأول.

لطالما طالبته أن يداعبها كفراشة تغازل الورد، ولطالما اعترفت له أن لا شيء يحبطها في الحب سوى الإهمال. ودومًا كان جوابه عليها أنه عاشق لا يمكنه أن يهمل محبوبته، فالعاشق الحق يشتاق للحظات قرب ولا يفتعل البعد والجفاء مهما حدث. يوم أن تحرك جنينها في أحشائها فرحت فقط لأنه من صلب باسم، ما تمنت رقية يومًا أن تُنجب إلا من باسم. حبها له كان أكبر من أن تتمنى طفلاً حتى ولو من غيره، تُريده منه فقط وإلا فإنها لا تريد الطفل هو الآخر.

هل يمكن أن يكون العشق يومًا أقوى من الأمومة، حقًّا أنا شخصيًّا لا أدرى.

يوم أن وضعت طفلها طار "باسم" فرحًا، لم يترك شيئًا يخص الأطفال إلا وقد اشتراه لصغيره حتى وقبل أن يأتي. اعتادت رقية العشق والسعادة وباسم، ولكن هل ستظل السعادة حليفة لرقية طوال العمر، ألن ينقص ميزانها من تلك الفرحة يومًا. آمنت رقية من شدة سير حياتها بطريقة رائعة أنها ستبقى طوال زهرة عمرها هكذا، إلى أن جاء يومًا اعتادت فيه الربكة والشكوك والحيرة بدلاً من السعادة والعشق.

ذلك اليوم الذي ذهبت فيه إلى عملها كالمعتاد وسمعت بالصدفة طبيبة قد ذهبت بوالدها إليها من قبل وكانت ترغب رقية في الترحيب بها، لكنها سمعتها تقول إلى مدير الفرع دون خجل:

- أنا ماأخدتش مستحقاتي من شهرين، دي نسخ الروشتات اللي كتبت فيهم أسماء الأودية اللى شركتكم بتنتجها وعليهم ختم صرفها من الصيدلية كمان، من فضلك بلاش شوشرة وعاوزة حقي.

أخبرها مدير الفرع أن علو الصوت لن يجدى بفائدة، فما كان منهما إلا خفض صوتيهما وبالتالي لم تسمع رقية بقية الحديث.

- كيف لطبيبة أن تكتب نوعًا معينًا من الأدوية، في مقابل الاستفادة المادية؟

- ما الأمر؟ هي حقًا لا تدري.

لربما تكتب أدوية الشركة للمرضى الذين تستحق حالتهم تلك الأدوية، لكن ما شأن الشركة في ذلك، وما أمر تلك المستحقات؟

كاد عقلها ينفجر من التفكير، أتبوح لباسم بما سمعته أم تتروّى في الأمر كي لا تفتعل مشكلة هي لا تدري حجمها، هي حقا لا تدري ماذا تفعل، تمنَّت فقط لو عطَّلها القدر في ذهابها للعمل ذلك اليوم المربك.

ذهبت رقية إلى مسكن والدها تجرّ قدميها وكل ما فعلته أنها ألقت بكل الأدوية المكتوبة له من قبل تلك الطبيبة، واصطحبته إلى طبيب آخر بحجة أنه لا يتحسن على هذه الأدوية وهى لا تطمئن علي والدها.

هكذا تركت رقية مائدة السعادة وأجبرها قدرها على الاحتساء من إناء التفكير والحيرة والشك فيما يحدث.

******

أتنعته بالمريض، لمياء حقًّا لا تدري بماذا تصف زوجها علي؟ من أي مادة خلق قلب هذا الرجل؟ من قسوةٍ هي تظن كذلك.

المسؤولية تقع بأكملها على عاتقها، تُثقِل على نفسها في العمل لأجل بعض من المال الزائد لتكفي احتياجات طفلتها ونفسها، أما عنه فقد خلع يده من كل إنفاق على أسرته، لربما ألحد بأن من واجبه مشاركة زوجته في كل شيء من أول المال حتى الكلمات الطيبة التي يخفف بها الأزواج الحمل عن بعضهما البعض، بل لمياء تقول دومًا أنه الأصل في

الانفاق فلماذا يفعل كل هذا، لا شيء يفعله عليّ سوى الضجر والسخط على كل شيء في المنزل.

حاولت لمياء الصبر عليه وإصلاحه لكن حدِّث ولا حرج مع رجل فَقَد من الرجولة معظمها.

طالبته بالطلاق بعدما يئست منه، لكنه ليس بالرجل الذي يفقه مفهوم امرأة زهدته ولم تعد تحتمل العيش معه تحت سقف واحد. طالبته بالطلاق، نهرها هو وذهب إلى أسرتها التي دوما تقف إلى جواره وكأنه هو ابنهم وهى زوجته لا العكس، هي الأسرة التي تقدس أفكار "البنت ملهاش إلا بيتها" بطريقة غير سليمة وغير مقننة فمهما أخطأ "علي" هم معه على حساب لمياء. هم دائما يشعرون أن الناس ستنقدهم إن جلست لمياء معهم لأكثر من يوم، هم لا يدرون أن الناس تتحدث سواء فعلت ما يرضيهم أو فعلت عكس ما يرضيهم، البعض لا عمل له سوى الحديث عن الآخر ونقده.

حينما أخبرهم "علي" بأن لمياء تطلب منه الإنفصال النهائي، لم يكن منهم إلا أن سافروا معه إلى القاهرة ليأتوا باللوم على ابنتهم ومهما حاولت الشرح ومهما قالت لهم هم لا يستمعون إلا لعلي. صمَّمت لمياء على طلبها وأصبحت تطالب بالانفصال عن علي يومًا بعد يوم ولم يعد يهمها غضب أسرتها أو اعتراضهم على رغباتها مثل ذى قبل. كل ما ترغبه هي أن لا تراه يوميًّا، أن لا يصبح أساسيًّا في حياتها، أن لا يأخذ

حقه الشرعي منها على قهر منها ودون رغبة كاملة منها.

يأتيها على غصبٍ ودون أي رحمة، يقول لها "حقي الشرعي"، أي حقٍّ هذا الذي يتحدث عنه، لو تحدثنا عن الحق فسنتحدث عن حقها في أن يُعاملها بكل رحمة وبكل ودّ وبجمل روح قبل أي شيء، حقها أن ترغب هي قبل كل، الحق أن تشاركها الحياة بحب وبفرح وبسعادة لا بيأس وملل وكره لك ولمعيشتك.

سُحقًا للرجال الذين لا يرون من المرأة إلا جسدها، وكل الفخر لهؤلاء الذين يقدسون من المرأة روحها قبل جسدها. وعلى كل حالٍ لا يجب أن نصف الصنف الأول إلا بالذكور الذين انتفت منهم صفة الرجولة. لكن تلك المرة قررت لمياء أن لا تظل قابعةً تحت ذنب أنها لم تتأنَّى في اختيارها لزوج مناسب لروحها قبل أن تترك المسائل الماديَّة. أقسمت أنه حتى ولو طال أمر وجودها معه في المنزل فلن تظلّ معه طوال العمر ما دام وجوده لا يتعدى الوجود الجنسيّ الباهت.

قررت أيضًا أن تعرف أين يذهب بكل أمواله، فلطفلها حقٌّ في هذا المال. يعمل في شركة أدوية كبيرة ورواتبها كبيرة فأين هو المال؟ وإن كان لا يرغب في البوّح لها فلما يبخل على صغيرته بحقِّها في أن يُنفق عليها.

ألا يجوز أن ترفع المرأة قضية نفقة على زوجها في حال بقائها معه

دون طلاق لعدم رغبته في مسألة الانفصال؟ رغبت هي في رفع قضية طلاق لكن من أين لها مصاريفها فهي لا تملك إلا راتبها الذي تنفقه بالكلية على ابنتها وعلى طعامها وعلى ما قلّ من الملابس لكي تستطيع أن تذهب إلى العمل، فلولا خروجها للعمل ما كانت لتشتري أي قطعة ملابس لتوفرها لصغيرتها.

لماذا تزوَّج هو من الأساس؟ ألِيُعذب روحين لا لأكثر ولا لأقل؟

سُحقًا لكل من لا يقدس حياته الزوجية التي ارتضى بها من البداية ويصل به الحال لأن لا ينفق على فلذة كبده، وسُحقًا لمن لم يرتضوا بزيجاتهم ونافقوا المجتمع بقبولها لأجل مصلحة ما في عقولهم وفي أنفسهم.

******

ذهبت هي والسيدة "سامية" إلى منزل عمر، استقبلتهم رضوى بكرم بنات الأصول ثم أدخلت هند إلى والدها بعدما جلست السيدة "سامية" على كرسي خشبي بجوار التلفاز، وبعدما أعلنت أنها ترغب في الدخول إلى السيد "كريم صدقي" لكن بعد أن تدخل هند. لا عتاب من السيد "كريم صدقي" إلى ابنته هند، فقط احتضنها إليه في شوقٍ ومنعها عن تقديم أيَّة اعتذارات؛ بل اعترف لها أن من الواجب عليه هو أن يعتذر فهو المُذنب الأساسي فيما حدث.

جلست هند مع والدها كثيرًا كأنها تستقي منه سنوات جوعها إلى أبوته.

سألها دون مقدمات:

- والدتك بخير؟

- تنتظرني بالخارج. علقت هند.

ودون أن يتحدث كثيرًا ودون أدنى تردد أو مكابرة طلب السيد "كريم" من هند أن تساعده في توصيله إلى السيدة "سامية" وفعلت هند ما طُلب منها دون أية أسئلة.

وقف أمامها، فاستدعت رضوى هند بذكاء كي يستطيع السيد "كريم" محادثة زوجته السابقة دون أي تكلف أو عناء. طال الصمت بينهما بعد أن سلم عليها زوجها السابق، فتذكَّرت عهدها في مبادرته بما في نفسها، وبعد أن رأت منه استعدادًا للحديث بخروجه إليها من الغرفة وتقديره لوجودها تشجَّعت أكثر في الحديث لكنه تحدث هو وهي تقرر أن تبوح له بكلمات:

- أسف، قال هو.

لم تجبْه السيدة "سامية" بل قامت باستدعاء عمر وهند ورضوى، فوقف هو استغرابًا من موقفها؛ لماذا تستدعي الجميع هو ما قال كل ما في نفسه هو فقط اعتذر وما أكمل.

وقفت هي الأخرى واستجمعت قوتها وقالت بصوت حنين إلى الاستقرار مع أولادها وزوجها وبصوت الغفران لذنب لم تعد تريد أن تتذكره:

- تتزوجني؟ قالت هي.

نظر إليها ونظر الجميع فقالت بنفس الشجاعة:

- هل توافق على زواجنا من جديد؟

أجابها بنفس قوة الرغبة في الرجوع:

- أقسم أني أرغب.

حينها لم يتمالك الجميع إلا أن يتعانقوا عناقًا يُشعرك بالأمان، بالتحصن من أي وجعٍ وأيّ آلام.

طار عمر إلى البالونات المعلقة من يوم فرحه برضوى وبدأ في إتلاف الواحدة تلو الأخرى وبالمثل فعلت هند ورضوى.

بعد فترة من جلوس الجميع مع بعضهم البعض، دق هاتف هند فنظرت إلى هاتفها ابتسمت، فاستنتجت رضوى أنه نور، فقامت هند وأجابته بالشرفة فطلب منها أن يلقاها في التاسعة مساءً.

ظنت هند أن فرحتها اكتملت باتصال نور وهى لا تعي أن فرحتها مكتملة بدونه، هناك خسارات تعد مكاسبَ لا نراها في وقتها، بل نشعر بأنها هبة من اللّه فقط عندما نخسرها، ونبدأ باكتشاف حقائقها بعقولنا

على مَهَلٍ ودون أي ضغوطات قلبيّة.

هنَّ النساء عندما يرغبْن في خلق الجميل من السيِّء فإنهن فاعلات دون تردد، هكذا حولت السيدة "سامية" ذكرياتها البسيطة لحمل عمر وهند ذريعة لصنع ذكريات أكثر روعة.

*****

قابلها في التاسعة مساءً بعد أن نزلت من منزل أخوها عمر، وتركت والدتها هناك بحجة شراء بعض الأغراض المهمة لها، وطمأنت والدتها أنها سترجع اليها لتصطحبها كي يرجعا منزلهما معًا.

لم تتركه يبدأ بالحديث بل بادرته هي به:

- متى سنتزوج؟، تساءلت هند بلهفة وكأنها كانت تنتظر لحظة رجوع والدها إلى والدتها كي تسأله بشجاعة الأنثى ودون أن تردد في شيء.

راوغها بالكلمات، لكنها لم تستسلم ككل مرة، وتذكرت كل كلمات رضوى الناصحة لها.

- أريد وقتًا محددًا. قالت هند بشجاعة غير معهودة عليها من ذي قبل.

كان أمام نور طريقين لا ثالث لهما، إما أن يرحل وينهي كل شيء ويفقد شيئًا ما في نفس، وإما أن يقبل بأن تحدد هند موعدًا مع والدها، فاختار أن تحدد له هند موعدًا مع والدها. فأخبرته حينها أن الموعد

ربما يستغرق بعض الوقت وعندما تساءل عن السبب راوغته كي لا تخبره أن والده ووالدته كانا منفصلين، وأنهما على وشك الرجوع إلى بعضهما البعض.

أثناء خروج هند ونور من الكافيه قابلا هيثم وهو يطوق ذراع هدير بذراعه، تحدثوا جميعًا طويلاً على باب الكافيه، ثم رحل نور وهيثم وأخبراهما بأن لديهما عملاً مهمًّا.

- في هذه الساعة المتأخرة؟؟ تساءلت هند.

-شغل متأخرين فيه ولازم نخلصه اللية قبل الصبح.. علَّق هيثم.

جلست هند مع هدير مدة نصف ساعة أخرى وتجاذبا أطراف الحديث إلى أن أخبرت هند هدير أن هيثم كثيرًا ما يسأل نور عن ميولها ونور بالطبع يجيبه بثقة لأنني أتحدث عنكِ وعن رضوى أمام نور كثيرًا.

- يبدو أنه يحبك، قالت هند بمزاح لهدير.

هكذا ارتبكت هدير وشكت في أن طباع هيثم وأفكاره اختلفت عن ذي قبل، وتغيرت عن أثناء محادثتها له على أنها شيماء نظرًا لأنه أصبح يتبع ما تحبه من أفكار ويتظاهر أنه يحبها كي تنجذب له بسهولة.

فكيف لرجل كان يثق ويُقدس أفكار المادة بمجملها يتحول معها إلى الحديث عن اليوتوبيا، وأصبحت له أراءً مثالية روحية خالصة بدلاً

من أفكاره المادية البحتة، كيف لرجل لا يهمه غير سلطة المادة أن يُحادثها عن أفكار مثالية ويدعم أقواله بفلاسفة بعيدين كل البعد عن المادة، هي حقًّا في حيرةٍ من أمره.

لكن هدير في الأخير تراجعت عن فكرها ودعمت هيثم بإيمانها بأن الرجل الذي يغير من طباعه لأجل امرأة فانه لا يحبها بل يعشقها. أحسنت الظن به وتناست أن الإنسان يمكن أن يُغير من أفكاره ومن اتجاهاته لأجل مصلحة لا لأجل عشق.

أصبحت هدير بعد تفكيرها أكثر تمسكًا بهيثم عن ذي قبل، ووضعته فوق منصة قلبها وعقلها بل وفوق كيانها بأكمله، تناست أن المرأة يجب أن يكون لها ذاتها وكيانها وأن لا تفني شخصيتها في شخص آخر مهما كان، وأن تظل على ثوابتها وإيمانها ما دامت لا تضرها، ولا تضر غيرها بشيء، بل من واجب الرجل أن يحافظ على كرامة وكيان واستقلالية محبوبته من أجلها ومن أجله ومن أجل أولاده منها إن أراد الله ذلك، فتستطيع أن تبث فيهم استقلالية الشخصية بدلاً من أن ينشؤوا على اتباع الآخر دون تعقل للأمر، فاقد الشيء لا يعطيه إلا نادرًا ونحن لا نريد أن تفقد المرأة شيئًا كي تستطيع أن تعطي وتربي كل شيء بصفة مطلقة لا بصفة نسبية.

- تحدثْت معه في أمر زواجنا.. قالت هدير بوجع بعدما أفاقتها هند من سرحانها.

ثم صمت قليلاً وأكملت:

- أخبرني أن ظروفه المادية ستسّنح له بعد فترةٍ ليست بالكبيرة.

وماذا كان رد فعلك. تساءلت هند.

- وافقته، علقت هدير.

لم تجبها هند بل سردت لها ما حدث في نفس الأمر بينها وبين نور، فانشغلا الإثنان معا في أمر نور، وتناسيا أن المرء على دين خليله.

******

- انته ايه اللى انته كاتبه ده، واشمعنا نوع العلاج ده بالذات اللى كتبته وليه مكتبتوش في الروشته الأولى مدام ناوى تكتبه ولا فيه حاجه اختلفت.

كادت أن تمسك في الطبيب بعد تلك الكلمات التي قالتها له دون وعي، لولا أن العم حسن أمسك بيدها وهدَّأ من روعها وقال:

- إيه يا بنتي بس ماله الدوا، الدكتور أكيد عارف شغله.

لم تستطع رقية أن تمسك أعصابها حين ذهبت بوالدها لإعادة الكشف عليه، ورأت الطبيب يكتب له نوع علاج من منتجات الشركة التي تعمل بها ويملكها والد زوجها "باسم"، أصبح الشك يُلاحقها في أمر الشركة ليل نهار، تفكر فيما سمعته بين الطبيبة ومدير الفرع،

ترغب في كشف الحقيقة كاملة. بعد أن ألقت رقية بالروشتة على مكتب الطبيب وهمَّت بالخروج هي ووالدها، استوقفها صوت الدكتور "فايز مطاوع" الذي يتَّسم بالهدوء والصبر رغم صغر سنه، فقال بعد أن خلع نظارته ووضعها أمامه على المكتب:

- بس أنا مكتبتش النوع ده عشان شيك آخر الشهر، أنا كتبته لأن حالة والدك تستدعي كتابة العلاج ده بالتحديد، وأنا أقسم لله ومش باقسم لكِ إنى عمري ماوافقت انى استغل المرضى في كتابة علاج مش ليهم، أو أكتب علاج زيادة ملوش أى علاج بيهم لمجرد انهم يفيدوا الشركة المنتجة للعلاج ده، أنا ممكن أخسر إني طبيب لكن أفضل الموت على أخسر إنسانيتى.

- فتحت الممرضة باب حجرة الكشف فطلب منها الدكتور "فايز" أن تساعد العم حسن بالجلوس على كرسي من الكراسي الموجودة بخارج الحجرة كي يستبدل العلاج المكتوب بالروشته تنفيذاً لرغبة ابنته.

استدارت له رقية ثم مشت نحوه بخطوات ثابتة ناظرة إلى قامته الطويلة نسبيًّا ودارسة لعينيه البنيتين تستقي منهما الصدق إن جاز التعبير، وجلست على الكرسي المقابل للدكتور "فايز" دون أن تتفوَّه بكلمة واحدة.

حدثها فايز بعد أن علم أنها تعمل في الشركة المنتجة لتلك الأدوية

عن عرضهم عليه أن يكتب منتجاتهم في الروشتات التي يكتبها للمرضى مقابل أن يعطوه شيك مالي كل خمسة عشر روشتة أو كل شهر أو كما يضع هو شروطه، أما إن وجَّه المريض إلى الشراء من إحدى الصيدليات التي يمتلوكونها فسيتم زيادة المبلغ في الشيك وسيتم رفع المميزات له.

- صيدليات؟؟، علقت رقية.

- ربما لا تعلمي أنهم يمتلكون صيدليات كثيرة موجودة في السوق، وأنهم بكل مرض يمكنهم استبدال الأدوية المدونة في الرشتة للبسطاء بحجة أنها غير موجوده بالسوق وأن لديهم البديل، هم لا يتركون حبلاً وإلا يمسكون به ولكنهم لا يشبعون مالاً ولا يرضون بشيء.

أكمل هو قائلا:

- أقسم أني لم أوافق على جميع إغراءتهم، وأقسم أن ما يمنعني عن ذلك إنسانيتي، وليس أي شيء آخر كالطمع في زيادات ومميزات أخرى.

- وماذا تنتظر لتبلغ عنهم الأجهزة المختصة ؟ تساءلت رقية

- ليس لدي دليل قاطع على إدانتهم، كلها كانت أحايث شفهية في أماكن عامة لم يكن هناك شاهدًا عليها.

صمتت هي ولم ترد على حديثه فقال هو:

- والله أنا حكيت ليكي عشان نساعد بعض في كشف الشركة لأني شعرت فيكي روح رافضة للوضع ده، ياريت نلاقي دليل مادي ضدهم، ثم ارتبك وجفف عرقه وقال، لكن.....

فأكملت هي وقالت:

- من أين عرفت أنا تلاعبات الشركة فمن المفترض أنها سرية، ثم أكملت لتطمئنه:

- لا تقلق لست معهم، فقط سمعت مناقشة حادة عن طريق الصدفة بين طبيبة ومسئول فرع الشركة حول ذلك.

- هل ما زلتِ تعملين هناك؟ تساءل فايز.

- نعم، علقت رقية.

- ولمَ؟ تساءل هو.

ابتسمت هي ولم تجبه فاحترم صمتها، فما أعظم من أن يحترم الإنسان رغبة الآخر في الصمت ولا يعنفه على صمته. تواعدت رقية مع فايز أن يتواصلا ثانية، فلم يكن الوقت كاف ومناسب لإكمال حديثهما بهدوء فالمرضى بالخارج ينتظرونه ووالدها هو الآخر ينتظرها.

خرجت رقية من غرفة الكشف الخاصة بفايز وهى تخفي عليه أنها زوجة" باسم" ابن صاحب الشركة.

هو القدر الذي سهَّل لرقية معرفة الحقيقة كاملة دون أدنى بحث منها أو ترتيب. لكن أين باسم من كل ذلك؟ هل تبوح له رقية بكل ما يحدث، هل يعلم هو شيء ويشارك فيه ويخفى عنها تورطه؟ وهل وهل وهل...

ارتبكت رقية وبكت حين شعرت أنها يمكن أن تخسر باسم زوجها وحبيبها وكل شيء لها وهي تحاول كشف حقيقة شركة والده.

من تختار، الإنسانية أم الحب؟ أيهما أشمل لتختاره.. إنسانيتها أم حُبها؟

الإنسانية تحتم الحب وتوجبه فلا إنسانية دون حب، أما الحب فيمكنه أن يكون أنانيًّا أو ساديًّا وحينها يكون حب لا يمت للإنسانية بصلة.

تركت أمرها على اللّه ودعته أن يخفف حملها الثقيل:

- يا اللّه! يا مُطلَق! يا عالم! أنت أعلم مني بما يتوجَّب عليّ فعله، فاختر لي يا إلهي فإني لا أُحسِن الإختيار.

******

حضر إلى منزلها بعد ثلاثة أسابيع من لقائه بها آخر مرة، باغت والدها أنه لا يملك شقة للزواج وعندما سأله السيد "كريم صدقي" عن ما ينتوي عمله في أمر الشقة أجابه نور قائلاً:

- لا أدري، لم أحدد بعد.

إجابته ما كانت تدل على أنه جاد في طلب الخطبة من هند، بل وربما إن قلنا كانت إجابة رجل يرغب من الشخص الذي أمامه أن يرفض طلبه لن نكون بالغنا في القول، إجابة توحي بعدم الإهتمام بل وعدم احترام ما هو مُقبل عليه.

عندما سهَّل له السيد "كريم" الأمر أكثر وأكثر لعلمه أن ابنته ترغب بالزواج منه كما أخبرته بصراحة قبل مجيء نور لخطبيتها وقال له:

- ما رأيك في أن نتناصف في شراء شقة لك ولهند، فكما هي ابنتي فأنا أعدك ابنًا لي؟

لم يخجل نور وهو يجيب على السيد "كريم صدقي" بأنه لا يملك حتى ثمن نصف الشقة.

فصمت الإثنان ثم فتح نور الحوار مرة أخرى وقال:

- أنا هنتظر رد من حضرتك.

- على إيه؟ علق السيد "كريم صدقي".

- في أمر زواجي من هند، أجاب نور بكل برود.

تنفس السيد "صدقي" ثم قال:

- فلتأتِ بوالدك أولاً ثم أجيبك عما في نفسي من موافقة أو رفض.

- ابتسم نور للسيد "صدقي" ولم يجب عليه، ثم سلم وخرج دون أدنى

خجل.

غضبت هند من والدها كثيرًا وكان لسان حالها يقول في صمت "أجئت بعد كل تلك السنوات لتتحكم في مستقبلي". لكنها أخفت ما تود البوح به خوفًا من أن يمرض والدها مرة أخرى، فلن تجد من يدافع عنها تلك المرة.

فقط ذهبت لوالدتها السيدة "سامية" وقالت بنوع من الثبات على رأيها:

- أنا متمسكة بنور وده مهندس ومستقبله كويس فيها إيه لو تقنعى بابا إنه يجيب لنا الشقة.

- وفيها ايه لو والده شرفنا وبعدين نتفق حتى انه يأجر شقة بلاش يشتريها، علقت السيدة سامية بهدوء.

- إمكانيات نور لا تسمح له بتأجير شقة؛ من أين له الايجار كل شهر؟ وهو ما زال في بداية حياته المادية. أجابت هند بعصبية.

- لا مشكلة في أمر المناصفة مع والده، وهذا لن يتم إلا إذا قابل والده والدكِ، أجابت السيدة سامية بنفاذ صبر.

تُجادل والدتها بعين العاشقة الضريرة ولا تتفق معها في أمر زيارة والد نور لهم بالمنزل ليتناقشا حول أمر الشقة، لربما موقف هند يرجع

لخوفها من عدم وفاء نور لها في أمر الزواج فيتخذ من حديث السيد "صدقى" ذريعة لتركها، وقد أصبح المبرر بين أصابعه ولا يهمه إن كان مبرره قويّصا أم ضعيفًا، المهم أنه يملك حجة، فهكذا هم مدَّعو الحب لا عهد لهم ولا أمان.

******

قابلت هند نور مساء اليوم التالي لحضوره إلى منزلها، وباستخدامه اعتقاد أن المرأة تعشق بسمعها، بدأ هو استخدام تلك القاعدة بحرفية وباغتها بكلمات ذكية تنم على أنه لا يمكنه أن يتخلى عنها، وأنه يسعاود الذهاب إلى والدها مرة أُخرى، واستخدم كلماته في إقناعها بأنه لا يستطيع مفاتحة والده في مساندته في أمر الشقة، لأن اجابته معروفة وهى أن يعتمد على نفسه، فقد قال له حينما فاتح في أمر زواجه من هند أنه موافق لكن الأمور المادية لا تخصه في شيء.

أصبح نور كثير الحديث مع هند عن رغبته في الزواج منها، كل يوم يحادثها عن عوائقه المادية التي تقف حاجزًا بينه وبين سعادته معها. وبعد عدة أسابيع أفصح نور عما في نواياه إلى هند وقال لها بخوف ليس بالكثير لأنه يعي مدى تعلقها به:

- بيدك مساعدتى يا هند كي نستطيع أن نكون سويا في أقرب فرصة.

- كيف؟؟ علقت هند بحماسة.

سرد لها هو كيف أنه التقى بأحد أصدقائه القدامى عن طريق الصدفة، والذي كان لا يملك شيئًا حين كان طبيبًا صغيرًا في إحدى المستشفيات، وكيف أنه أصبح الآن من الأثرياء، وعندما سأله عن الفارق في حياته أجابه أنه اتبع طريق إحدى شركات الأدوية بأن يكتب أسماء منتجاتهم للمرضى في مقابل إعطاء الشركة له امتيازات مادية كبيرة.

دُهشت هند مما ذكره لها نور ولكنها تجاذبت الحديث معه وقالت أنها لا تملك عيادة خاصة لتكتب تلك المنتجات، فأجابها نور أن كل ما عليها هي أن تكتبه للمرضى بالمستشفى الحكومي التي تعمل بها، على أن يشتروه من خارج المستشفى فهم لن يترددوا في شراء صنف واحد زائد على حسابهم الخاص من خارج المستشفى مادموا يشعرون أنه يمكن أن يأتيهم بالفائدة.

وبعد أن تحدثا طويلاً أشعر نور هند أنها لو لم تقبل بهذه الطريقة في العمل سيكون هناك حتمية لفقدها له وخسارته. وأخبرها أنه في حال موافقتها سيأخذ لها موعدًا مع صديقه الطبيب وبدوره سيقوم بتوصيلها إلى تلك الشركة وإلى المسئولين عن تلك العمليات بها، ثم باغتها بقوله:

- هيثم على فكرة عاوز يرتبط بهدير، وعنده نفس مشكلتنا المادية، ولو قولتِ لهدير ممكن تشتغلوا سوا وتشجعوا بعض.

ثم قبل يدها ليطمئنها وقال لها إن العمل مع تلك الشركة لفترة مؤقتة فقط، لحين ارتباطهما ببعضهما البعض.

لم تجبّه هند بالموافقة أو الرفض، ثم عادت إلى منزلها وهى لا تدري ماذا ستفعل، لكنها اتصلت بهدير ودعتها إلى منزلها كي تبوح لها بما حدث ويتوصلا معا إلى حل.

******

هي الحياةُ لا تأتينا على طبقٍ من سعادة كاملة، فقد تأتينا يومًا على فراشٍ فاخرٍ من فرح، وفي بعض الأحيان تُحوِّلنا إلى النوم على وسادةٍ من أوجاعٍ لا نعي من أين عَرِفت طريقنا، فالأوجاع كما الأفراح تأتينا على غفلة.

حين هاتفت السيدة "صفية" رضوى وأخبرتها بوجعٍ أن أختها الصغيرة رميساء نُقلت إلى المستشفى من ساعةٍ لسقوطها أرضًا في فناء المدرسة، لم تتمالك رضوى نفسها من البكاء فهرّول عمر باتجاهها، وأخذ الهاتف من يدها وأكمل هو الحديث مع السيدة "صفية" فأخبرته هي بعنوان المستشفى، فارتدى ملابسه وساعد رضوى التي لا تشعر بنفسها في ارتداء ملابسها وأخذ بيدها ونزلا معًا في اتجاه المستشفى.

سقطت رضوى أرضا حين خرجت رميساء من غرفة الفحص والذي

استغرق أكثر من سبعين دقيقة، كانت رميساء بمفردها مع الأطباء بناءً على تعليماتهم.

بعد خروج رميساء تم احتجازها في غرفة ٧٠١ في الدور الثالث من المستشفى، بعدها ذهبوا جميعًا إلى الطبيب ليعوا ما يحدث لصغيرتهم.

وبعدما قال لهم الطبيب التشخيص بأن رميساء تعانى من ورم في المخ ليس في بدايته، سقطت رضوى أرضًا ربما لأنها طبيبة وتعي أن الأمر خطيرٌ ويحتاج إلى جراحة دقيقة، وربما أيضا لن تتم إلا بالخارج.

بالفعل بعد عدة أيام من الكشف الدقيق على الصغيرة كانت النتيجة أن الطبيب نصحهم بإجراء عملية جراحية بالخارج. من أين لهم بكل هذا المال؟ هم مستورون ماديًا ويمكنهم الجلوس بابنتهم في مستشفى خاصة راقية داخل مصر، لكنهم لا يملكون ثمن عملية جراحية كتلك بالخارج.

هى اختبارات الله لنا، هي الأقدار التي أحيانا تُغير مسار حياتنا دون أدنى ترتيب منا سواء للأفضل أو للأسوأ، ولحكمةٍ لا يعلمها سوى المُطلّق.

- يا الله دبِّر لنا، هو حديث السيدة صفية.

- يا إلهي ليس لنا ملجئًا سواك، هو حديث السيد هلال.

- اللّه هو المعين ونحن بجواركم، هو حديث السيد صدقي وزوجته السيدة سامية.

- نحن بجواركم وسوف يعافيها اللّه، هو حديث هند وهدير.

- اللّه معنا، هو حديث عمر وهو يحتضن رضوى لتهدأ من بكائها.

- بكاء دون كلمات هو حال رضوى.

******

كما كان البكاء حال رضوى كان هو حال رقية، لكن اليوم لا تبكي رقية لمعرفتها حقيقة شركة والد زوجها فقط، ولا لاكتشاف ما بها من تلاعبات إنما تبكى باسم هو الآخر.

عندما يضع الإنسان قدمه على أولى درجات معرفة الحقيقة يبدأ في مراحل الوجع، هي الحقيقة غالبًا ما ترتبط معرفتها بأوجاعنا. هى رقية اليوم تبكي الحقيقة وتبكي وفاة زوجها "باسم" والد طفلها الوحيد" آدم".

لم يُفارقها البكاء بعدما سمعت خبر سقوط الطائرة المتجهة من القاهرة إلى نيويورك. كيف حدث هذا؟ هو قال إنه سيذهب لينسق دخوله الدراسات العليا في جامعة "هارفارد" ثم يرسل لها لتلحق هي الأخرى به، هو لم يخلف قطّ وعدًا قطعه على نفسه يومًا، فلِمَ اليوم

يرحل دونها وهو الذي وعدها أن لا يتركها يومًا لحالها.

غادرها فجرًا ووعدها أن يحدثها ليلاً عندما يصل، لكنه لم يعدها أنه سيصل سالمًا.

مات، هي لا تستطيع أن تصدق، هي ما زالت معتقدة إلى الآن أنها ستلقاه ثانية، تؤمن أنه ما زال في سفرٍ وسيرجع لها مهما طالت غيبته.

بعدما كانت تفكر جيدًا في أن تُحدثه في أمر الشركة بادرها هو في أمر سفره، وبعدما قررت أن تراسله عن أمر الشركة وهو بأمريكا بادرها هو بانسحابه من الحياة. هو المُطلق أجبرها على عدم البوح له بشيء، ربما كان باسم نقيًّا درجة أنه لن يستطيع تحمل الموقف فخلصه اللامتناهي من الحياة بأكملها.

وربما لم تكن رقية ستتحمل نظرة الوجع سواء في عينيه أو في صوته فباغتها القدر برحيله. حقًّا قد يرى القدر ما لا نراه نحن، وقد نغضب لفترة ما لاختيارات قدرية لم تكن في حساباتنا ولم نكن نرغبها وبعدما تنقضي تلك الفترة ينجلي ذلك الغضب ويحل محله الفهم فتحل الراحة والسعادة ثانية وهكذا هي الحياة نسبيّة بين السعادة والحزن.

لا تعس رقية ماذا سيصيبها بعد رحيل "باسم"، لكن على الرغم من ذلك ما عاد يهمها سوى طفلها الذي وهبه الله لها ليكون سلوانها عوضًا عن باسم.

لكنها ورغم كل شيء ما زالت على الحياد غير قادرة على حسم موقفها بالنسبة لأمر شركة والد زوجها وحبيبها الدكتور "يحيى الرامي".

******

تحدثت هدير وهند في أمر العمل مع شركة الأدوية كثيرًا واتضح من الحوار المتبادل بينهما أن هدير هي الأخرى قد فاتحها هيثم في هذا الأمر.

ترددت هند وهى تقول:

- لو لم نقبل ربما نخسرهم، ثم صمتت لتطرق بعدها بقوة على أفكار هدير وهى تقول:

- ماذا لو تقدم لنا شخص بطريقة ما مثلاً عن طريق أحد معارف أسرنا، سنرفض مرة، اثنين وثلاثة وعشرة وماذا بعد، نظرت إلى السماء وأخذت نفسًا عميقًا وقالت:

- أنا أُحب نور لا أستطيع أن أتقبل رجلاً آخر في حياتي غيره.

- وأنا لا أتخيل نفسي في أحضان رجل غير هيثم. علقت هدير.

- ما الحل؟ هل نوافق؟ تساءلت هند وهى تستند برأسها إلى خلف الكرسي.

كادت أن تعلق هدير على تساؤلات هند لكن أغلقت شفتيها حين دق

هاتف هند باسم "رضوى". أجابت هند رضوى فما وجدت منها غير البكاء وما فهمت منها أي شيء إلا طلبها في أن تذهب هي وهدير إليها في الوقت نفسه.

لم يسع الصديقتين شيء إلا أن يدفعا الحساب ثم أسرعتا للذهاب إلى رضوى في قلق وريبة من بكائها. فتحت رضوى باب الشقة إلى أخت زوجها وصديقتها ولم يكن عمر موجودًا بالمنزل، فقد انتظر هو مع والدها في المستشفى، وبعد محايلات كثيرة على رضوى رجعت إلى المنزل كي تستبدل ملابسها وتحضر بعض الأشياء لعمر من المنزل.

وعندما لم تستطع فعل أي شيء اتصلت بهند وما أن وصلت هند وهدير إلى شقة رضوى ما كان من رضوى التي لم تسترح منذ ثلاثة أيام إلا السقوط طريحة على الأرض، ولم تشعر بنفسها إلا وهى في فراشها معلق لها محلول في يدها بواسطة صديقتيها.

ما ان شعرت رضوى بنفسها حتى بكت بكاءً شديدًا لشعورها أنها تفقد أختها الصغيرة كلما مر يوم وراء الآخر، فكل يوم ما هو إلا تقريب لموعد حُزنها الأكبر على رميساء.

هدأت رضوى قليلاً بفضل المهدِّئ الذي أعطته لها هند وما أن بدأت في التحدث إليهما حتى دق هاتف هند.

- نور، قالت هدير بطريقة قلق لم تعتدْها.

- أومأت هند برأسها بالايجاب ثم حدثته من الشرفة وسمعت رضوى بعض الكلمات منها "لم أفكر بعد".

تساءلت رضوى بعدما دخلت هند من الغرفة: في أى شيء تفكرين يا هند؟.

حاولت رضوى أن تعتدل في الجلوس على فراشها بعدما رأت النظرات الحائرة المتبادلة بين هند وهدير ثم قالت:

- مخبين ايه عليَّ، عرفوني.

هذه هي رضوى تشعر بكل من حولها؛ حتى وإن كان كأسها به ما يكفي من الوجع.

بعد تردد كبير سردت هند وهدير ما حدث لرضوى فما كان منها تلك المرة إلا الصمت أمام سلطة المال فرضوى تحتاج اليوم إلى المال من أجل علاج رميساء، لكن هل قتل إنسان دون أن يعي لكي نساعد آخر على إكمال حياته من الإنسانية؟

هدير تحتاج المال لسبب شبيه من هند؛ يتوهما أن المال سيجعلهما يربحا العشق، لكن هل الحب يمكن أن نكسبه ونحن نقوم بمحاولة أن يخسر البسطاء حياتهم دون أدنى رحمة؟

الثلاثة يودون المال من أجل الحب؛ حب الأخت لرضوى وحب الحبيب لهند وهدير، وتناسون الثلاثة أن الحب شيء كُلى لا يمكن تجزئته فكيف

يحافظن على الحب من وجهة نظرهم بطريقة تنتمي إلى الكره وإلى سلب الأبرياء لأموالهم وصحتهم، لعل تحرش سلطة المال بهم أقوى من كل سلطات الإنسانية ولعل أعينهم لا ترى من الحب والإنسانية إلا أجزاء منهما.

صمت رضوى ما كان إلا تشجيعًا لصديقتيها على الموافقة، لكنها بعد الصمت لم تبح لهما بموافقتها من عدمها، فقط طالبتهما أن يساعداها في الوصول إلى المستشفى فهي لا تقوى على الجلوس بعيدًا عن رميساء لأطول من ذلك.

الفصل العاشر

-لا تتقبلي أن يتلاعب رجلٌ بمشاعرك، فيرحل متى شاء ويعود حينما يرغب.

-سلام على عاشق يخشى البوح كي لا يُفقدها عفافها.

-الحب دون إعلانٍ كالزواج دون شهودٍ؛ كلاهما لعنة على أصحابها.

-سلامٌ على العشق وسلامٌ على من تحدى فراق العشق بوفائه.

سلام على العشق وسلام على من تحدى فراق العشق بوفائه هذا عنك، أما عني فأنا أعترف لك أنني لا أليق بمعشر المحبين، وأعلم جيدًا أنه لا مغفرة لخائني الحب وأنا منهم، أقسم لك أنني سأخون نفسي قبلك فأنا ما زالت أحبك لكني أود بكل تصميم أن أنفصل عنك، أود طلاقًا لا رجعة فيه، دعني أنفصل عنك لا عن حُبك أحلفك بالعشق أن تقبل طلبي.

المذنبة

رضوى

لم يصدق عمر عينيه وهو يقرأ كلام رضوى الذي كتبته في ورقة بيضاء ووضعتها في جيب قميصه، ظنه في البداية خطاب عشق مثلما تعود منها لكنها اليوم تصفعه على وجهه وترغب في الفراق وهي التي عاهدته على عدم الإنفصال عنه أبدًا، لم تحدد وقتها أنها يمكن أن تنفصل عن الزواج وأن تظل قابعة وحدها في أحزان فراق الحب، وأن يظل عمر تعيسًا كعاشق نال من الحب بداياته دون أن يكمل طريقه إلى نهايته.

رجع عمر من عمله مسرعًا إلى منزله؛ لم يجدها بل وجد هاتفها ملقى على المنضدة يدق دون أن يجد صاحبته لتجيبه، ذهب إلى المستشفى فوجدها واقفة في شرفةٍ خارج غرفة رميساء، طبطب بيده على كتفها لكنها قابلت حنانه بالبعد، حاول أن يتحدث إليها فوضعت إصبعها على شفتيه وقالت:

- ماتصعَّبهاش أرجوك.

- مش هسيبك، علق عمر وأعطاها ظهره ودخل غرفة الصغيرة.

هى تؤمن أن الحب طهر، وبعدما وافقت على خوض تجربة العمل مع شركة الأدوية مع صديقتيها لعلمها أن حالة رميساء تسوء يومًا بعد يوم، ولمعرفتها الشديدة بأن حالتهم المادية لن تؤهلهم لمعالجة رميساء بالخارج ولعلمها الأكبر بأن والدها عفيف النفس ولن يمد يده إلى أحد حتى لو كان "كريم صدقي" الذي عرض عليه أن تسافر رميساء على

نفقته ورفض بحجة أنه سيتصرف.

مؤمنة هي الآن أنها تفقد جزءًا من طُهرها كي تنقذ أختها لكن هل فقد الطهر يُشفي؟ هي لا ترى إلا بعين قاصرة، آمنت أنها لن تستحق الحب وهى فاقدة للطهر فقررت أن تنفصل عن زوجها وحبيبها عمر.

******

تبكي لا من وجع الكدمات التي تملأ جسدها، بل تبكي وجع روحها ونفسها، من الجيد أن نخاف على من نحبهم لكن البؤس كل البؤس أن نبرحهم ضربًا حتى تنزف أرواحهم قبل أجسادهم، الأوجع في لمياء أنها لا تملك الإثنين لا خوف حبيب عليها ولا عدم الضرب المبرح فتتوجع من الاثنين أن تتوجع من شخص لا تلمس منه الخوف عليها، بل كل ما يشعرها بها هي القسوة التي تجرى في دمه، تتألم نفسيًّا من عدم دخولها أبواب الحب، لم تذقّ خوف رجل عليها فيؤلمها من شدة حبه لها، لم يشفع لها إنجاب طفلها الأول أن تهدأ ثورة زوجها العبثية ليتحول إلى إنسان حنون على الأقل.

"دعك من الحب، أين رجولتك؟" كتبت لمياء تلك الكلمات بدموعها على ورقة بائسة هربت من أدراج" علي" زوجها، وتجمدت مكانها على الأرض لتلقاها لمياء وتكتب عليها جملتها، ودون وعي ألقت لمياء بالورقة على الوجه الآخر لها بجوارها، حاولت أن تتناول كوب الماء الموضوع بجوار الورقة كي تروي عطشها الجسدي لا الروحي، فلفت

نظرها الدوائر المرسومة بالقلم الأحمر في ظهر الورقة حول ثلاثة أسماء: "هدير، هند، رضوى".

كل ما جاء في خلدها هدير ابنة عمها وصديقتيها هند ورضوى التي لطالما تحدثت عنهم معها، لكن ما علاقة زوجها بالثلاثة، لربما غيرهم تمتمت هي ثم راجعت نفسها وقالت لربما أيضًا هم، في الأخير قالت المهم ما علاقته هو بتلك الأسماء؟.

تحولت حياة لمياء إلى ورطة بسبب ذنب عدم تمهلها في اختيار شريكها، أحبَّت سلطة المال فوق كل السلطات لكنها فقدته ولم تنلْ لا المال ولا الحب ولا الأمان، كأي إنسان يحب الشيء درجة العشق ودرجة الخوف من الفقد فيفقده.

حاولت لمياء أن تبحث في أوراق زوجها كي تفهم ما الأمر؛ لكن ليس بتلك السهولة فدرج المكتب الذي سقطت منه الورقة غالبًا والتي كتبت عليها عبارتها مغلقًا، حاولت هي البحث عن المفتاح أو فتحه بأي وسيلة أخرى لكن دون جدوى، فلا تركيز لديها كي تنجح فهي قلقة؛ فلو دخل زوجها في أي لحظة ورآها لن يمر الأمر بسهولة أبدًا، فقررت هي أن تصارحه بما رأت حينما يعود لربما يقول لها شيئًا يشفي صدرها من الوجع والحيرة.

******

اتفقت الصديقات الثلاثة مع مسئولي الشركة أن يأخذوا نصف الامتيازات المادية قبل بدء العمل معهم على أن يجمعوا المبالغ الثلاثة فتكون مساهمة لعلاج رميساء واجراء عمليتها بالخارج، ووصلوا للمسئول بعدما أوصلهم نور وهيثم إلى طبيب فرفضوا التعامل مع الطبيب وأصروا على مقابلة مسئول الشركة وبالفعل تم لهم ما أرادوا.

وبالفعل وافق مسئول تلك العمليات في الشركة على طلبهم بعدما وجد تمسكهم بمطلبهم واتفق معهم على إعطائهم الشيكات خلال ثلاثة أيام من تاريخه.

دق هاتف رضوى أثناء جلوسها في ذلك الاجتماع برسالة من عمر يقول فيها: " ردي عليا ضرورى ".

لكنها رفضت أن تجيبه واعتقدت أن رسالته من باب فتح مجال للحديث بينهم من جديد.

مرت الثلاثة أيام في قلقٍ وريبةٍ وتأنيب ضمير من جهة الصديقات الثلاثة ثم عاود عمر هاتف رضوى على الدق من جديد فلم تجبه فأرسل لها: " واللّه المرة دى موضوع مهم ردى ".

- مشغولة، علقت رضوى برسالة أخرى كي يكف عمر عن مراسلتها وكي لا تضعف إذا تحدثت اليه صوتا.

- شيء مهم، ردّي من فضلك "، راسلها مرة اخرى.

بعدها أغلقت رضوى هاتفها وراحت تنتظر هدير وهند ليستلّمن الشيكات. وبالفعل تم لهم مرادهم وذهبوا إلى البنك لصرف الشيكات واستلموا الأموال ودون أدنى تفكير وضعت هند مبلغها على مبلغ هدير ووضعته في حقيبة رضوى السوداء.

بكت رضوى ولا تدرى على ماذا؟؟؟ هل على رميساء؟ أم على وفاء صديقتيها؟ أم على ضميرها وفقد جزءٍ من طهرها. أم على حب عمر الذي تدمره وتقضي عليه بيدها.

هدأت الصديقتين رضوى وأقسما لها أن رميساء ستكون بخير.

تناولت رضوى هاتفها لتتصل بوالدتها ولتطمئن على أختها الصغيرة لكن للأسف هاتفها غير متاح وكذلك هاتف والدها فتلك عادة المستشفى الشبكة ضعيفة وعلى من يريد الاتصال أن يخرج إلى شرفة بعيدة عن المنطقة التي توجد فيها رميساء.

هدأت هند رضوى وقالت لها "علينا أن نذهب إلى المستشفى".

فعلقت رضوى: "علينا أن نفعل كي أعطي المال لوالدي"

وقد اتفقت الصديقات فيما بينهم على أن تقول رضوى أن مصدر هذا المال هو مكافأة عن بحثٍ معهم قد أجرته الصديقات الثلاثة معًا كي يتقبل والد رضوى أن يمد يده له، في ذات الوقت تؤمن رضوى أن والدها لن يكون رد فعله بهذا الغباء لكي يقبل المال دون أن يعرف حقيقته كاملة

دون أي نقص، لكنها هوَّنت على نفسها وهى تقول في سرها "الثوابت غالبًا ما تتغير حينما نجد أعز الناس لقلوبنا في ورطة".

ما إن قالت تلك الكلمات حتى دقَّ هاتفها باسم "عمر" فعاودت غلق الهاتف ثانية، فاتصل عمر بهند لكنها قد انشغلت بالإعلان المثبت على إحدى شُرَف الدور الثالث للعمارة المقابلة لنظرها فلم تجب أخيها وبدأت في قراءة الإعلان:

"لا تنخدعوا فليس كل من قال أحبك صادق، عاوز تعرف ازاي اتصلي بالرقم ده.... أو زورينا دلوقتي حالا".

صممت هند بعد أن نبهت هدير للاعلان وأنها ترغب بمعرفة ما سر هذا الإعلان فأيَّدتها هدير وأوضحت رضوى لهما أنها ستسبقهما إلى المستشفى، لكن الصديقتين أجبراها على الطلوع معهما ووعداها أنهن لن يتأخرن، فما زال الوقت أمامهن وبالنسبة لرميساء طمأناها بأنها ما زالت نائمة كعادتها كل يوم في نفس الموعد بفضل الأدوية المؤقتة التي تتناولها.

بالفعل توجهت الصديقات الثلاث إلى العمارة وتوجهن إلى الدور الثالث ودخلت هند ومن ورائها رضوى وهدير فأخبرتهن السكرتيرة أن الدورة ثمنها عشرة جنيهات كتبرع لإحدى دور الأيتام ومن لا تستطيع الدفع فهي بالمجان ومن تودّ أن تتأكد أن أموالها تذهب إلى تلك الدار فلتأتي معنا يوم الجمعة القادمة في السادسة مساءً لترى بعينها.

أول من دفعت العشر جنيهات هي رضوى وقالت بتلقائية "والله حتى لو الدورة ملهاش لزمة هادخلها يمكن العشرة جنيه تسعد طفل وترسم بسمة على وجهه"، فاقتدت بها هدير وهند ودخلن الثلاثة وجلسن إلى جوار بعضهن البعض على كراسى بلاستيكية حمراء اللون ومن جوارهن بعض الأشخاص المنتظرين للمحاضرة مثلهن.

******

أكثر من ست ساعات والجميع يحاول الاتصال برضوى دون جدوى، والدة رضوى تطالب عمر الذي لا يفارقهم في المستشفى بالخروج والإتصال برضوى لأن الشبكة رديئة فيرجع لها ويخبرها أنه لا يوجد شبكة بالخارج أيضًا كي لا يقلقها على ابنتها الأخرى فكفاها قلقًا على رميساء التي بالفعل داخل غرفة العمليات.

كريم صدقي كصحفى وباحث جيد جاء إليه خبر قدوم أحد الأطباء الألمان إلى مصر وأنه سيجري عشرين عملية جراحية لمرضى أشباه رميساء دون أن يتقاضى أي أجر، فهذا الطبيب يؤمن بحق الإنسانية جمعاء في أن يُكرس لها جهده وعمله دون مقابل كلما استطاع ذلك، وها هو اليوم يصل إلى القاهرة ليؤدى فرضه الذي قد قطعه على نفسه وقد علم كريم صدقي بالأمر وقد جهز أوراق حالة رميساء وعمل الإجراءات اللازمة في الخفاء دون أن يخبر أحدًا من أسرة رميساء حتى لا يعطيهم الأمل وحتى لا يتجرعوا الأوجاع إن فشل هو في إدخال

حالة رميساء ضمن حالات العمليات التي ستدخل إلى الطبيب، رجل هو فلم يعطِ الوعود وهو لا يستطيع تنفيذها، فقط حاول في هدوء ليصبح الوعد الذي لم ينطق به إليهم حقيقة.

وبالفعل عندما علم "كريم صدقي" بالموعد المحدد لإجراء عملية رميساء وفي اليوم ذاته الذي اطمأن بأن الصغيرة ستجرى العملية أخبر السيد هلال والسيدة صفية بأن إجراء العملية الجراحية لرميساء ستتم في الواحدة بعد الظهر ودون أن تتحرك رميساء من بلدها وشرح لهم ما حدث من أخذه لاوراق رميساء وكيف أدخلها لهذا الطبيب ليوافق على حالتها وعلى إجراء العملية لهم وشرح لهم وجهة نظره في عدم البوح لهم بالأمر منذ بدايته.

لم تكفِ كلمات الشكر والسعادة من قبل السيد هلال والسيدة صفية التي تبكي ولا أحد يعرف هل من سعادة أم من خوف أم من مزجٍ بين الشعورين.

هكذا دخلت رميساء غرفة العمليات دون أن تكون رضوى على علم بأي شيء والتي من المقرر لها هي وصديقتيها أن يكتبن في الغد أول روشته بها علاج لا ضمير فيه ولا تستحقه الحالة في الغالب، أختها يقف بجوارها الله ويُدخلها العمليات ورضوى لا تستشير أحدًا فتخطىء وما زال إلى الآن هاتفها مغلقًا.

******

قام بالجرى نحو المطبخ وأتى بالكبريت ثم أشعل النار في الأوراق وقال بصوت منزعج وعال:

- وأدى الورق والأدله كلها اتحرقت ورينى هتعملى ايه.

بعد أن قال "علي" تلك الكلمات جرَّ لمياء إلى باب الشقة ثم طردها هي وصغيرته إلى الخارج فما كان منها إلا أن تذهب إلى جارتها لترتدي شيئًا مناسبًا للسفر إلى بلدها ولتأخذ بعض المال منها الذي يُعينها على دفع ثمن المواصلات.

ركبت لمياء القطار المتجه إلى طنطا واحتضنت طفلتها وجلست إلى جوار النافذة وذاكرتها دامعة كما عينيها.

كلما تذكرت لمياء الأحداث لا تجد نفسها غير باكية، فبعدما تشجعت هي وواجهت "علي" بأمر الورقة وضغطت عليه ليبوح بسر الأسماء الثلاثة الموضوع حولهم دوائر حمراء وهل هدير المقصود بها ابنة عمها ورضوى وهند صديقتيها أم ماذا؟ وبعدما أنكر مرة واثنتين وعندما ضغطت عليه أكثر وأكثر فتح هو درجه المغلق دائمًا وأخرج منه صور هدير ابنة عمها وصديقتيها ثم قال لها بعد أن أمسك بعض الملفات الموضوع بها بعض الصور:

"أنا بشتغل مع الشركة دى عشان الفلوس وبشتغل في جذب ومراقبة الأطباء اللي أعرف إنهم مش هيمانعوا يشتغلوا أو يتورطوا في

الشغل مع الشركة وأنا اللى جريت وراء الشركة كتير عشان يطمنوا لي ويشغلوني في أسرارهم عشان الفلوس، أنا أهم حاجه عندي الفلوس، وعلى فكره هما دول بنت عمك وصحابتها، ومليت أسمائهم للشركة بعد مراقبتهم مراقبة شديدة وعرفت إنهم صيده سهلة وممكن يشتغلوا مع الشركة، والشركة من حسن الحظ ليها فرع جنب مكتب نور اللى عامل نفسه بيحب هند، وأنا اللى غويته إنه يجذب هيثم عشان يصاحب هدير بنت عمك وعملت لهم خطة عشان يوقعوا بنت عمك وصحبتها ويتورطوا في الشغل، وكنت عارف إن رضوى صعبة لكن كل شيء وله ثغراته وبعد مراقبتها عرفت إن أختها بتموت في المستشفى، وبقت هي كمان تحت السيطرة وكلهم وافقوا إنهم يشتغلوا مع الشركة بعد ما استغليت رضوى اللي كانت ممكن تقويهم على عدم الشغل واللي عاملة نفسها ضمير أصدقائها ثم ضحك بصوت عال فقاطعته لمياء وصاحت:

- يشتغلوا ايه أنا مش فاهمة حاجة، ورطتهم في إيه؟

- يكتبوا أسماء منتجات الشركة للمرضى سواء محتاجينه أو لا. علق هو.

بكت لمياء بشدة وقالت" ليه كل ده حرام عليك".

- عشان الفلوس أعمل أي حاجه، علق هو بكل تكبر ثم أكمل قائلا:

- وبعدين بنت عمك وصحابها وافقوا برده عشان الفلوس أنا كمان جيت القاهرة عشان الفلوس بعد ما أثبت ولائي لشركة زي دي، وبعد معرفتهم أد إيه أنا اقدر أجذب أطباء للشركة سواء بطرق شرعية أو غير شرعية مش هيفرق لإنهم هيشتغلوا في أمور غير شرعية وبعد ماكنت في الأول بصرف كل فلوسي على الشركة عشان أثبت إني معاهم دلوقتى بقيت اخد منهم بعد ما اديت كتير، تهكم هو بالحديث.

- انت شيطان. أعلت لمياء بصوتها في تلك الكلمات المختطلة بالبكاء.

- وهما ايه اللي يخليهم يمشوا ورا الشيطان مش ربنا مانعهم عنه. تهكم هو.

- حرام عليك وايه اللى عرفك ان نور له علاقة بهند وليه تورط هدير في حاجة زي دي؟ تساءلت هي بذهول.

- المراقبة تعمل أي حاجي لكن مراقبة من غير فلوس صفر وانا متوفر الفلوس من الشركة يبقى اعرف أي معلومة أنا عاوزها ثم لم يمهلها الرد وجرها وقال "مش عاوز أشوف وشك".

علا صوت لمياء قليلاً بالبكاء وهى تتذكر كل ذلك درجة أن سيدة مُسنة كانت تجلس إلى جوارها في القطار أخذت تهدئ من روعها وهى تقول:

- للّه قوانينه التي لا يفهمها البشر، ابتسمي فالخير لكِ فيما يُبكيكِ، فقط أنتِ لا تدركي ما يدركه اللّه.

بعد سماع لمياء تلك الكلمات من السيدة هبطت من القطار لترجع إلى القاهرة بعدما فكرت في أن عليها الذهاب إلى هيام ابنة عمها التي انتقلت واستقرت مع زوجها حسن مؤخرًا في القاهرة لتبقى بجواره ويبقى هو بجوار عمله وكي لا يعرف أهلها بما حدث فيتصلا بأسرة هدير وتحدث مشكلة أكبر لا يمكن الخلاص منها.

*****

وقف عمر بجوار النافذة ينتظر خروج رميساء من غرفة العمليات وينظر إلى الأشجار ولا يرى منها شيئًا، بل كل ما يراه هو ذكرياته مع رضوى فكيف لتلك الفتاة النبيلة المحبة أن تفرض على نفسها الإنفصال عمن تحبه بكل تلك السهولة أو حتى لربما ليس بسهولة فلمَ تفرض الخيار الأصعب.

أخذ يفكر فيما مضى معها وكيف أنها أضافت إلى حياته نوعًا من الحب الروحي الذي لطالما حلم به، كيف علمته أن كل حب مادي فانٍ، وأن السعادة لا تُدرَك إلا في الحب الروحي قبل الحب الجسدي، هى أعظم فتاة تُعلم شريكها أسمى معاني الحب، تذكر كلمتها وهي تصطحبه معه لمساعدة إحدى العجائز عن الحركة في عمارة مجاورة لهم وقد تعرفت عليها بالصدفة حين كانت تجلس إلى جوارها في إحدى المواصلات العامة وقد علمت منها حالتها الصعبة فلم تخذلها رضوى وداومت على زيارتها والاستماع إلى طلباتها وتنفيذها لها، وفي المرة التي اصحبت

معها عمر فيها إليها قالت له: "الله يرسل لنا بعض الإشارات ليُسعدنا لكن إن لم نفهم تلك الإشارات بطريقة صحيحة وفي وقتها فلن نَنَلْ السعادة المرسلة لنا أبدا" ، فها هي رضوى ترى السعادة في مساعدة العجوز التي قد أرسلها الله لها بالصدفة.

دمعت عينيّ عمر وهو يقول:

"أقسم أنني لن أوافق عن الإنفصال عنكِ يا رضوى، وسأدعو الله أن يجعلني أفقه ما تخفينه عليّ، استغليتِ اهتمامي برميساء في إكمال الاخفاء عليّ وسأعمل بكل جهدى على إصلاح السبب الذي طلبتِ مني الطلاق لأجله، وإن لم أفعل هذا فسأكون خائنًا لكل مواثيق العشاق واستحق اللاحياة من بعدكِ فلا حياة لعاشق دون محبوبته.

*****

دون أدنى مقدمات دخلت امرأة شقراء قصيرة القامة إلى حد ما ترتدي بذلة سوداء وحذاء بذات اللون، ودون أدنى مقدمات وزعت على كل حاضر ورقة من الأوراق التي في يدها، ثم قالت اقرأن الورقة بتمعن ثلاث مرات ولا تتركن نقطة إلا وقد فهمتهن عن ظهر قوة.

بدأ جميع الحضور في قراءة الورقة التي في أيديهن وصمتت كل الأصوات وركز الجميع في النقاط المكتوبة أمامهن والتي تقول:

أولا: سلامٌ على عاشق لم ينل من العشق سوى أوجاعه.

ثانيا أكلمن القراءة:

لا تتقبلي أن يتلاعب رجل بمشاعركِ فيرحل متى شاء ويعود حينما يرغب.

طوبى لامرأة لم تترك عواطفها لعشق خفيّ.

وسلام على عاشق يخشى البوح كي لا يفقدها عفافها.

تذكرن أنها تجاهلته فاهتم فاهتمت فتجاهلها.

الحب دون إعلانٍ كالزواج دون شهودٍ كلاهما لعنة على أصحابها.

قيل إن الزواج دون حب كالصلاة دون إيمان، وعلى الرغم من ذلك أقول لكم لا تهدروا قلوبكن من أجل رجل فارق فلو كان محبًّا بصدق لما رحل.

لا تعطوهم الفرصة لأن يأتوا عليكن، فقداسة الحب تجبر العاشق الحق على احترام محبوبته.

ثالثا: أجبن بنعم أو لا على تلك التساؤلات دون مجامله لأحدهم على حساب عواطفكن:

الحب احترام فهل تتبادلا الاحترام بينكما؟

الحب طهر فهل هو عفيف طاهر يستحق طهر حبك له؟

الحب سعادة فهل تبكين كل ليلة على وسادتك بسببه لا من أجله؟

الحب أعمق من أن يكون سرًّا هل حبكما ما زال خفيًّا عن الجميع؟

الحب هو أن يتَّخذ الخطوات اللازمة ليكون بجوارك في أسرع وقت، حتى وإن لم يمتلك المال اللازم كي يحافظ على طهارتك وكرامتك وسمعتك بين الجميع، هل حدث هذا؟

لا مبررات في الحب فالمُحب لا يفارق مهما كانت الأسباب هل فارقكِ وما زلتِ تذكرينه؟

الحب له أحلام لا يستطيع أحدكما أن يمارسها دون الطرف الآخر هل تشعرين بوفائه بتلك الدرجة ؟

لا يستطيع المحب جفاء محبوبته ولا يستطيع أن يُهملها درجة بكائها، هل تشعرين باهتمامه؟

المحب الحق يفكر في روحكِ قبل جسدك فلو ذهب الجسد ظل على عهد حبه لروحكَ، ماذا تشعرين تجاه تلك الصفة هل يؤمن هو بذلك؟

لا عاشق يغري محبوبته إلى طريق الخطأ وتأنيب الضمير، هل حافظ عليكِ لهذه الدرجة ؟

أكتفي بهذا القدر في هذه الورقة لكنى أحلفكن أن لا تستهترن وأن تُجبن بصدق فما كانت النتيجة فقلبك هو المستفيد، فلا تحرميه من أن يعرف بوضوح مشاعر الطرف الآخر، أكملت السيدة الشقراء حديثها قائلة:

"بعدما تُجبن عن تلك الأسئلة سنُفسرها معًا وسنكمل في المرة القادمة ماذا بعد أن عرفتي درجة حُبك له".

فلتكنَّ وفيَّات صادقات لا حمقاوات ساذجات. ختمت كلامها بتلك الكلمات وصمتت تنظر من كل واحدة إجابتها على الاوراق المقدمة لها.

نظرت الفتيات الثلاثة بعضهن إلى بعض ولكن قطعت النظرات بينهن الرسالة القادمة لهند من أخيها عمر والتى تقول:

"رميساء خارجة من العمليات لو رضوى معاكى هاتيها وتعالي على المستشفى".

لم تتمالك هند نفسها وخرج صوتها يقطع الصمت بين الحاضرات وقالت منادية على رضوى:

- رضوى، رميساء في العمليات!

قامت رضوى من مكانها وأخذت حقيبتها وخرجت من ورائها هند وهدير بعد أن استوقفت المحاضرة هدير وأخذت رقم هاتفها لتطمئن عليهن.

اتجه الثلاثة إلى المستشفى في حضرة بكاء رضوى.

******

أصاب هيام وجع عندما دخلت عليها لمياء باكية:

- فيه إيه؟؟؟ تساءلت هيام بوجع ابنة العم على ابنة عمها.

سردت لمياء كل ما حدث لهيام وتورط هدير وصديقتها رضوى في لعبة حقيرة من قبل زوجها "علي" وكيف أنها لم تذهب إلى عمها خوفًا من أن يؤذى هدير ولا يتفاهم معها ولم يكن أمامها خيار إلا أن تذهب إلى هيام.

اضطربت هيام مما سمعت وبكت الفتاتين وبعد أن هدأتا فكرا بهدوء، ولم يجدا حلاً إلا أن يذهبا إلى عمر زوج رضوى، ويستدعيا هند وهدير إلى منزل عمر كي يستطيعا أن يسردا لهما ما حدث بهدوء.

وجدت هيام أن منزل عمر هو الأنسب لأنها لو ذهبت لوالديها سيأخذا الأمر دون تفاهم ولا تضمن ردة فعلهما، وسيتعقد الأمر أكثر، اتصلت هيام بزوجها حسن وأخبرته أنها ستخرج مع لمياء في أمر هام، وأنها ستسرد له ما حدث حينما ترجع، فالأمر لا يحتمل التأخير وبعد معاناه وافق حسن على أن تخرج وأن تسرد له كل ما حدث حينما يرجع من عمله.

بالفعل توجهت هيام ولمياء إلى منزل عمر، والذى يعد حلقة الوصل بين الصديقات الثلاثة فهو أخ لهند وزوج لرضوى وهدير يعرفها جيدًا بحكم صداقتها بهم.

ظلت الفتاتين يطرقا باب الشقة لكن دون جدوى فاقترحت لمياء أن

يقوما بالاتصال به لكن هيام أخبرتها أنها لا تملك رقم هاتفه فقررا أن يرجعا له بعد قليل بعدما يحتسيان شيئًا من الكافيه المجاور.

وأثناء نزولهما على درج السلم اصدمت هيام بعمر وهو يهرول صاعدًا إلى شقته، استوقفته هيام قائلة:

- عمر، مرحبا ما الأومر ؟

- هيام أهلاً، لا شيء، علق عمر

أخبرته هيام أنها هي وابنة عمها لمياء يريدانه في أمر هام، فأخبرها هو بأن الوقت غير مناسب، حيث إنه قدم بناءً على طلب السيدة "صفية" والدة رضوى ليأتي برضوى إلى المستشفى لتستقبل أختها وهي تخرج من العمليات.

قاطعته هيام وقالت:

- مستشفى يارب خير يارب، لكن أظن أنه لا يوجد أي أحد بالشقة وأخبرته أنها بالفعل طرقت باب شقته منذ دقيقة واحدة ولم يجبها أحد.

وبناءً على كلمات هيام قلق عمر وصعدوا جميعا درج السلم نظرًا لانقطاع التيار الكهربائي وفتح عمر باب الشقة على عَجَلٍ مناديا:

- رضوى رضوى

وأخذ يفتش عنها لكن دون جدوى.

- لربما تورطت في الأمر، قالت لمياء.

- ماذا؟ تساءل عمر.

- لاشيء، المهم أن نطمئن على أخت رضوى أولاً، علقت هيام.

- انزعج عمر وصمم على معرفة حقيقة الأمر فأخبرته هيام أن الأمر يطول شرحه ويجب أن يجلسوا في مكان كي يستطيعوا أن يتحدثوا على راحتهم، وبالفعل جلس الثلاثة على طاولة في كافيتريا مجاورة لمنزل عمر وشرحتا هيام ولمياء الأمر لعمر.

هكذا كان لوقع الحديث على قلب عمر وجع لا يطهره سوى البكاء على سجادة الصلاة في بيته والدعاء للّه أن يكون هو وسيلته لانتشال رضوى وهند وهدير مما وقعن فيه من أذى وأن يبدل ما هم فيه من شر إلى خير.

نزل عمر من بيته فوجد لمياء وهيام يجلسان في مكانهما ولم يبرحا الكافيه كما طلب منهما على أن يتصل بهما لاحقًا ودون كلمات كثيرة اتفق الثلاثة على الذهاب إلى المستشفى لعلهم يجدوا الصديقات الثلاثة هناك.

******

أن تشركيني في سعادتك وتعتزليني في حُزنك هي خيانة من نوعٍ موجعٍ.

تلك الكلمات هي حال لسان عمر وهو يقود السيارة في طريقه إلى المستشفى.

لم يوجع عمر مسلك رضوى الخطأ بقدر حُزنه وغضبه على عدم مشاركته في أفكارها لعله يجد لها حلاً أفضل من ذلك، توجع من أنها عزلت نفسها وتفكيرها بعيدًا عنه وعن أسرتها فوقعت بالخطأ بسبب حبها الشديد لأختها والتي لم تفعل لها شيئًا بل اللّه هو من جعل السيد "كريم صدقي" الوسيلة التي تدخل الطفلة البريئة بها غرفة العمليات.

ما أحبطه أيضًا أنه رغم محاولاته لاحتواء أخته هند إلا أنه فشل في مراده فما كان منها إلا الإنجراف في طريق يوجع الإنسانية قبل أن توجع نفسها به.

كاد عمر أن يصطدم بالسيارة التي أمامه لولا هيام التي أفاقته من سكرة تفكيره وهى تصرخ:

- حاسب يا عمر.

استفاق عمر من سكرته ودخل هو والفتاتين المستشفى على بكاء رضوى الشديد وسقوطها على الأرض وهى تقول:

- يعني كل اللى عملته ده على الفاضي.

أخذت رضوى تهزي بالكلمات ولا أحد يستطيع إيقاف بكائها ووالدتها السيدة صفية تقول:

- إحمدي ربنا إن اختك قامت بالسلامة، وعمليتها نجحت، أنا نفسي أعرف بس فيكي إيه؟.

نزل عمر ثم أمسك بيد رضوى ونظر إليها في ثبات ثم قال:

- كل شيء هيكون كويس، من فضلك اطمني.

ففهمت رضوى من نظراته لا من كلماته أنه قد علم بكل شيء فأخفت وجهها بداخله ثم قالت -ازاى.

جاء الطبيب بعدما استدعاه "كريم صدقي" وقد أعطى رضوى منومًا كي تهدأ قليلاً لكن بعدما غابت رضوى عن الوعي ارتكنت هند وهدير بجوارها يخفيان نفسيهما في بعضهما البعض لا يدريان ما الذي يحدث لهن.

طلب عمر من لمياء وهيام الذهاب كي يستريحا قليلاً وخاصة بعد اتصال حسن بهيام وقولها له أنها في المستشفى بسبب رميساء، وإخباره لها أن سيأتي إليها فورًا، وعد عمر الفتاتين أنه سيتصل بهما وسيتصل بحسن كي يتعاونوا جميعًا في الخروج سالمين من تلك الورطة ووعدهما أنه سيبذل جهده حتى الموت لانقاذ زوجته وأخته وهدير مما هم فيه من ورطة.

بعدها دخل عمر على زوجته فوجدها متسخة الملابس مما فعلته في نفسها على أرض المستشفى فأخبر السيدة "صفية" أنه سيذهب إلى

المنزل كي يأتي لرضوى بقطع من الملابس النظيفة، وتساءل هل تريد السيدة" صفية" أي شيء من الخارج، فطلبت منه أن يأخذ هند وهدير معه كي يستريحا قليلاً من أحداث اليوم، ولم تنتظر السيدة" صفية" حتى تتلقى إجابة من عمر؛ بل راحت تنادي على الفتاتين فاستجابتا لها ووقفتا أمامها، فطلبت منهما الرحيل مع عمر، فرفضا في البداية لكن السيدة" صفية" أصرت على موقفها فوافقا على أن يأتيا مبكرًا لرضوى فمشيتا وراء عمر في صمت وركب الجميع السيارة ولم ينطقوا بأي كلمة ونزلت هدير أمام منزلها وفعلت هند مثلها لكنها قبل أن تنزل من السيارة قالت لأخيها في رجاء وعين دامعة:

- إنزل شوية أنا محتاجة لك،

فنظر هو لها وقال في توجع:

- أنا الأخر، سنلتقي غدا.

ودون أي تعليقات أخرى نزلت هند من السيارة باكية لأول مرة أمام أخيها منذ فترة طويلة وعاود هو قيادة سيارته ثانية دون أن ينظر إليها كي لا ترى دمع عينيه المتحسرة عليها وعلى زوجته.

ركن عمر سيارته ودخل العمارة ينتظر نزول المصعد كي يصعد إلى شقته وأثناء دخوله الشقة وإنارته أحد المصابيح الموجودة في الطرقة المؤدية إلى بقية الشقة نظر إلى الأرض فوجد خطابًا مُلقَى وكأن أحدًا

أدخله من تحت عقب الباب فتناوله وقلبه فلم يجد عليه أى اشارة تدل على أن الخطاب له وبرغم من ذلك فتحه وبدأ يقرأ:

" إلى السيد المحترم عمر كريم صدقي:

أما قبل فمنِّي لك سلامًا

أما بعد فاقرأ للأهمية، حين تنظر إلى الأشياء بعين الحقيقة يؤلمك عقلك وعواطفك حد الموت لكن قل لي ماذا لو بقينا في الوهم كثيرًا،، فكرت كثيرا قبل أن أراسلك أو أبوح لك بشيء ما في نفسي أضمه إلى صدرى منذ شهور مضت، ولا أستطيع أن اتعامل معه وحدي فمنذ فترة وأنا أنقب عن الحقيقة بشيء من الحذر والخوف على طفلي الوحيد، ومنذ أيام قد عرفت بأمر تورط زوجتك رضوى وهند أختك وصديقتيهما هدير في أمر يخص شركة أدوية ومعي أدلة ضد تلك الشركة، لا يهم كيف حصلت عليها لكن الأهم أن تقنع رضوى وهند وهدير بالابتعاد عن الخطر، وأن تحثّ فيهن الانسانية لنتعاون جميعًا على ردع تلك الشركة، أقسم لك أنني ما لجأت إليك لتوريطك في أمر ما وكل ما أفعله من أجله الحفاظ على ما وهبه اللّه لنا من إنسانية، لكني في نفس الوقت أضعف من أن أواجه كل ذلك وحدي خاصة أن اللّه جعلني مسئولة عن طفل يتيم الأب، هل تستطيع معاونتي؟.

بذلك السؤال ختمت رقية خطابها لكنها نسيت أن توقع الخطاب

باسمها فما كان من عمر إلا أن يخبط برأسه ثلاث مرات بالحائط الذي أمامه لربما فعل ذلك ليفيق من الأحداث المتتالية التي لا يعي كيف يتصرف فيها، فهذا عمر يقبع تحت سطوة الخوف على زوجته وأخته وصديقتيهما وسطوة الوجع مما فعلْنه دون أن يراقبن أنفسهن أمام الخالق المُطلق.

*****

أن يجعلك القدر تختار بين فلذة قلبك وضميرك؛ لكن هل هذان ينفصلان عن بعضهما البعض، الأصعب من الإختيار هو عدم القدرة على الفصل بين الإختيارات فلا تدري ماذا تفعل حينها فلو اخترت شيئًا لخسرت شيئًا مهمًّا في المقابل والعكس ذاته صحيح.

تلك الكلمات هي التي تنطبق على رقية فلا شيء آخر يصفها فبعدما أرسلت رقية خطابها إلى عمر استفاقت من نومها في اليوم التالي وذهبت إلى عملها بشركة الأدوية كالعادة فهي أولاً لا تريد أن تترك الموقع في الوقت الحالي فلربما تعثر وتعرف حقائق أكثر من جهة ومن جهة أخرى تريد أن تنفي أي شبهة عنها في الفترة المقبلة وذلك من أجل طفلها الذي فضلت أن ترجع به إلى مسكن والدها بعد وفاة زوجها ولم تجد اعتراضًا كبيرًا من أحد لكنها تدرك أيضًا أنهم لن يتركوا حفيدهم لوقت طويل، لذا لا تريد أن تظهر في الصورة نهائيا كي تستمع بطفلها بهدوء لأطول فترة ممكنة.

ولربما نقول إنـه من حماقتها بل من حظها السيء وضعها لبعض الأوراق والسيدهات الخاصة بتورط الشركة في أعمال منافية للأخلاق وللانسانية وللقيم في حقيبتها خوفًا من أن يعبث بها أحدهم في الغرفة الصغيرة التي رجعت للعيش فيها مع والديها وطفلها الصغير، خشيت من أن تتلف الأدلة بواسطة طفلها أو أحد من والديها الذين لا يدرون ما قيمة تلك الأوراق التي حصلت عليها بكل وجع وقلق من خلال تجسسها المستمر على المسئول عن فرع الشركة ودخولها إلى مكتبه بكل صعوبة لولا وثوق سكرتيرته الخاصة بها لصداقة قديمة جمعت بينهما وإقناعها بمساعدتها في الأمر، واقتنعت السكرتيرة بعدما وعت مخاطر ما تفعله الشركة، وربما لولا مجازفة رقية وسردها لمي سكرتيرة مدير الفرع ما يحدث ما نجحت أبدًا في الحصول على نسخ من السيديهات والأوراق التي تدين الشركة، وتلك الأدلة نفسها هي التي عرفت منها تورط رضوى وهند وهدير فهؤلاء الحمقى يضعون صور ومعلومات عن ضحاياهم من الأطباء المحتاجين إلى المال أو حتى استغلال نفسياتهم المتدمرة لإدخالهم في حلقة اللا إنسانية، أغبياء يسطرون لعناتهم بايديهم دون أدنى شعور بالذنب.

أن يخونك أحدهم شيء متوقع لكن أن تخونك نفسك وأن تكون أنت بمثابة المذنب والمخطىء الوحيد هو الشيء غير المتخيل.

أن تخونك قدميك فتنزلق على الأرض فيراك أحدهم فيتجه إلى مكتبك

ليأتي لك ببعض من المناديل الورقية الموضوعة على المكتب لإزالة بعض الدماء المتكومة على ساقك فيجد علبة المناديل فارغة لكنه يجد بعض المناديل الظاهرة في حقيبتك الشخصية وبتلقائية يوسع من فتحة الحقيبة بغرض إخراج المناديل فيخرج مع المناديل ورقة من أوراق الأدلة فتسقط على الأرض دون أن يشعر بها أحد فتكون سببًا في اماتتك بالبطيء يومًا بعد يوم وأن يأتى مديرك في العمل ويأمرك بالعودة إلى المنزل كي تستريح قليلا فتذهب دون أن ترى أنك تركت خلفك نارًا لن تخمد أبدًا بسهولة، هذا ما حدث لرقية فتركت ورقة وجعها على الأرض دون أدنى تعمد منها ولا من صديقتها التي سقطت منها دون قصد وهى تحاول الإتيان ببعض المناديل لتزيل الدماء عند ساق رقية بعد أن انزلقت رقية أرضًا.

الفصل الحادى عشر

-الله يغفر فاغفر أيها البشري

-من الحمق أن نلقي بأنفسنا إلى جحيم الفراق ووحش اللاإنسانية

-ليس بمحبٍّ من لم يغفر.

اجتمع عمر برضوى وهند وهدير ولمياء وهيام وحسن وبَاحَ الجميع بكل صراحة بالأحداث وكل وضع أوراقه على الطاولة فاعترفت رضوى بإقبالها على الأمر من أجل علاج رميساء واعترفت هند وهدير كل بعلاقته؛ هند بنور واعترفت كيف أنها كانت بالغة السذاجة في وهبها مشاعرها لشخص لا يعي مفهوم الحب الطاهر، واعترفت هدير بهيثم من البداية إلى النهاية وكيف أنها موجوعه لغبائها العاطفي الذي مارسته مع من لا يستحق كلمات الحب، ولمياء باحت بكل ما حدث مع زوجها "علي" وعمر أوضح الخطاب الذي قد تلقاه عقب رجوعه من المستشفى وقرأ ما فيه بصوت جهري.

كلٌّ بدأ يفكر فيما يحدث بهدوء وبعدها قام عمر من كرسيه وقال "اعتذر، مكالمة".

ابتعد عمر قليلاً وأجاب على صديقه الذي يطمئن عليه واستدار ليجد رضوى خلفه تمسك بيده وتنظر إلى عينيه وتترجاه أن يسامحها وتقول:

- أنا امرأة حمقاء كادت أن تلقي بنفسها إلى جحيم الفراق ووحش اللاإنسانية، الله يغفر وسأقف بثبات كي يتطهر المجتمع من سقم تلك الشركة التي كدت أن أقع في وحلها وأثبت لك كلامي بأني وضعت المال كله أمامك، واعترفت لك بكل شيء وعلى أتم استعداد أن أعترف أمام الشرطة بذلك كي يغفر الله لي، وأقسم أني لم أكتب روشتة واحدة ولم أنفذ أي شيء من اتفاقي مع الشركة وأنا على يقين تام بأن الله يغفر لمن تاب عن صدق، وأقسم لك أني مذنبة وتائبة فهل لك أن تغفر حماقتي؟.

ثم بكت رضوى فضمها عمر دون أن يشعر بأحد من حوله وقال بصوت سمعه المحيطون ليس بمحبّ من لم يغفر، وليس بمحب من لم يقف بجوار محبوبته في أوقات المحن قبل السعادة.

ثم أكمل قائلاً بهمس من كلمات في أذنها:

- اغفري لي حماقة صفعي لكِ بالقلم في المستشفى ما كان إلا لخوف ومحبة، فعلتي حمقاء فسامحيني".

رجع عمر ورضوى إلى الطاولة ثم قال عمر" هل تشعرين بالذنب يا هند" ؟

– ما كنت أعترفت لك بكل شيء كأخ وصديق، علقت هند والدموع على وجنتيها.

ثم قال حسن: وماذا عنكِ يا هدير؟

– نادمة وإلا ما كنت أفكر الآن في صاحب الخطاب المرسل لعمر كي نقف على أول الخيط، أجابت هدير بتلك الكلمات من أعماق قلبها.

وضع الجميع أيديهم فوق يد بعض وأقسموا على الأمانة وعلى كشف سر تلك الشركة للمجتمع بأسره. اتفقوا جميعًا على إنهم في حال عدم وصول الأدلة من صاحب الخطاب اليهم في خلال ثلاثة أيام سيذهبون إلى الشرطة وسيسردون ما حدث وليحدث ما يحدث، بالفعل مرت الأيام الثلاث وهم في حيرة من أمرهم ولا يدرون من هو مرسل الخطاب ولمَ لمْ يرسل لهم الأدلة إلى الآن.

وقبل أن يتوجهن إلى الشرطة اتصل مسئول الشركة برضوى فقالت له في تسرع أنها لن تعمل وأنها ستبلغ الشرطة فكان رده بارد وقال "لا داعي، واعتبري أن الأمر كأنه لم يحدث ونحن لا نريد أى مال منكن" فقالت سأخذ المال أنا وهند وهدير وسنبلغ الشرطة اليوم" فأجابها بتعسف وبثقة في ذات الوقت:

– ابقي اثبتي بقى إن الشركة اداتك فلوس؛ انتي سحبتي الشيكات من اسم واحد ملوش أي علاقة بالشركة، احنا عاملين حسابنا، ده بعدها

كمان هنرفع عليكم قضية رد شرف لتشويهكم شكل الشركة.

ثم أغلق الهاتف في وجهها فسقطت على الأرض باكية، فجاء لها عمر وسردت له ما حدث وأخبرته أنها كانت ترغب في أن يرتبك ويحاول أن يأخذ معها ومع صديقتيها موعدًا فيستطعن أن يسجلن منه دليلاً قويًّا يذهبوا به إلى الشرطة لكن حدث ما لا تشتهيه.

هدأ عمر من روع رضوى بعد أن لامها على خطئها في البوح له بشيء قبل استشارة الجميع وقال لها وهى مرتمية في حضنه:

- اللّه غالب والحق غالب والإنسانية غالبة.

ولكي يهدئ من روعها أكثر ذكرها بقدوتها ابن سينا فما كان منها إلا أن تبكي أكثر وأكثر فسألها لمَ تبكي؟ فهو لم يكن يقصد إلا أن يعطيها الشجاعة لتواجه ما هي فيه بحسم فأجابته قائلة:

- أنا خائنة لابن سينا الذي بالرغم من الشهرة العريضة التي حققها كطبيب والمكانة العلمية العظيمة التي وصل إليها حتى استحق أن يلقب عن جدارة بأمير الأطباء، فإنه لم يسعَ يوما إلى جمع المال أو طلب الشهرة؛ فقد كان يعالج مرضاه بالمجان، بل إنه كثيرا ما كان يقدم لهم الدواء الذي يعده بنفسه. كان ابن سينا يستشعر نبل رسالته في تخفيف الألم عن مرضاه؛ فصرف جهده وهمته إلى خدمة الإنسانية ومحاربة الجهل والمرض. واستطاع ابن سينا أن يقدم للإنسانية أعظم

الخدمات بما توصل إليه من اكتشافات، وما يسره الله له من فتوحات طبيبة جليلة؛ فكان أول من كشف عن العديد من الأمراض التي ما زالت منتشرة حتى الآن، فهو أول من كشف عن طفيل "الإنكلستوما" وسماها الدودة المستديرة، وهو بذلك قد سبق الإيطالي "دوبيني" بنحو ٩٠٠ سنة، وهو أول من وصَّف الالتهاب السحائي، وأول من فرّق بين الشلل الناجم عن سبب داخلي في الدماغ والشلل الناتج عن سبب خارجي، ووصف السكتة الدماغية الناتجة عن كثرة الدم، مخالفًا بذلك ما استقر عليه أساطين الطب اليوناني القديم. كما كشف لأول مرة عن طرق العدوى لبعض الأمراض المعدية كالجدري والحصبة، وذكر أنها تنتقل عن طريق بعض الكائنات الحية الدقيقة في الماء والجو، وقال: إن الماء يحتوي على حيوانات صغيرة جدًّا لا تُرى بالعين المجردة، وهي التي تسبب بعض الأمراض، وهو ما أكده فان ليوتهوك في القرن الثامن عشر والعلماء المتأخرون من بعده، بعد اختراع المجهر. وكان ابن سينا سابقًا لعصره في كثير من ملاحظاته الطبية الدقيقة، فقد درس الاضطرابات العصبية والعوامل النفسية والعقلية كالخوف والحزن والقلق والفرح وغيرها، وأشار إلى أن لها تأثيرًا كبيرًا في أعضاء الجسم ووظائفها، كما استطاع معرفة بعض الحقائق النفسية والمرضية عن طريق التحليل النفسي، وكان يلجأ في بعض الأحيان إلى الأساليب النفسية في معاجلة مرضاه..

فمن أنا بجواره؛ أنا كفرت بالاقتداء به يومًا كيف أرجع له وأنا المذنبة في حقه وفي حق الطب.

فما كان من عمر إلا الإتيان لها بكوب من الماء ثم قال أنتِ من ذكرتِ أن اللّه يغفر فكيف لكِ أن لا تغفري لنفسكِ ثم نامت رضوى في أحضان عمر كطفلة صغير أنهكها البكاء.

استقظت رضوى من غفلتها على صوت عمر وهو يتحدث في الهاتف ويقول "بس قولي يا هند هي مين؟" ثم سمعته يقول لها "طيب متتأخريش" ثم أغلق الهاتف معها فجرت رضوى قدميها إلى عمر وقالت " فيه ايه" فشرح لها أن هند أخبرته أنها قد استنتجت من تكون صاحبة الخطاب وذكر لها أنها رفضت البوح باسمها وأنها ستأتي للمنزل بعد قليل مصحبطة هدير فما كان من رضوى إلا أن قالت " يارب".

******

طرقت هند الباب ودخلت إلى شقة عمر تتبعها هدير ودون سلام انفعل عمر عليها وقال لها:

- من تكون صاحبة الخطاب؟

حاولت هند أن تسرد مقدمة أولاً لكن رضوى لم تطق صبرًا ورجتها أن تقول الإسم مباشرة فقالت:

- رقية بنت بواب العمارة فاكرها يا عمر.

تذكر عمر رقية بعد أن أخبرته هند بأن رقية هي الفتاة التي تماثلها في السن ودخلت كلية العلوم لا لمجموعها بل لظروفها المادية الصعبة وأخبرته بأنها قد تزوجت من رجل ثري وأنه بالأمس كانت تتحدث والدتها السيدة "سامية" أمامها عن رقية وكيف أن زوجها توفي وأثناء حكيها التفاصيل قالت السيدة سامية إن والد زوجها المتوفى يمتلك شركة أدوية كبيرة لكن على الرغم من ذلك ترك رقية وطفلها يرجعان للعيش في مسكن والدها الصغير ثم أكملت هند حديثها قائلة:

وعندما تذكرت الخطاب المرسل لك يا عمر وخاصة كلمة أم لطفل يتيم وشركة أدوية بدأت التفاصيل تتضح أمامي خاصة بعد أن تذكرت أن والد رقية هو من أخبرك بتلك الشقة لتشتريها فتيقنت أن رقية هي الوحيدة التي تعرف عنوان شقتك وتعرفني وتعرف أصدقائي وهي الأم التي لديها طفلاً يتيمًا، وأيضًا هي التي تعمل بشركة الأدوية حتى قبل أن تتزوج باسم على حد قول والدتنا.

صمتت رضوى وتناولت كوبًا من الماء لتروي عطشها فقامت رضوى من مكانها قائلة:

- سأرتدى ملابسى في الحال، يجب أن نذهب إلى رقية حالاً.

حاول عمر أن يمهلها لكنها أبت وبالفعل نزلوا جميعًا متجهين إلى

مسكن رقية.

******

أن تختار بين انسانيتك وضميرك وبين فلذة كبدك يا له من أمر شاق، أن يضعك القدر بين أيدي أناس لا مفهوم لهم عن الرحمة أو الشفقة فينزعون منك طفلك الوحيد مقابل الأوراق التي ستثبت بها إداندهم يا لها من وقاحة!، أن يقف مدير فرع الشركة أمام الورقة التي تركت حقيبة رقية ثم يحرك قدميه وينظر إلى حذائه فيجد الورقة فينزل عليها ويقرأها لشكه في أمرها فيكلف مباشرة ودون أدنى تردد من يذهبون إلى منزل رقية الصغير ويفتشون بكل تعسف عن الأوراق ولما لم يجدونها يأمر من دفعهم إلى الشر إلى أخذ طفلها هذا ما لا يقدر بشرس على تحمله.

وبالفعل تحملت رضوى الضربات على وجهها وفي جميع مناطق جسدها لكنها لم تتحمل أن يُخطف طفلها من بين ذراعيها فاضطرت آسفة أن تخرج الأوراق والسيديهات من حقيبة قديمة جدًّا قد وضعتها في ركن لا يراه أحد، وخاصة إن كان لا يدري عن المكان شيئًا، هكذا أخذوا كل الأدلة التي تدينهم ورحلوا.

هذا ما حدث لي وهذا ما منعني عن التواصل معكم ثانية، ختمت رقية بتلك الكلمات الأحداث التي مرت بها بكل أسى وحزن. فأشفقت رضوى

وعمر وهند وهدير عليها وتركوها لتسريح من أوجاعها قليلاً بعدما وعدتهم أن تلتقي بهم في أقرب وقت كي يكشفوا ما حدث للجميع، لكن بعد أن وعدتهم تذكرت قول الحمقى لها:

– لو فكرتِ تساعدي أي حد أو تفتحي الموضوع ده مع أى حد ابنك مش هيكون معاكي.

فبكت ثم قالت لن أستطيع أن ألتقي بكم ثانية. فدهش الجميع فقالت هي " طفلي يستحق ".

******

بعد أن خرجوا، جلست رقية باكية وقد تذكرت زوجها الراحل "باسم" وكيف أنه لو كان موجودًا ما كان سيوافق على تلك اللعنة التي تسير فيها شركة والده، ثم تملكتها الشجاعة ثانية وقالت في نفسها "فبحق إنسانيتك يا باسم لن أترك من يلهون بأوجاع الناس في حريتهم".

وفي جوف الليل تركت طفلها في أحضان والدتها ثم تسللت إلى شقة هند وطرقت باب المنزل ففتح لها السيد "كريم صدقي" فقلق فأخبرته أنها ترغب في مقابلة هند في أمر عاجل، وقبل أن يجيبها هو كانت هند وعمر ورضوى يقفون وراء والدهم، فأدخلتها هند ثم قال عمر لوالده" ثق بنا، لا داعي للقلق" لكن السيد "صدقي" لم يهدأ له بال إلا عندما سرد له عمر الحقيقة كاملة فتمالك "صدقى" غضبه

حتى يستطيع التفكير ودخل على الفتيات بعد أن استأذن فانزعجن لكنه هدأ من روعهن وقال:

- أنا هنا الآن لمساعدتكم لا لتأنيبكم.

بعد عدة دقائق من الحديث نطقت رقية باسم "الدكتور فايز مطاوع" ثم سردت لهم كيف أنه رفض عرض الشركة المقدم له، فقطع حديثها السيد "صدقي" قائلا:

- الحمد للّه قد توصلنا لأول خيط في النجاة. واتفقوا أن يذهب له السيد "صدقي" ويحكي له كل التفاصيل الغائبة عنه بعدما طمأنتهم رقية أنه طبيب ذا انسانية وضمير ولن يتأخر عن المساعدة في حل القضية، وقد جاء اختيار "صدقي" لكونه الرجل غير المراقب من قبل الشركة، أما الجميع فيفتقدوا الأمان حتى في سيرهم في الطريق العام، حتى رقية ما صعدت إلى شقة صدقي إلا بعدما تيقنت أن الشخص الذي يراقبها قد غاب قليلاً في النوم وما نزلت إلا بعدما تيقنت أنه لا يجلس في مكانه.

وأثناء جلوس الجميع دقَّ هاتف هند فراح نحوه عمر فوجده نور فانزعج وأعلى من صوته وذهب إلى أخته وقال:

- انته لسه ليكي علاقة بالغبي ده؟

ولما أجابته بالنفي تعصب أكثر وقال:

- امال رقمه بيعمل ايه عندك؟

لم تتمالك هند وتخالط صوتها بالبكاء وهى تقول:

- والله ما شوفته ولا كلمته من آخر مرة قابلته هوا وهيثم مع هدير، وكنا بنحاول نعرف منهم أي حاجة لكن لما معرفناش نوصل لحاجة بطَّلنا نرد عليهم أو نكلمهم، والله ده اللي حصل.

هدأت رضوى عمر وقام صدقي بأخذ عمر إلى الخارج واحتضنت رضوى هند وهى تقول:

- والله انا فوقت ومعدش ليا علاقة بيه وهدير معدش ليها علاقة بهيثم وفهمنا انهم ميعرفوش يعنى ايه حب".

فى اليوم التالى ذهب "صدقي" بالفعل إلى الدكتور "فايز" وقد تمهَّل حتى أخذ دوره في الدخول كأنه مريض وبعدما دخل سأله "فايز" عن ما يؤلمه فقال" إنسانيتي"، فاعتدل "فايز" في مجلسه ثم تساءل "ما الأمر" فسرد له صدقي كل التفاصيل، وبشجاعة الإنسان لم يتردد "فايز" في القول:

- معكم وحتى وان كنت لها جسدة هامدة، لا يرضينى ما يحدث.

وبعدما تجاذبا أطراف الحديث اتفقا على أنه سيذهب للرجل الذي حدثه في أمر العمل مع الشركة على أن يعرض عليه هو خدماته مقابل المال على أن يسجل كل الحديث الدائر بينهم بواسطة جهاز المحمول.

******

جرت الأمور بما لا يشتهي "فايز مطاوع" فبعدما وافق مدير الفرع على مقابلته جرده الأمن من جهازه المحمول لكن الله يمهل ولا يهمل، فقد كانت المقابلة في كافيتريا يعمل بها أحد زملاء حسن زوج هيام، وعندما كان يترقب الوضع هو والسيد "صدقي" ما كان منهما إلا أن تصرفا بذكاء شديد وسرعة لا مثيل لها فبكلمات إلى زميل حسن تبادل حسن الأدوار معه وارتدى حسن ملابس النادل وذهب ومعه جهاز صغير لتسجيل الصوت وضعه بخفة تحت المنضدة التي يجلس عليها فايز ومدير فرع الشركة وهو يسألهما عما يريدان أن يتناولاه.

لم يكن فايز قد تعرَّف على حسن من قبل فاحتسبه فعلاً النادل وطلب كوبًا من الشاي وطلب الآخر فنجانًا من القهوة، فانحنى حسن كما يفعل النادل وذهب يبشر السيد "كريم" بأن كل الأمور تسير بأحسن صورها ولا يتبقى غير أن يخرج فايز كل الأدلة من فم مدير الفرع الخاص بشركة الأدوية.

بعد نصف ساعة قام فايز ومن معه من على المنضدة وذهب حسن بعد أن أشار له مدير الفرع بالقدوم ليأخذ الحساب فذهب حسن مسرعًا وتناول جهاز تسجيل الصوت وهو يجمع الكوب والفنجان قبل أن يمد يده له ليتناول الحساب.

انطلق حسن نحو السيد "صدقى" بفرحة الطفل بالحصول على شيء يرغب فيه لكن صدقي قال:

- يارب بس يكون فيه اللى احنا عاوزينه.

توجه صدقي مع حسن إلى شقة عمر فكانت تنظرهما رضوى وهند وهدير ورقية التي تسحَّبت كالعادة وهى تصعد نحو شقة صدقي ولم ينتظروا حتى يسرد ما حدث ولم ينطق هو بكلمة حتى فتحوا مسجل الصوت فوجدوا ما يفرحهم فقد استدرج فايز مدير الفرع في كل الكلمات التي تدينه رغم أنه كان يشتاط اعتقادًا منه أنه لا يسجل ما يقوله مدير الفرع.

التقى صدقي وحسن بفايز في عمارته بعد ذلك فدهش فايز وقال "النال" فرد "صدقي" بل "حسن"، حسن الذي يقف الآن بجوار لمياء بعد أن آمن بكونها أنثى بشرية خلقت حرة ليس من أحد أن يستعبدها والتي رفعت قضية خلع على زوجها "علي" كي تشعر بحريتها كبشرية لها حق الحياة لا العذاب، وسردوا له كل التفاصيل الغائبة عنه.

اتفقوا جميعا على أن يذهبوا إلى الشرطة في الصباح، وبالفعل جاء الصباح وكل يجهز نفسه ليسرعوا في الوفاء بوعدهم إلى أنفسهم بأن يرضوا ضمائرهم ويخرجوا المرضى من شر تلك الشركة. ذهب الجميع إلى الشرطة مع اصطحاب محامي من قبل السيد "هلال"

الذي قد أخبره "صدقي" بما حدث، وقد أخذ منه وعدًا أن يهدأ كي تحل المشكلة وبالفعل قدم المحامي البلاغ وهم الآن ينتظرون حكم المحكمة في قرارها بالحكم على الجناة وجعلهم عبرة لكل بشري يحاول أن يتاجر بصحة البشر أو أن يستغل أحد المحتاجين لمصالحه المادية وغاياته غير النبيلة.

******

أنا مذنبة بحق نفسي، اعترفت هند

أنا مذنبة بحق نفسي، اعترفت رضوى

أنا مذنبة بحق نفسي، اعترفت هدير

بعد أن اعترفت الفتيات بخطئهنّ قالت هند "وماذا عن نور وهيثم"، فأجاب المحامي "كلٌّ سيأخذ دوره في الحساب، لا تقلقى كلٌّ سيأخذ حقه، فالجاني لا يستطيع الصمود كثيرًا فقد اعترف عليهما عليّ زوج لمياء بعدما استدعته الشرطة للتحقيق معه، الظلم لا يصمد طويلاً، فالله والحق غالبٌ فوق كل شيء.

******

أخيرا أيتها العربيات الجميلات:

-لا تنجرفن في حبٍّ لا عقل له

-ولا تُهِنّ أنفسكنّ مع من لا يتقي اللّه في قلوبكنّ.

-وتذكرن أن الحياة لا تقف عند أحدهم، وأننا جميعًا في حياة بعضنا البعض موجودين بصورة نسبية فالجميع راحل.

-ابتسِمّن! فالخير والحب سيُقدمان إليكنَّ على طبقٍ من سعادة، لكن تذكَّرن أن لا حب فوق حب اللّه ..

-تطهَّرن من أوجاعكن باللجوء إلى اللّه.

-تمرَّدن على أوجاعكن بتذكر أن الحياة ليست كلها فرح ولا حزن فيومًا ما سينجلي الوجع وتحل محله السعادة.

-أما قبل كل ذلك أنتُن يليق بكنّ كل حب أنيق يُتَوِّجه الاحترام، فلا تقبلن بحب لا احترام فيه ولا اهتمام.

-أخرجن أنصاف العشاق من حياتكن، كما فعلت هند بنور وفعلت هدير بهيثم وفعلت لمياء بعلي.

-حافظن على كل عاشق صادق كما فعل عمر ورضوى مع بعضهما البعض.

٢٠١٥/١٠/٢٤

المؤلفة في سطور

فاطمة الشيشينى

للتواصل مع الكاتبة

عبر الفيسبوك:

https://www.facebook.com/fatma.alsheseny

شكر خاص

- والدي الحبيب، والدتي الحنونة، أختي الجميلة إسراء، وكل من وقف بجانبي يومًا.

-تهنئة خاصة لزواج اسراء الجميلة من العزيز أحمد

-حب خاص لأصدقاء الفيس بوك والمتابعين والصامتين


Ibdaa
للنشر والتوزيع والترجمة

كيف تسللت إلى قلبي دون أدنى مقاومة مني ، لقد أحكمت غلق عاصمتي القلبية خوفًا من أوجاع الحب ، فكيف سرقت مفاتيح أقفالي وتسربت داخلي بكل تلك الأناقة ، من أين لك كل تلك القوة التي جعلتني أتعلق بك وأفكر جديًا في دخول رواق العشق .

أتمنى أن تقرأ التعهُّد المرفق مع خطابي الأول جيداً ، وأن تُطيل النظر فيه ، وإن قبلته أتمنى أن توقعه ، وأن ترسل لي تعهدك وتوقيعك عليه ، فلربما تعرضنا للوعكات العاطفية يوماً فيكون تعهدنا شاهداً علينا .

وإن لم يرُق لك التعهُّد فسأحترم ما بيننا من فكر ؛ فالحياة احترام وفكر وحب ، والأخير ليس شرطٌ له أن يكون نوعًا واحدًا فقط ؛ فحب الصداقة شيء رائع ، انتظر توقيعك أو صداقتك . . .

تصميم الغلاف مروة فتحي

